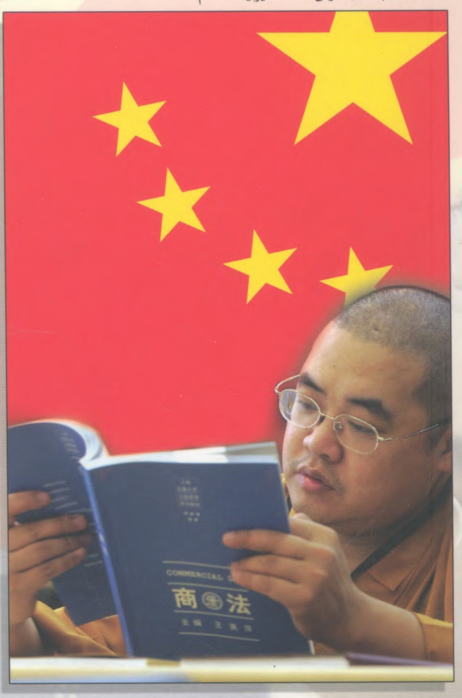
المعرفة 146

العدد ١٤٦ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ يونية ٢٠٠٧م



المعلمات لا يلتزمن بالدوام الرسمي!

إدارة تخترق الحدود

«مكننة التعليم» تمحو بصمات المعلم

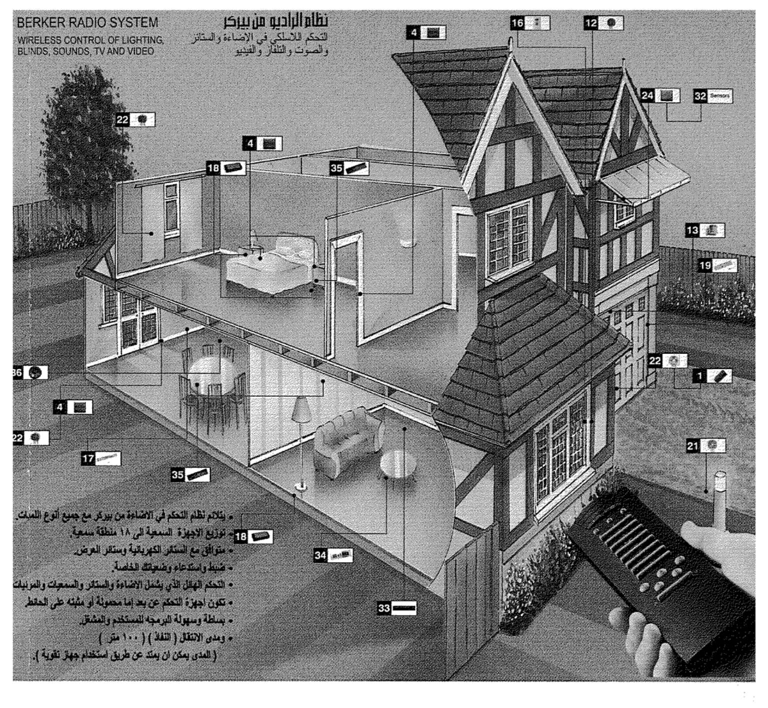
ثقافة الـ «تيك أواي»

الألعاب الإلكترونية تعيد صياغة التعليم

عبدالله العسكر:

الناجحون عرفوا الفشل أكثر من غيرهم

«دع الصين نائمة لأنها عندما تستيقظ فسيندم العالم»



B.

Berker the right way.
Radio Control System

عندما تريد أن تجعل أمنياتك تتحقق .... بضغطة زر

إن نظام التحكم الراديوي من بيركر يلائم جميع الأماكن فقط بإستخدام مكونات قليلة يمكنك أن تجهز منزلك أو شقتك بطريقة تجعلك تعيش براحه وأمان ، ويمكنك أن تبدأ في الحال لأنه في معظم الأحوال لن تحتاج أية أعمال تسليك إضافية عند إستخدامك نظام التحكم الرديوي من بيركر ، بالاضافة الى إنه في وقت قليل يمكن ربط نظام التحكم الراديوي من بيركر مع التركيبات الموجودة مع عدم التأثير على المباني .

الاضاءة والانظمة الصوتيه والمرئية والأجهزة الكهربائية والستائر ونظم التدفئة والعديد من الوحدات التجهيزية الأخرى يمكن أن تزداد فعاليتها عند استخدام نظام التحكم الراديوي من بيركر فقط اضغط زر واحد وستنقل رغبتك الى وحدة أو أكثر من وحدات الاستقبال في المنزل .

إن وحدات الارسال والاستقبال ووحدات التحكم عن بعد المحموله ووحدات التحكم المثبته على الحائط تعمل جميعاً بالبطاريات مما يجعل تثبيتها سهل في أي مكان حتى على الاسطح الزجاجية .

شركة الناصر
ALNASSER CO.

المركز الرئيسي : الملز - طريق صلاح الدين ص ب ١٢٤٦ الرياض ١١٤٣١ هاتف: ٤٧٧٧٧٠٠ - فاكس ٤٧٨٩٤٦٩
الفروع : الملز ٤٧٧٦٦٤٢ الروضة: ٢٤٨٢٢٠٠ - التخصصي ٤٨٢٥٢٤٣
جدة ٦٦٥٩٨٥٥ - الدمام ٨٣٣٦٥٠٩ - القصيم ٣٢٤٤٨٢٥ - خميس مشيط ٢٢٠٣٠٣٨ - المدينة المنورة - دبى
www.alnasser.info info@alnasser.info

المعرفة

مجلة شهرية تصدر عن

وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز

وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٤٦) - جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ - يونية ٢٠٠٧ م



ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

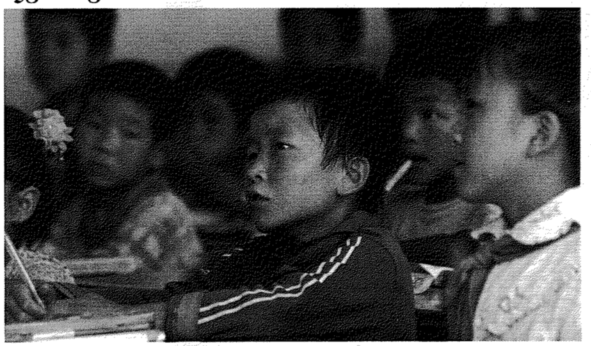
فتح القرار الذي سمحت بموجبه وزارة التربية والتعليم للمدارس الأهلية بتطبيق البرامج التعليمية الدولية (ابتداءً من العام الدراسي القادم)- جدالاً واسعاً تجاوز صداه المختصين والمعنيين بالشأن التربوي، حتى كاد أن يكون أكثر قرارات وزارة التربية والتعليم حضوراً على واجهات وسائل الإعلام!

كانت مبررات المؤيدين للقرار: الحاجة الملحة للحاق بعجلة التنمية العالمية، وفتح منافذ الإبداع والتميز، وتجديد المناهج الدراسية التقليدية.. أما المتحفظون على القرار فكانت مبرراتهم: مساهمة البرامج التعليمية الدولية في إضعاف الهوية الوطنية، وفي الانفصام الثقافي، والانتماء التاريخي..

وبين المؤيدين والمتحفظين ستظل المبررات مسموعة هنا وهناك، لكنها لن تصبح مشروعة إلا إذا تحولت من اشتطاط الجدال إلى وقار الحوار! المعرفة

تقرأ في الملف « الصين »

- هل يخرج النظام التعليمي الجديد التنين الأصفر من خلف سوره العظيم ؟
- أكبر لغة يتم التواصل بها في العالم
- الصين تشل عصب التفوق الأمريكي.. وتزحف نحو القمة
- العملاق الاقتصادي «الوديع»
- الحرية والإعلام والثقافة في الصين
- يأكلون كل ما يقف على أربع إلا طاولة الطعام!
- العلاقات السعودية الصينية



المراسلات

باسم: رئيس التحرير

ص.ب -٧٠٠٠٧-٢٣ الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،

الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،

البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠بيسة،

اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،

الأردن ٢٫٥ دينار، لبنان ٢٠٠٠ ليرة،

مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،

المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال

وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.

سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض:4197333 ـ فاكس: 4197696

فاكس مجاني: 8001242277

Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض:4197333 ـ فاكس: 4197696

Advertising@rawnaa.com

روناء للإعلان والتسويق

ص. ب 26450 الرياض 11486

التوزيع

الوطنية  للتوزيع



«دع الصين نائمة لأنها عندما تستيقظ سيندم العالم»

الصين.. الحاضرة دومًا في التاريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد.. كانت طوال الوقت مشغولة بذاتها وقضاياها الداخلية فهي بمثابة قارة شاسعة بمساحتها وسكانها وثرواتها..

كتبت الصين صفحات عديدة في سجل التاريخ الإنساني.. مرت عليها عقود غفت فيها أو نامت. لاحظ ذلك القائد الفرنسي المحنك نابليون بونابرت، فقال عبارته المشهورة «دع الصين نائمة لأنها عندما تستيقظ فسيندم العالم»! ولا ندري لماذا هو متشائم وخائف من استيقاظ الصين، هل لأنها كانت- حينها- ستنافس أطماع فرنسا ودول أوروبا الاستعمارية في الشرق وإفريقيا، إذا كان الأولى أن يقول «فسيندم الغرب».

وها هو الغرب - فعلاً- بدأ يستشعر خطر الصين التي تتثاءب من غفوتها التي دامت عقودًا طويلة.. ها هي الصين تكاد تدخل كل بيت في هذا العالم بصناعاتها الثقيلة والخفيفة و«معدومة الوزن»! ها هي الصين تحقق أعلى مستويات النمو الاقتصادي وتكنز خزينتها واحتياطاتها المالية بمئات المليارات من الدولارات والعديد من الدراسات العالمية تقول إن الاقتصاد الصيني «سيتفوق على نظيره الألماني عام ٢٠٠٨م وعلى نظيره الياباني عام ٢٠١٥م وعلى الأمريكي في ٢٠٤٠م».. بضعة عقود وتصبح الصين الأولى عالميًا في الاقتصاد وبالتأكيد سيصاحب الفاعلية الاقتصادية فاعلية سياسية وعسكرية، وبوادر هذه الأخيرة «الفاعلية العسكرية» اتضحت بعد التجربة الصينية الناجحة بتفجير قمر صناعي في الفضاء الخارجي.. الأمر الذي يراه الخبراء العسكريون انقلابًا استراتيجيًا في الهيمنة العسكرية الأمريكية على العالم.

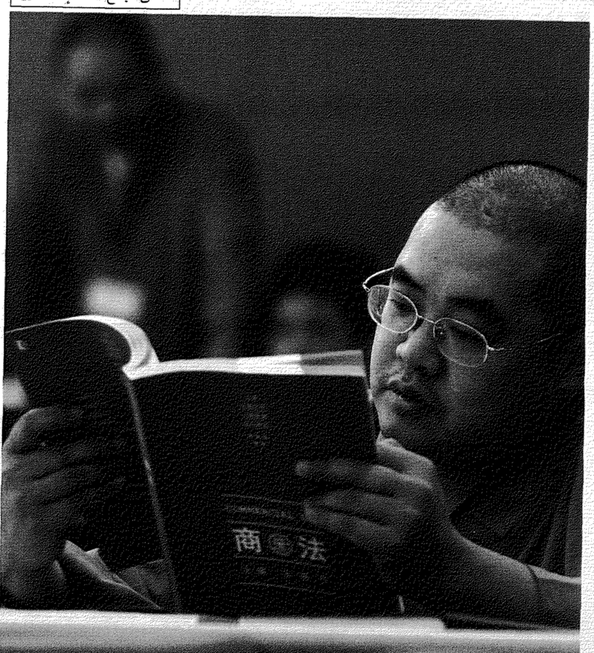
جميع تلك النجاحات لم يكن لها أن تتحقق دون قيادة سياسية واعية أعطت التعليم أولوية قصوى تحققت معها تلك الإنجازات..

مع ذلك.. لم يكن «للحلم الصيني» أن يغدو واقعًا يتشكل ولم يكن للنجاحات الباهرة أن تدهش العالم دون دفع «ضريبة» ربما كانت باهظة.. سيكون «التحدي الصيني» هو التقليل من آثارها الموجعة.

ملف المعرفة المطول لهذا العدد يعرض إنجازات الصين ويعرض أيضًا للإخفاقات وكلفة النجاح.. لنحاول سويًا على طريق الحرير - أن نخترق أو نتسور - أو ندخل مع إحدى بوابات السور العظيم و..نكتشف. المعرفة

هل يخرج النظام التعليمي الجديد التنين الأصفر من خلف سوره العظيم ؟

حسن الباتع* - الإسكندرية



* استاذ مساعد تكنولوجيا التعليم بكلية التربية جامعة الإسكندرية.

تعد التجربة الصينية إحدى التجارب التي تركت بصماتها وأثرت وأحدثت تحولات جذرية في حياة شعوبها، وفي ظل ظروفها كدولة نامية نجد أنها قدمت نموذجًا للتنمية وتجربة مميزة يمكن أن تفيد منها بقية الدول النامية، فقد عاشت الصين مع بداية انفتاحها على العالم الخارجي عام ١٩٧٨ عديدًا من التطورات التي وجهت أنظار العالم إليها، وهي تخوض غمار تجربة التحديث والإصلاح والانفتاح على العالم، وقد بدأت بالجانب الاقتصادي وتعدته إلى بقية الجوانب الاجتماعية والثقافية والساسية.. إلخ.

وليس أدل على انتشار الحضارة الصينية وثقافتها في أرجاء العالم، من انتشار الصناعات الصينية التي باتت الآن تدخل كل بيت على وجه المعمورة، وتثبت وجودها وجودتها وكفاءتها، وأيضًا انخفاض أسعارها لتمحو من أمام المستهلك العالمي منتجات خصمها الأول صاحب السيادة الحالية، ليس ذلك فقط، بل أصبحت المدارس الثانوية في الولايات الأمريكية تتنافس في إدخال اللغة الصينية كلغة ثانية في مناهجها الدراسية، وبات وجود اللغة الصينية ضمن مناهجها ميزة تحسب لها، كما أصبحت الشركات الأمريكية تفضل تشغيل العاملين الذين يجيدون الصينية، بل وأصبح من يتحدث الصينية في أمريكا هو شخص (مودرن) يسير على خُطى الموضه ويُساير إيقاعات العصر.

وقد شهد هذا التحول عمليات توفيق ومواءمة بين الأصالة والمعاصرة في مواجهة التصادم والتعارض مع القديم وعدم التجربة، وشهد العالم مولد صين جديدة بدأت ترتدي ثوب التغيير استعدادًا للاندماج في التيار العالمي، وكان ذلك في الدورة الثالثة الموسعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني التي بموجبها انتصرت تيارات الإصلاح والانفتاح على التيارات الفكرية الأخرى.

والصين في محاولتها للتحديث حاكت سبلها في طريق التنمية في نموذج تحديث خاص بها يختلف عن النموذج الغربي؛ ولذا انطلق هذا التحديث والإصلاح الصيني من معرفة أحوال الصين التي تشتمل على التاريخ الصيني والبيئة الجغرافية المميزة لسطح الصين ومناخها وثرواتها ونمط الثقافة الذي يميز هذه المجتمعات، فضلاً عن الأخذ بأسباب التقدم العلمي والتطبيق التكنولوجي لمبادئ العلم. الأمر الذي انعكس على نظامها التعليمي في هذه البلاد، وجعله يتسم بعدد من الخصائص التي تميزه عن غيره من النظم.

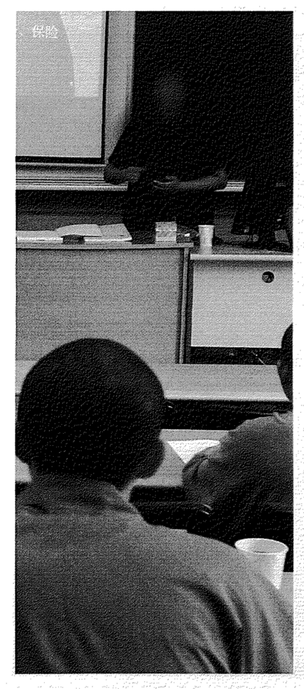
نبذة تاريخية عن تحول الصين للنظام التعليمي الجديد:

كان من جراء حرب الأفيون (١٨٤٠ - ١٨٤٢) التي شنها الغرب على الصين أن اضطرت لفتح أبوابها الكبرى العتيقة، وأجبرت على أن تطأ قدماها طريق التحديث الشاق، والتخلي عن مناهج

التعليم القديمة التي كانت تسمى بـ«النقد النصي»، لأن هذا النوع من التعليم لم يكن كافيًا لمعالجة المواقف السياسية والاجتماعية المضطربة، فظهرت مجموعة من طبقة المثقفين الإقطاعيين الذين تحلوا بالجرأة والجسارة، وأعربوا عن استيائهم إزاء التعليم الكلاسيكي التقليدي الذي يتسم بضيق الأفق والرؤية غير الواقعية، وبذلك بدأت أولى خطوات التغيير الأيدلوجي للتعليم الأكاديمي الذي كان يرتكز على «النقد النصي» في الفترة ما بين ١٧٣٦ إلى ١٨١٩.

وكان من رواد الاتجاه الجديد «لين ته شيو، وقونج تسي تشين، ووي يوان» الذين أرسوا فكرة دراسة العلوم الغربية بالصين، وبالنسبة إلى وي يوان فيعتبر من مؤسسي مدرسة التعليم الغربي الحديث، إذ جسد حتمية التغيير من خلال رؤية تقدمية علمية. وأدركت الصين بعد حرب الأفيون أهمية العلوم الأجنبية وتعلمها والاقتباس منها لدفع العدوان الاستعماري وصيانة البلاد واستقلالها حتى تظل قوية، فكانت أول دفعة سافرت إلى أمريكا مكونة من ثلاثين طالبًا في عام ١٨٧٢م، كما استقبلت كل من إنجلترا وألمانيا واليابان عددًا كبيرًا من الطلاب الصينيين، وشملت الثقافة التي تلقوها في الجامعات الغربية العلوم الإنسانية والطبيعية الجديدة. كما تم إنشاء مدرسة تنج وين كيوان كأول مدرسة للغات الغربية في بكين عام ١٨٦٢، وتبعها إنشاء دائرة الترجمة في شنغهاي عام ١٨٦٥ لترجمة الثقافة الغربية، وخطت الصين نحو الغرب خطوات واسعة بإنشائها في عام ١٨٩٣ أول مدرسة حديثة في ووهان ضمت أقسام الرياضة والعلوم الطبيعية والتجارة. وشهدت الصين بعد حرب الأفيون بسنوات ترجمات صينية عن الغرب في الرياضيات والميكانيكا والكهرباء والكيمياء والصوت والضوء والفلك والجغرافيا وعلم الحيوان والنبات والطب.

وكانت البداية الحديثة للاهتمام بالتعليم في عام ١٩٤٩ وهو ما واكب اندلاع الثورة الصينية وقيام دولة الصين الحديثة، فقد أرادت الحكومة وقتها إصلاح النظام التعليمي، فلم يكن الكثيرون من أفراد الشعب الصيني يحصلون على قسط واف من التعليم، بل كان مقصورًا على فئة بعينها من أبناء الأسر الإقطاعية دون غيرهم من عامة الشعب. وكان الهدف الأساسي لإصلاح النظام التعليمي توفير قوى عاملة مدربة ماهرة تفي بحاجات الأهداف التنموية للشعب الصيني. ومع حلول عام ١٩٥٤م أصبح حق التعليم حقًا مكفولاً لكل أفراد الشعب الصيني بموجب الدستور، ولضمان تمتع الجميع بهذا الحق قامت الحكومة الصينية آنذاك بتشييد مختلف أنواع المدارس والمؤسسات التعليمية والثقافية.



إلا أن المواد الدراسية - التي كانت تدرس وقتها في مرحلة التعليم العام والتي تصل مدتها ١٢ عامًا - لم تكن على المستوى العلمي والتكنولوجي المطلوب، وهو ما جعل كثيرًا من الطلبة يتركون الدراسة لإحساسهم أن محتوى المواد التعليمية لا يتوافق وقدراتهم ولا يشبع حاجاتهم. وفي عام ١٩٥٨م جاءت أول محاولة منظمة من جانب الحكومة لإعادة هيكلة العملية التعليمية لتتماشى مع متطلبات الاقتصاد القومي، إلا أنها باءت بالفشل بسبب عدم التنسيق بين مختلف عناصر العملية التعليمية، بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها الصين ما بين نهاية عام ١٩٥٨ وعام ١٩٥٩ وكانت النتيجة التخلي عن سياسة الإصلاح التعليمي مؤقتًا.

وفي المؤتمر الشعبي الثاني الذي عقد في إبريل ١٩٦٠ نادى لوتينج نائب رئيس الوزراء في تلك الفترة بتبني سياسة إصلاح تعليمية حقيقية تضع في اعتبارها الاستفادة من التكنولوجيا التعليمية، وفي المؤتمر نفسه دعا وزير التعليم هسيو فينج إلى إيجاد أنواع متعددة من الدراسة: مثل الدراسة الليلية، والدراسة بالمراسلة أو من خلال برامج الراديو والتلفزيون، بالإضافة إلى قيام وزارة التعليم في هذه الفترة بالتوسع في إنشاء المعامل المدرسية وإنتاج الأفلام التعليمية وتوفير الأجهزة اللازمة لتطبيق التكنولوجيا الحديثة بالمدارس، وأطلق على هذه العملية التعليمية اسم «التعليم عبر الوسائط الإلكترونية».

وبحلول عام ١٩٦٦ بدأت «ثورة البروليتاريا الثقافية» التي استمرت حتى عام ١٩٧٦، وخلال هذه الفترة قطعت الصين علاقاتها مع العالم الغربي ورفضت كل ما هو غربي حتى الأجهزة التعليمية التي كانت تستوردها من الولايات المتحدة امتنعت عن شرائها، مما جعلها تنتج هذه التكنولوجيا داخل الصين. كما تم تجريم المفكرين والمعلمين ومحاكمتهم لتبنيهم ثقافات غربية، وتم حجب المعلمين عن الإلمام بكل ما هو جديد وارد من الغرب في مجال التعليم. وانقطعت صلتهم بالعالم الخارجي مما أثر بالسلب على عملية الإصلاح التعليمي، وفي ظل هذه الظروف برز على السطح نظام التعليم الأسري،

أصبحت المدارس الثانوية في الولايات الأمريكية تتنافس في إدخال اللغة الصينية كلغة ثانية في مناهجها الدراسية، وبات وجود اللغة الصينية ضمن مناهجها ميزة تحسب لها، كما أصبحت الشركات الأمريكية تفضل تشغيل العاملين الذين يجيدون الصينية

أي تعليم أفراد الأسرة الواحدة بعضهم بعضًا، ونظام التعليم الذاتي دون مساعدة المعلمين، إلا أن هذه النظم التعليمية كانت محدودة الانتشار، وهو ما دلت عليه إحصائيات القوى العاملة بالصين وقتها، فقد أفادت أن أكثر من نصف القوى العاملة بالصين التي انضمت إلى سوق العمالة بعد عام ١٩٦٦ ممن هم دون سن الثلاثين حرموا التعليم، وهو ما جعل الحاجة إلى التعليم أكبر من ذي قبل.

وفي عام ١٩٧٧ اتبعت الصين سياسة تنموية تركز على ٤ عناصر أساسية للوصول إلى التقدم المنشود، وهي الصناعة والزراعة والدفاع والعلم والتكنولوجيا، وكان نصيب الإصلاح التعليمي كبيرًا من سياسات الإصلاح والانفتاح التي اتبعتها الصين. ومع بداية الثمانينيات أصبح النظام التعليمي من أهم العوامل التي تؤثر بالإيجاب على التنمية الاقتصادية إذا أحسن استغلاله، وهو ما أكدته القيادة الصينية من خلال قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في عام ١٩٨٥ بجعل التعليم الأساسي إلزاميًا، وهو القرار الذي أقره البرلمان الصيني عام ١٩٨٦، كما نص القرار نفسه على تغيير المناهج التعليمية وطرائق التدريس، وواكب الإجراءات الإصلاحية في النظام التعليمي تعاظم استخدام أجهزة الكمبيوتر في التعليم، كما تم إنشاء وحدات تعليم

سمعية وبصرية في حوالي ٦٢٪ من المقاطعات الصينية، ومراكز إعلامية في ٨٣٪ من إجمالي المؤسسات التعليمية. وتم إنشاء مؤسسات تعليمية لإعداد المعلمين بهدف تدريبهم على استخدام التكنولوجيا الحديثة وتمرينهم على طرائق التدريس الحديثة.

كما شملت سياسة الإصلاح التعليمي المناطق الريفية، وطبقًا لإحصاءات عام ١٩٩٠م، فإن ٦٢٪ من سكان الريف لم يستكملوا تعليمهم الأساسي بسبب معاناة الكثيرين الفقر المدقع وارتفاع تكاليف التعليم الأساسي والإعدادي؛ لذا رأت الحكومة الصينية ضرورة دعم التعليم في الريف الصيني مع توفير الأجهزة التعليمية الضرورية، كما تبنت الحكومة الصينية برنامجًا لإنشاء المكتبات بالمدارس الريفية حتى تصبح الكتب في متناول جميع الطلاب والمناطق الريفية. غير أن قضية تطوير التعليم لا يمكن أن تتحقق بزيادة تمويل الدولة وحدها، بل لابد من حشد إمكانيات المجتمع لتولي اهتمامًا وتدعم دعمًا مشتركًا لها. وفي ضوء ذلك قام صندوق تنمية الشباب والأطفال الصيني بدعوة وتنظيم مشروع خدمي عام وهو مشروع الأمل في ٣٠ أكتوبر ١٩٨٩م الذي يهدف إلى إعانة الأطفال من الأسر الفقيرة فقرًا مدقعًا على العودة إلى المدارس في المناطق الفقيرة عن طريق تعبئة القوة الاجتماعية والحث على تطوير التعليم الأساسي في مناطق الصين الفقيرة النائية.

لقد نال مشروع الأمل منذ البداية اهتمامًا ودعمًا على نطاق واسع بين جميع الفئات الاجتماعية الصينية. فإلى الوقت الحاضر قد جمع مشروع الأمل الصيني ٢,٧ مليار يوان صيني (يعادل ٣٣٠ مليون دولار أمريكي) وقد تم إنشاء ١١٢٦٦مدرسة بالتبرعات المالية، وحصل أكثر من ٢,٦ مليون تلميذ من الأسر الفقيرة على عون مالي للتعليم، وتلقى أكثر من ٢٠ ألف مدرس متخصص بمدارس الأمل التدريب المهني مما غير مصير عدد كبير من أطفال الأسر الفقيرة. وإلى جانب ذلك أهدى المشروع «مكتبة الأمل» لما يفوق ١٠ آلاف مدرسة ريفية في المناطق الفقيرة النائية، وقام بتركيب أجهزة التعليم المرئية والسمعية الحديثة لأكثر من ٢٠٠٠ مدرسة من مدارس الأمل، الأمر الذي ساعد تلك المناطق على تحسين ظروفها التعليمية والتربوية بصورة ملحوظة. وخلال ١٦ سنة منصرمة أصبح هذا المشروع الذي يدعى «مشروع الأمل» معروفًا وذائع الصيت بين الجميع لكونه أكبر قضية من بين قضايا الخدمة الاجتماعية التي لها تأثير قوي وتنال اهتمامًا واسعًا من كافة الفئات والمستويات الاجتماعية. إنه قد أعطى دفعًا قويًا لتطوير التعليم الأساسي في أنحاء الصين.

عدد المدارس الابتدائية الصينية يبلغ أكثر من ٤٠٠٠٠٠ مدرسة، وعدد طلابها ١٢٠ مليون طالب، ومعدل التحاق الأطفال في سن الدراسة بالمدارس الابتدائية تجاوز ٩٨٪

الأسس والمبادئ التي يرتكز عليها النظام التعليمي في الصين:

ترتكز السياسة التعليمية في الصين على مجموعة من الأسس والمبادئ، وهي كما يلي:

❖ الارتباط الوثيق بين نظام التعليم والفلسفة الاجتماعية: حيث تولي مؤسسات التعليم في الصين عملية التشكيل السياسي وغرس مبادئ الفلسفة الاجتماعية السائدة في نفوس الطلاب، اهتمامًا متزايدًا، فضلاً عن تقديم وجهات النظر السياسية بطريقة مقصودة متقنة لا مثيل لها في باقي الدول.

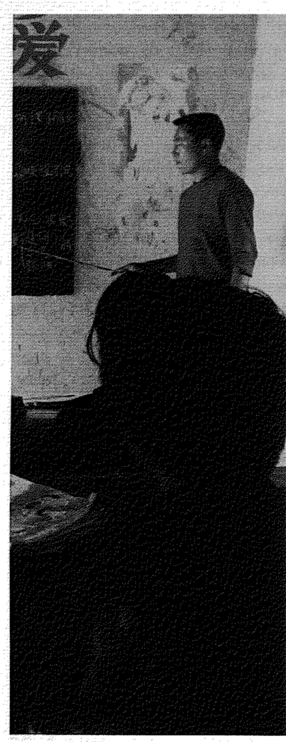
❖ رقابة الدولة على التعليم: باستقراء التشريعات المتعلقة بالتعليم من دساتير وقوانين ولوائح يمكن القول إن الحكومة الصينية هي الجهة الوحيدة المسؤولة عن توفير فرص التعليم وإدارته والرقابة عليه في جميع أنحاء البلاد، وبالرغم من

ذلك فإنه يتاح للسلطات التعليمية المحلية أن تلعب دورًا محدودًا في بعض الجوانب التعليمية لم يكن متاحًا لها من قبل.

❖ التنظيمات الشعبية ومسؤولياتها التعليمية: ما زالت المنظمات الشعبية والحزبية من أبرز خصائص النظم التعليمية في الصين، حيث تلعب دورًا إيجابيًا في جميع أوجه النشاط السياسية والثقافية، كما أنها تساعد بالعمل اليدوي في جميع المناسبات المتعلقة بالعمل الموسمي في الزراعة أو الارتفاع بالإنتاج في الصناعة.

❖ الربط بين دراسة العلوم وتطبيقاتها: من أبرز سمات النظام التعليمي في الصين باعتبارها إحدى الدول الاشتراكية التركيز على الجوانب العملية التكنيكية التي أحدثت تحولات عميقة في الإنتاج الحديث، وتكمن الأسباب وراء هذا الاتجاه في أن الحاجة اليوم ملحة إلى أفراد مدربين تدريبًا عاليًا وعلى كافة المستويات في ميداني الزراعة والصناعة، وهذا يعني أن من السمات البارزة لنظم التعليم في الصين هو الجمع بين شقي المعرفة النظري والعملي، وهكذا يبدو واضحًا أن التعليم في الصين هو تعليم سياسي بالدرجة الأولى، وتسعى برامج التربية السياسية لتحقيق الأهداف التالية:

- تنمية الشخصية المتكاملة للفرد ليكون عاملاً عن وعي اشتراكي اجتماعي ثقافي.
- غرس روح المسؤولية لدى الأفراد، وقبولها كمواطنين.
- احترام الفرد لذاته وللكبار وللسلطات.
- احترام القانون والالتزام به.
- رفع مستوى الوعي بأهمية العمل اليدوي واحترامه.



تنظيم السلم التعليمي في الصين:

نظرًا لأن الصين أكبر دول العالم من حيث تعداد السكان، فقد تبع ذلك زيادة في عدد الذين يتلقون التعليم في مختلف المراحل، إذ تجاوز ٢٠٠ مليون نسمة، ويمكن القول إن النظام التعليمي في الصين الآن أكبر نظام تعليمي حجمًا في العالم، وتنقسم المراحل التعليمية فيها إلى رياض الأطفال والتعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي والجامعي.

وتطبق الحكومة نظام التعليم الالزامي لمدة تسع سنوات في المدارس من الابتدائية إلى الاعدادية، حيث يعفى خلالها الطلاب من الرسوم الدراسية، ونتيجة لجهود الحكومة الصينية في الاهتمام بالتعليم الإلزامي ارتفعت نسبة تعميمه في البلاد من ٨٠٪ قبل بضع عشرة سنة إلى أكثر من ٩٠٪ حاليًا. وفي السنوات المقبلة ستركز الحكومة أعمالها في هذا الصدد على تطوير التعليم الإلزامي في الأرياف

هل يخرج النظام التعليمي الجديد التنين الأصفر من خلف سوره العظيم ؟

والتعليم العالي سعيًا لتوفير فرص التعليم لجميع الأطفال الصينيين وبناء جامعات من الدرجة الأولى في العالم بأسرع وقت ممكن. وفيما يلي وصف تفصيلي لكل مرحلة من المراحل التعليمية في الصين:

❖ التعليم في رياض الأطفال:

التعليم في رياض الأطفال موجه للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث سنوات وست سنوات، وقد وضعت وزارة التعليم الصينية مناهج خاصة لهذه المرحلة وفقًا للقدرات والحالات النفسية المختلفة للأطفال، وتقوم مختلف رياض الأطفال بتوعية وتربية الأطفال لرفع قدراتهم في إدراك الكون واللغة وتمييز الأرقام والقدرة المعيشية، ويبدأ في هذه المرحلة غرس روح العمل الجماعي واحترام السلطة والالتزام بالنظام من خلال أداء بعض الأعمال البسيطة، مثل: مسح الأرضيات وترتيب الأدوات والملابس وتعلم الأناشيد الوطنية، وتوجد في الصين حاليًا ١٥٠ ألف روضة أطفال. وتفيد الإحصاءات أن أكثر من ثلاثين في المائة من الأطفال فقط يتلقون التعليم في روضات الأطفال، أما بقيتهم فهم في رعاية أولياء أمورهم بسبب قلقهم عليهم، وتوجد في الصين رياض أطفال حكومية وأخرى خاصة تمثل حوالي ٣٠٪ من إجمالي رياض الأطفال.

❖ التعليم الابتدائي:

يلتحق الأطفال بالمدارس الابتدائية في سن السادسة، وبموجب قانون التعليم الإلزامي الصيني، يتمتع الأطفال في سن الدراسة بتعليم إلزامي، وعادة ما تقسم مرحلة التعليم الابتدائي إلى فترتين، الأولى مدتها أربع سنوات وتعرف بالمرحلة الابتدائية المتوسطة، والفترة الثانية ومدتها سنتان وتعرف بالمرحلة الابتدائية الراقية، وتشير أحدث الإحصاءات إلى أن عدد المدارس الابتدائية الصينية يبلغ أكثر من ٤٠٠٠٠٠ مدرسة، وعدد طلابها ١٢٠ مليون طالب، ومعدل التحاق الأطفال في سن الدراسة بالمدارس الابتدائية تجاوز ٩٨٪ .

> في الوقت الحالي هناك ٣٠٠ جامعة صينية تقبل الوافدين الأجانب. وتعد الرسوم الدراسية المفروضة على الوافدين الأجانب إلى الصين منخفضة جدًا مقارنة بغيرها من الدول

التعليم الإعدادي:

يطبق في المدارس الإعدادية الصينية نظام التعليم الإلزامي أيضًا، وتمتد مرحلة التعليم الإعدادي ثلاث سنوات . وتشمل المواد الدراسية الرئيسية اللغة الصينية والرياضيات واللغة الإنجليزية والفيزياء والكيمياء والأخلاق والمعلومات. ووفقًا لآخر الإحصائيات، بلغ عدد المدارس الإعدادية الصينية أكثر من ٦٠٠٠٠ مدرسة يدرس فيها ٦٠ مليون طالب، ويربو معدل التحاق الأحداث في سن الدراسة بالمدارس الإعدادية على ٩٠٪. وجدير بالذكر أن معظم المدارس الإعدادية الصينية مدارس حكومية.

❖ التعليم الثانوي:

تشمل المرحلة الثانوية في الصين التعليم في المدارس الثانوية العادية والمدارس الثانوية المهنية والمدارس الاختصاصية متوسطة المستوى. ويطبق فيها نظام تعليم غير إلزامي. حيث يتعين على الطلاب دفع رسوم دراسية، تختلف مبالغها باختلاف الظروف الاقتصادية في مختلف أنحاء البلاد، وتقدر بعدة آلاف يوانات صينية كل سنة تقريبًا، وتمتد مرحلة الدراسة الثانوية ثلاث سنوات، وتضم المواد الدراسية الرئيسية اللغة الصينية والرياضيات واللغة الإنجليزية والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والمعلومات. وبسبب كون التعليم في هذه المرحلة غير إلزامي ظهرت إلى حيز الوجود بعض المدارس الثانوية الخاصة خلال السنوات الأخيرة، لكن تبقى غالبية المدارس الثانوية مدارس حكومية، ويجب على خريجي المدارس الإعدادية المشاركة في

امتحانات عامة قبل الالتحاق بالمدارس الثانوية، وتحدد الدوائر التعليمية المحلية مواضيع الامتحانات وتقرر الحد الأدنى للقبول وفقًا لنتائج الامتحانات، ثم تستقبل المدارس الثانوية الطلاب وفقًا لرغباتهم الذاتية ونتائجهم في الامتحانات. وطبقًا لأحدث الإحصاءات توجد في الصين حاليًا أكثر من ٣٠٠٠٠ مدرسة ثانوية يدرس فيها ٣٠ مليون طالب، ويتجاوز معدل التحاق الطلاب بالمدارس الثانوية ٤٠٪. وتعمل الدوائر التعليمية الصينية حاليًا على تطوير التعليم الثانوي من أجل تلبية متطلبات أعداد كبيرة من الطلاب لتلقي التعليم.



هل يخرج النظام التعليمي الجديد التنين الأصفر من خلف سوره العظيم ؟

❖التعليم العالي:

زادت الجامعات الحكومية الصينية معدل قبولها للطلاب بنسبة كبيرة خلال السنوات المنصرمة، كما ازداد عدد الطلاب الجامعيين عدة أضعاف بالمقارنة مع عام ١٩٩٨، إذ بلغ ٢٠ مليون طالب هذا العام (٢٠٠٦م)، كما ارتفع معدل التحاق الطلاب بالجامعات من ١٠٪ عام ١٩٩٨ إلى ١٧٪ هذا العام. ويوجد في الصين حاليًا أكثر من ٣٠٠٠ جامعة حكومية و أهلية.

وينقسم التعليم العالي في الصين إلى التعليم الاختصاصي (المهني) ومدته ثلاث سنوات، والتعليم النظامي العادي ومدته أربع سنوات، والدراسات العليا (درجتي الماجستير والدكتوراه) ومدة كل منهما تتراوح ما بين السنتين والثلاث سنوات. كما توجد عدة أنواع من الجامعات، منها جامعات عادية ومدارس مهنية على مستوى عال وجامعات الإذاعة والتلفزيون وجامعات الكبار. ويرجع تاريخ التعليم العالي الصيني إلى ما قبل مائة سنة، ويجب على الطلاب أن يشاركوا في امتحانات عامة قبل التحاقهم بالجامعات. وتحدد وزارة التعليم الصينية أو الدوائر التعليمية على مستوى المقاطعة مواضيع الامتحانات، وتقر الحد الأدنى للقبول وفقًا لنتائج الامتحانات، ويلتحق من الطلاب بالجامعات الخاصة أو جامعات الإذاعة والتلفزيون أو جامعات الكبار كل من يفشل في الامتحانات العامة أو من كان موظفًا يريد متابعة الدراسة.

تعليم الأجانب في الصين:

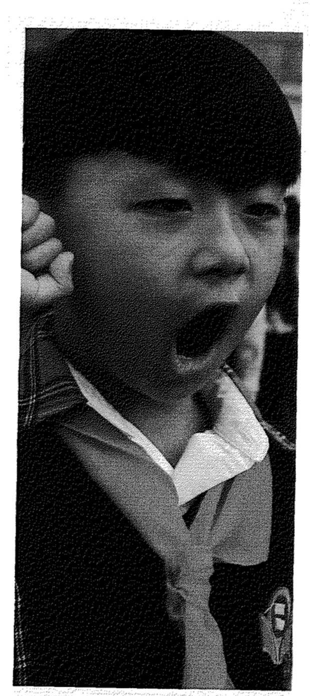
شهد الاقتصاد الصيني نموًا سريعًا خلال السنوات الأخيرة، وارتفعت مكانة الصين الدولية يومًا بعد يوم؛ الأمر الذي جذب عددًا متزايدًا من الطلاب الأجانب إلى الدراسة في الصين . حيث بلغ عدد الوافدين الأجانب في الصين ٧٧ ألفًا من الطلاب القادمين من أكثر من ١٧٠ دولة، بما فيها كوريا الجنوبية واليابان والولايات المتحدة وفيتنام وإندونيسيا وتايلاند وألمانيا وروسيا والنيبال وفرنسا وأستراليا وماليزيا، ومعظمهم جاء للدراسة على نفقته الخاصة، كما أن التخصصات التي يدرسها معظم الطلاب الوافدين في الصين

هي اللغة والتاريخ والثقافة الصينية والطب التقليدي الصيني وغيرها من التخصصات التي تمتاز بها الصين، وتوسع نطاق التخصصات خلال السنوات المنصرمة إلى القانون والمالية والمحاسبة والعلوم وغيرها، كما حرصت الصين على اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتوسيع حجم الطلاب الوافدين إليها، بما فيها السماح للوافدين بالإقامة في منازل السكان المحليين خارج حرم الجامعات والمعاهد، لكي يتصلوا بأبناء عامة الشعب الصيني بصورة أوثق، ويتعرفوا على الصين بصورة أعمق. وفضلاً عن ذلك تتبنى الصين أسلوب التدريس باللغتين الإنجليزية والصينية معًا في مرحلة دراسة الماجستير من أجل جذب الطلاب الذين لا يتمتعون بمستوى عال في اللغة الصينية، ووفقًا لإحصاءات أولية، تجاوز إجمالي عدد الوافدين الأجانب إلى الصين منذ قيام جمهورية الصين الشعبية حتى الوقت الحالي ٦٣٠ ألف طالب من ١٧٠ دولة، حيث يلعب هؤلاء دورًا مهمًا في بناء وتنمية بلدانهم ودفع التبادل والتعاون بين بلدانهم والصين.

وفي الوقت الحالي هناك ٣٠٠ جامعة صينية تقبل الوافدين الأجانب. وتعد الرسوم الدراسية المفروضة على الوافدين الأجانب إلى الصين منخفضة جدًا مقارنة بغيرها من الدول، وعادة ما تبلغ ٢٠ ألف يوان صيني تقريبًا (حوالي ٢٤٠٠ دولار أمريكي) لكل وافد أجنبي عن كل سنة. وتولي الصين اهتمامًا بالغًا لجذب الوافدين الأجانب للدراسة في الصين، ويعد ذلك أحد وسائل رفع مكانة الصين الدولية في مجال التعليم وبناء جامعات من الدرجة الأولى.

التعليم خارج المدارس:

إلى جانب التعليم المدرسي، توجد في الصين كثير من الهيئات التعليمية غير المدرسية لسد حاجة الناس للتعليم. وتضم هذه الهيئات التعليمية غير المدرسية دور الأطفال والأحداث ونوادي الناشئين ودورات تدريبية خارج المدرسة والتعليم على شبكة الإنترنت. ويمكن للأطفال والأحداث أن يتعلموا فيها الموسيقى وفنون الرقص والرسم ويكملوا معلوماتهم المدرسية وغير المدرسية بالإضافة إلى المشاركة في



مختلف النشاطات العلمية والترفيهية.

تمويل التعليم:

عززت الحكومة الصينية خلال السنوات الأخيرة تمويلها للتعليم، إذ شكلت نفقات التعليم في المالية ٢,٨٢٪ من إجمالي الناتج المحلي في عام ٢٠٠٥، بزيادة ٠,٠٣ نقطة مئوية عن عام ٢٠٠٤، هذا وقد بلغت نفقات التعليم في الصين ٨٤١,٨٨٤ مليار يوان (١٠٧,٥٢ مليار دولار أمريكي تقريبًا) في عام ٢٠٠٥، بزيادة ١٦,٢٤٪ عن عام ٢٠٠٤، ومنها ٥١٦,١٠٨ مليار يوان (٦٥,٩١ مليار دولار أمريكي تقريبًا) لنفقات التعليم في المالية المركزية

بزيادة ١٥,٥٧٪، إلى جانب ذلك، بلغ إجمالي الاستثمارات التي خصصتها الميزانية المركزية والميزانيات المحلية ٤٦٦,٥٦٩ مليار يوان (٥٩,٥٩ مليار دولار أمريكي تقريبًا) في عام ٢٠٠٥، بزيادة ١٥,٨٤٪ عن عام ٢٠٠٤، ومنها ٣٤,٩٨٥ مليار يوان (٤,٤٧ مليار دولار أمريكي تقريبًا) لنفقات التعليم من المالية المركزية، بزيادة ١٦,٨٣٪، وذلك أعلى من معدل الزيادة للإيرادات الدائمة للمالية المركزية.

وقد أظهرت دراسة أجرتها مصلحة الدولة للإحصاء أن نمو النفقات التعليمية أسرع من نمو سائر النفقات الاستهلاكية الحالية في المدن الصينية، فقد بلغ معدله حوالي ٢٠٪ سنويًا. وتماشيًا مع التطور السريع لعملية العولمة الاقتصادية في هذا القرن وانضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية، شهدت الصين تغيرًا كبيرًا في تنميتها الاقتصادية والاجتماعية، وهذا يعني أنه على هيئات التعليم الصينية أن تفكر من جديد في نمط تربية الأكفاء وتسرع في تطوير التعليم.

وبعد أن استعرضنا النظام التعليمي للصين الشعبية، فهناك سؤال يطرح نفسه على الساحة، هل يمكن أن تفيد الدول العربية من هذه التجربة مع الأخذ في الاعتبار بالاحتفاظ بهويتها؟ والسؤال الثاني هل ستغادر الصين سورها العظيم لتلعب دورًا أكثر نشاطًا وتأثيرًا على الساحة العالمية أم ستظل خلف سورها العظيم وفنائها الآسيوي؟ ■

المراجع والمصادر

فاروق شوقي البوهي وفاطمة عبدالقادر حسن (٢٠٠١). دراسات في التربية المقارنة، الجمهورية الحديثة: القاهرة.

فهد إبراهيم الحبيب (مارس ٢٠٠٧). الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة، المعرفة، العدد ١٤٣.

HYPERLINK "http://www.eqra.com/html/modules.php" http://www.eqra.com/html/modules.php?

HYPERLINK "http://arabic.cri.cn/chinaabc/chapter8/chapter80101.htm" http://arabic.cri.cn/chinaabc/chapter8/chapter80101.htm

HYPERLINK "http://arabic.china.org.cn/archive2006/txt/200227/12-/content_2054819.htm" http://arabic.china.org.cn/archive2006/txt/200227/12-/content_2054819.htm

HYPERLINK "http://www.arabic.xinhuanet.com/arabic/200701/01-/content_369039.htm" http://www.arabic.xinhuanet.com/arabic/200701/01-/content_369039.htm

HYPERLINK "http://arabic.cri.cn/20462859@41/18/09/2006/.htm" http://arabic.cri.cn/2042/62859@41/18/09/006.htm

HYPERLINK "http://ar.chinabroadcast.cn/chinaabc/chapter1/images/guoqi.gif" http://ar.chinabroadcast.cn/chinaabc/chapter1/images/guoqi.gif

HYPERLINK"http://www.aljazeeratalk.net/portal/content/view/365"http://www.aljazeeratalk.net/portal/content/view/365

HYPERLINK "http://www.chinaculture.org/cnstatic/doc/photo/ktaw.doc" www.chinaculture.org/cnstatic/doc/photo/ktaw.doc

HYPERLINK "http://babele.po-net.prato.it/ar/htm/scuolac.htm" http://babele.po-net.prato.it/ar/htm/scuolac.htm

HYPERLINK "http://ar.chinaradio.cn/128202@64/30/11/2004/.htm" http://ar.chinaradio.cn/128202@64/30/11/2004/.htm

السور العظيم وطريق الحرير علامات بارزة فيه..

تاريخ الصين

د.سيد همام* - القاهرة

* استاذ جامعي.

إن تاريخ الصين المدون والمعروف لنا يمتد لحوالي أربعة آلاف عام تقريبًا، وبذلك فهو يمثل تاريخًا لأقدم الحضارات الإنسانية على الأرض. أما التاريخ غير المدون فيمتد لأكثر من ذلك بكثير، فقد اكتشفت متحجرات الإنسان (البدائي) في يوانمو بمقاطعة يوننان على أسنان بشرية (سنين) للإنسان المعروف بـ«إنسان يوانمو» الذي عاش قبل ١,٧ مليون عام تقريبًا، وهو أول إنسان (بدائي) معروف داخل حدود الصين. وتم اكتشاف بعض الآلات البسيطة المصنوعة من الحجر والتي تعود إلى هذه الفترة.

كما تنتشر في أنحاء الصين أطلال العصر الحجري الحديث والتي تعود لعشرة آلاف عام تقريبًا.

ويدل الكشف الأثري على أن الصينيين قد عرفوا قبل حوالي ٨٠٠٠ عام تقريبًا الزراعة على حدود بعض المجاري المائية مثل البحر الأصفر وقاموا في بعض مقاطعات الصين بزراعة الأرز وبعض الحبوب واستخدموا في ذلك الأدوات الزراعية البسيطة، كما قاموا بصناعة الخزف، وهناك أدوات تم اكتشافها تعود لتلك الفترة.

وفي العقود الأخيرة بدأت الصين تظهر بقوة في وسائل الإعلام العالمية وبدأ الحديث عنها بشكل يثير الإعجاب والدهشة والحيرة معًا. فبعد أن كانت الصين وحتى تسعينيات القرن الماضي دولة من دول العالم الثالث المتخلف، والتي يطلق عليه تأدبًا «الدول النامية»، بدأ الحديث عنها الآن كقوة عالمية جديدة على الساحة الدولية، بما تملكه من قوة عسكرية نووية وقوة اقتصادية جبارة وغزت منتجاتها أسواق العالم المتقدم والنامي على حد سواء، هذه القوة العسكرية بالذات أهلتها بقوة لأن تكون إحدى الدول المرهوبة الجانب وأصبحت إحدى الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، ولها حق الفيتو (الاعتراض على قرارات مجلس الأمن وتعطيلها انطلاقًا من هذا الحق). كما أن كل الأرقام التي تتحدث عن هذا البلد في كل شؤونه مثار للحديث المتجدد: فعدد سكان الصين يزيد عن ١,٣ مليار نسمة، وهو يمثل خمس سكان المعمورة، وهو أكثر من سكان الولايات المتحدة الأمريكية وكل أوروبا على السواء. ومن حيث المساحة فإن مساحة الصين تبلغ حوالي ٩,٦ مليون كيلو متر مربع (المساحة تشمل أراضي تايوان وهونج كونج ومكاو) وهي بذلك تكون رابع أكبر دولة في العالم من حيث المساحة بعد روسيا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية. وتبلغ المساحة البحرية الصينية حوالي ٤٧٣ مليون كيلو متر مربع (ففيها بحر يوهاي وهو بحر داخلي، والبحر الأصفر وبحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي وتقع على أطراف المحيط الهادي). وتتناثر في مناطق الصين البحرية ٥٤٠٠ جزيرة، أكبرها جزيرة تايوان ومساحتها ٣٦ ألف كيلو متر مربع.

وإذا ما عدنا للأرقام المبهرة مرة ثانية عند الحديث عن الصين فإننا نتذكر على الفور سور الصين العظيم والذي يمتد لمسافة تزيد عن ٥٠٠ كيلو

متر في شمال الصين والذي قام ببناؤه أكثر من ٣٠٠ ألف شخص في بضعة عشر عامًا إبان حكم الإمبراطور تشين شي هوانج (٢٥٩-٢١٠ قبل الميلاد).

وقد بدأ هذا الإمبراطور في بناء مقبرته الضخمة الحجم وهو على قيد الحياة، وقد تم اكتشاف هذه المقبرة الرائعة في عام ١٩٧٤م، وقد هز الاكتشاف العالم آنذاك واعتبره البعض «الأعجوبة الثامنة في العالم»، إذ إن المقبرة تحوي ٨٠٠٠ تمثال من الجنود والخيول والعربات الحربية الصلصالية بالحجم الواقعي لحراسة مقبرة هذا الإمبراطور.

ولا يمكن لنا هنا في مقالة صغيرة الحجم كهذه الوقوف على دقائق هذا التاريخ الممتد وسرده بشكل واف بكل فتراته وملوكه وشعوبه وحضارته، إذ إن كل فترة من فترات هذا التاريخ الطويل بكل تفاصيله ربما تحتاج لمجلدات، ولكننا سنحاول هنا أن نمر على عجالة على أبرز المحطات التاريخية لهذا التاريخ المدون والذي يصل لحوالي ٤٠٠٠ عام تقريبًا وصولاً للعصر الحديث، والذي تتبوأ فيه الصين مكانة عالمية مرموقة في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعلمية والرياضية إلخ. ونهدف من هذا العرض السريع أن يقف القارئ العزيز بشكل سريع على تاريخ هذه الحضارة التي بهرت ولا تزال تبهر العالم بما قدمته وتقدمه وما سوف تقدمه للبشرية بما تمتلكه من معطيات وآليات لذلك.

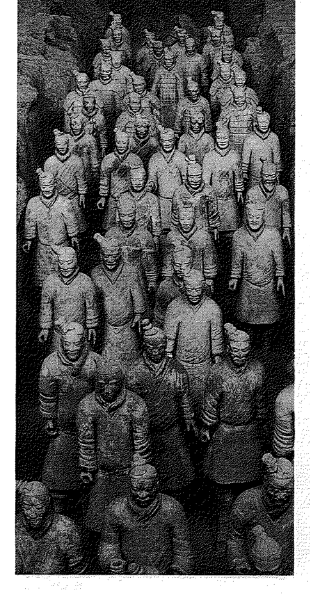
ويمكننا الآن أن نقسم على عجالة تاريخ الصين إلى الفترات الآتية:

١- فترة ما قبل التاريخ المدون.
٢- فترة الأسر الأولى.
٣- فترة القياصرة (الإمبراطوريات).
٤- نشأة جمهورية الصين.
٥- نشأة جمهورية الصين الشعبية وعلاقتها بتايوان.

أما وقد سبق الحديث عاليه عن فترة ما قبل التاريخ المدون، فإننا سنعرض على عجالة أيضًا للفترات الباقية.

الممالك أو الأسر الأولى

أول أسرة ملكية في تاريخ الصين هي أسرة تشيا، ويعود تاريخها لحوالي ٤٠٠٠ عام تقريبًا، أي في حوالي عام ١٧٦٦ قبل الميلاد. ولا توجد أدلة مباشرة ومكتوبة عن وجود هذه الأسرة، وإنما هناك تقارير لا يمكن الاعتماد عليها بشكل كبير عن هذه الفترة. ومما يمكن الاعتماد عليه في هذا السياق لتأكيد وجود هذه الأسرة بجانب التقارير هي تلك الاكتشافات الأثرية التي تعود لهذه الفترة والتي ترجح قيام نظام لملكة يعتمد على انضمام القبائل لبعضها تحت حكم أسرة تشيا. وتركزت هذه الأسرة في غربي مقاطعة خنان وجنوبي مقاطعة شانسي وبسطت نفوذها وتأثيرها إلى جنوب البحر الأصفر وشماله. وكان آخر حكام هذه الأسرة هو الحاكم السابع عشر كيا، والذي تم خلعه عن العرش جراء الاضطرابات الدموية والتمرد عليه مما جعله ينسحب مع مجموعة قليلة من الموالين له إلى المناطق الشمالية، مما أفسح المجال لظهور أسرة تشانج (حوالي ١٧٥٠ – ١٠٦٦ قبل الميلاد). وقد وردت لنا عن هذه الفترة أدلة



مكتوبة أمكن تحديد تاريخ نشأتها بطريقة الكشف الكربوني. وقد عرف الصينيون في هذه الفترة فن صهر البرونز وسك العملة وبناء الأسوار وصنع العربات الحربية التي تجرها الجياد. كما استحدثت أسرة شانج نظام لإدارة شؤون المناطق الخاضعة لها، ووصل نفوذها في أوج قوتها من وسط وجنوب البحر الأصفر إلى المنطقة المعروفة اليوم بمقاطعة لياوننج ونهر اليانجسته. وتدل المكتشفات الأثرية على أنه كانت توجد أيضًا بعض الحضارات المستقلة عن أسرة شانج، وقد عرفت هذه الحضارات أيضًا الذهب والبرونز والصيد إلخ.

وبعد أسرة شانج ظهرت أسرة تشو (١٠٤٥ – ٢٢١ قبل الميلاد). وتنقسم فترة أسرة تشو إلى فترة أسرة تشو الغربية وفترة أسرة تشو الشرقية. كما تنقسم فترة تشو الشرقية إلى فترة عصر الربيع والخريف وعصر الممالك المتحاربة اللذين انحط فيهما نفوذ الأسرة الملكية وتنافس الأمراء والحكام من أجل الهيمنة. وظهرت حوالي ١٧٠ مملكة صغيرة غير متماسكة، مما أسفر عن وجود محاولات في فترة الممالك المتحاربة لتوحيدها والوصول بها لسبع ممالك فقط. وأيًا ما كان الأمر فقد ازداد عدد سكان الصين في هذه الفترة نتيجة لتحسين طريق الزراعة. وفي هذه الفترة تم صنع الأسلحة من الحديد. وقد أنتجت هذه الفترة الكثير من الفلاسفة العظام مثل لاوتسي وكنفوشيوس ومنشيوس الذين أثروا ولا يزالون يؤثرون في الأجيال الصينية المتعاقبة.

فترة القياصرة

إن إمبراطورية القياصرة الصينين التي دامت لأكثر من ألفي عام تتسم بشكل عام بفترات هدوء واستقرار نسبي مع وجود القلاقل وهجمات الشعوب البربرية من المناطق الشمالية والتناحر بين الأسر الحاكمة مما أدى إلى تقسيم البلاد لفترات طويلة. ويهتم كتاب التاريخ الصينين بوصف أهم الأحداث في الأسر الكبيرة وإغفال فترات الانقسام إلى حد بعيد. وفيما يلي سنعرض بشكل سريع لأهم هذه الأسر الحاكمة.

إمبراطورية تشين (٢٢١ – ٢٠٧ قبل الميلاد)

تعتبر امبراطورية تشين إحدى الممالك السبعة التي ظهرت بعد فترة أسرة تشو. وكان لهذه

وإذا ما عدنا للأرقام المبهرة مرة ثانية عند الحديث عن الصين فإننا نتذكر على الفور سور الصين العظيم والذي يمتد لمسافة تزيد عن ٥٠٠٠ كيلو متر في شمال الصين والذي قام ببناؤه أكثر من ٣٠٠ ألف شخص في بضعة عشر عامًا إبان حكم الإمبراطور تشين شي هوانج (٢٥٩–٢١٠ قبل الميلاد)

الإمبراطورية نظامها الإداري والتشريعي لتنظيم حياة الفلاحين. وقد استطاع أحد التجار واسمه لو بوفاي من أن يجعل الأمير شوانج زيانج يتربع على كرسي العرش بالدسائس والمكائد، وأن يجعل الأمير يعينه مستشارًا له. وبعد موت الأمير أصبح ابنه تشاو تشنج ملكًا جديدًا. واتسم هذا الملك الجديد بالوحشية. وقد حدثت مؤامرات عديدة لاغتياله ولكنها باءت بالفشل. واستطاع هذا الملك إخضاع الممالك الأخرى، وحقق في عام ٢٢١ قبل الميلاد وحدة الإمبراطورية، ونصب نفسه على عرش الإمبراطورية كأول قيصر وأطلق على نفسه لقب «القيصر الإلهي الأول لتشين». وأدخل بعد ذلك سلسلة من الإصلاحات وتم تطبيق النظام الإداري لتشين على كل أجزاء الصين وأدخل المعايير والموازين الدقيقة واستطاع الوزير لي سي توحيد الكتابة الصينية. واستطاع القيصر من خلال أعمال السخرة إنجاز أكبر سور صيني لربط أسوار الممالك السبعة ببعضها ولتكون حائط صد ضد القبائل البربرية في الشمال وتم تشييد القنوات المائية لنقل البضائع. وفي عام ٢١٠ قبل الميلاد توفي القيصر وتم وضع جثمانه في مقبرة عملاقة. وبعد موته بقليل ثار الفلاحون على ابنه وحدثت حرب أهلية مهدت الطريق لحكم أسرة هان.

امبراطورية هان (٢٢٠ - ٢٠٦) قبل الميلاد

نجح القياصرة الأوائل لأسرة هان في إخماد

الفتنة بتخفيض الضرائب على الفلاحين وتوزيع الأراضي الزراعية عليهم. وقد أدت الإجراءات الناجحة لحدوث فترة ازدهار في العهد الإمبراطورية. وفي الحقيقة كانت أسرة هان ناجحة من الناحية العسكرية والاقتصادية لدرجة أنه أصبح يطلق على الشعب الصيني منذ تلك الفترة اسم الصينين الهان.

وفي أثناء تلك الفترة تم دمج التجمعات الشعبية القاطنة في جنوب الصين الحالية للإمبراطورية، وبلغ تعداد السكان حوالي ٥٠ مليون نسمة. وبإخضاع الدويلات الصغيرة على طول طريق الحرير نشأت العلاقات التجارية بشكل غير مباشر مع الإمبراطورية الرومانية. وكان طريق الحرير هذا يربط بين مدينة شيآن الآلية بمقاطعة شنسي وبين الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، مارا بشيجيانغ وآسيا الوسطى. وانتقلت عبر هذا الطريق والذي عرف باسم «طريق الحرير» المنسوجات الحريرية الصينية الزاهرة إلى الغرب بلا انقطاع. عبر هذا الطريق دخلت الديانة البوذية الصين في القرن الأول الميلادي. أما القياصرة من أسرة هان فكانوا يتخذون من الكونفشيوسية فلسفة للدولة والتي ظلت سارية لفترة ٢٠٠٠ عام بعد ذلك. وفي عام ١٠٥م اخترع موظف صيني يدعى تساي لون فن صنع الورق، مما

عاشت الصين فترة من التوتر الاجتماعي في القرن التاسع عشر بسبب الكوارث الطبيعية والضغوط الأوروبية الخارجية وبخاصة من بريطانيا التي كانت تعاني عجز الميزان التجاري مع الصين بسبب استيرادها الشاي بكميات ضخمة من الصين محققًا عجزًا قدره ٢٠ مليون جنيه إسترليني سنويًا.

أدى إلى حدوث ثورة في عالم الكتابة آنذاك.

وبعد هذه الفترة الزاهرة جاءت فترة الاضمحلال والضعف. ومما أدى لإضعاف إمبراطورية هان قيام وانج منج (٨ بعد الميلاد إلى ٢٥ بعد الميلاد) باغتصاب عرش القيصرية وأنهى بذلك عرش أسرة هان الغربية، وتلتها أسرة هان الشرقية. وقد ضعف حكم أسرة هان بسبب الصراعات الداخلية وتنامي قوة العسكريين في المناطق المحلية وأدت الانتفاضات بقيادة إحدى الطوائف الطائية بإدخال البلاد في فوضى عارمة.

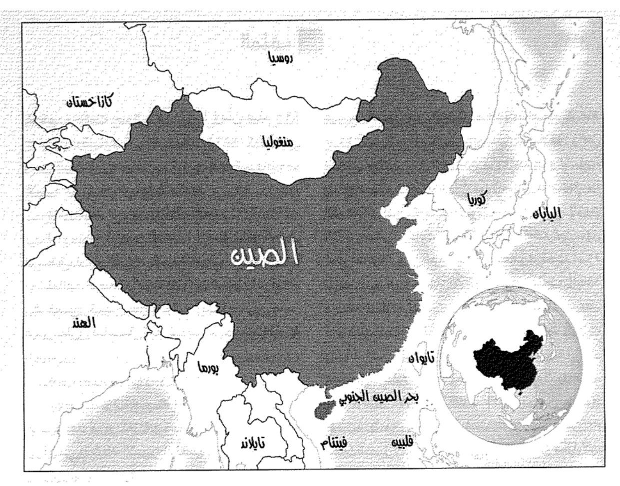
فترة الممالك الثلاثة (٢٢٠ - ٢٨٠م)

قبل خلع القيصر زيانج كآخر قيصر من أسرة هان بفترة طويلة كان قد أصبح ألعوبة في يد العسكريين الطامحين والذين قاموا بحبسه، وأدى ذلك لانهيار الدولة المركزية، وقام كل أمير من أمراء الحرب بحكم المناطق التي يقيم عليها، وكان بعضهم يقوم بعمل معاهدات قصيرة مع البعض الآخر ثم يتبدل الأمر بالمواجهات العسكرية. وفي عام ٢٢٠ وبعد خلع آخر قياصرة أسرة هان تكونت من هذه المواجهات العسكرية ثلاث ممالك هي مملكة واي في المناطق الواقعة بين وسط وجنوب البحر الأصفر، ومملكة شو في مقاطعة سيشوان، وأخيرًا مملكة وو في المنطقة الخصبة لنهر اليانجسته.

وقد انتهت فترة الممالك الثلاثة على يد أحد وزراء مملكة واي ويدعى سيما يان، إذ قام بخلع آخر قياصرة أسرة واي ونصَّب نفسه مكانه وأسس بذلك بداية عهد جديد، عُرِفَ بعهد أسرة ين. وقد أدى ضعف المملكتين الأخريين إلى أن يتمكن سيما يان هذا من توحيد البلاد بعد ٦٠ عامًا من الانقسام والفوضى.

فترة أسرة ين (٢٦٥ — ٤٢٠م)

أصاب الضعف أسرة ين بعد وقت قليل من نجاحها في توحيد البلاد بسبب اندلاع الخلاف المسلح بين أشقاء القيصر، مما مكن بدو الشمال من استغلال هذا الوضع ودخول البلاد. وبالقبض على قيصر أسرة ين وإعدامه انتهت أسرة ين الغربية. وفر أحد أقارب القيصر وأسس أسرة ين الشرقية في مدينة نانينج الحالية، أما قلب المناطق الصينية فقد اجتاحته الفوضى العارمة، ولم يتمكن بدو الشمال



الغزاة من تحقيق الاستقرار في المناطق التي دخلوها وانهارت ممالكهم الستة عشر بسرعة.

فترة الأسر الجنوبية والشمالية (٤٢٠ – ٥٨١)

بعد نهاية فترة ين تشكل معسكران: أحدهما للأسرة الأجنبية الشمالية على امتداد البحر الأصفر، والأخرى لأسرة وطنية على امتداد نهر اليانجسته. ومن الطبيعي أن تكون هناك مواجهات بين الأسرتين لتحقيق وحدة البلاد ولفرض السيطرة، إلا أن أيًا منهما لم يتمكن من ذلك. وكانت من نتيجة تلك المواجهات زيادة قوة ونفوذ العسكريين. وفي الجنوب كان أقوى العسكريين يقوم بخلع الملك وينصب نفسه مكانه ويؤسس لأسرة، إلا أن يأتي أحد العسكريين الأقوياء ويقوم بخلعه وهكذا. وقد أدى ذلك لأن تتولى أربع أسر على مدار ١٥٠ عامًا الحكم في هذه المناطق. وفي الشمال انقسمت الإمبراطورية بعد فترة إلى قسمين. وفي هذه الفترة من عدم الاستقرار عاشت البوذية أزهى عصورها وانتشرت في الصين، بل إن بعض الممالك الشمالية قد أدخلت هذه الديانة واعتبرتها دينًا للدولة. ويعود كثير من المعابد البوذية لهذه الفترة.

فترة أسرة سويي (٥٨١ - ٦١٨)

بعد ٣٠٠ عام من الانقسام استطاعت أسرة سويي توحيد البلاد. ولم يكتب لهذه الأسرة البقاء طويلًا في الحكم بسبب الضرائب العالية وأعمال السخرة التي فرضتها الأسرة على الفلاحين، مما أدى بسرعة لظهور التمرد والثورة، مما مهد الطريق لأسرة جديدة هي أسرة تانج التي استفادت من الإصلاحات والمنشآت مثل قناة القيصر التي تربط حتى اليوم بين شمال الصين ودلتا نهر اليانجسته والتي قامت بها أسرة سويي.

فترة أسرة تانج (٦١٨ – ٩٠٧)

تمثل فترة أسرة تانج مثلها مثل فترة أسرة هان ذروة فترة القياصرة الصينية. ففي هذه الفترة ازدهرت التجارة مع الغرب عبر طريق الحرير ووصلت المسيحية لأول مرة للصين. كما توطدت العلاقات بشكل مكثف مع اليابان، ووصلت البوذية اليابان عن طريق البحر. وتطورت فنون الغزل والنسيج وصناعة السفن والمواصلات البرية والبحرية. وفي خلال المائة والخمسين عامًا الأولى من حكم أسرة تانج قامت الصين بحملات عدائية لغزو آسيا الصغرى وشبه الجزيرة الكورية.

أما الضعف الذي دب في أسرة تانج فيرجع للصراع الداخلي على السلطة. وهكذا استطاعت الإمبراطورة الوحيدة في تاريخ الصين وو تستيان عن طريق الدسائس والطرق الدموية الوحشية الوصول

للحكم، وحكمت حوالي ١٥ عامًا (من عام ٦٩٠ – ٧٠٥). وقد أدى تمرد آن لوشان (٧٥٦-٧٦٣) إلى دخول البلاد تحت حكم أسرة تانج في فوضى وأضعف الأسرة الحاكمة حتى نهاية حكمها.

فترة الأسر الخمس والممالك العشر (٩٠٧-٩٦٠)

لم يستطع أواخر قياصرة أسرة تانج تحقيق الاستقرار في البلاد، كما قام قواد الجيش في مقاطعاتهم البعيدة بالاستقلال عن السلطة المركزية. وفي غضون خمسين عامًا توالت وبشكل سريع خمس أسر على العاصمة كما نشأت عشر مستقلة في الجنوب.

فترة أسرة سونج (٩٦٠-١٢٧٩)

نجحت أسرة سونج في البداية في تحقيق وحدة الصين بعد مرور ثلاثة وخمسين عامًا من الصراع الداخلي ونشأة الأسر الخمس والممالك العشر. واستفادت أسرة سونج من تجربة أسرة تانج وأسباب انهيارها وأولت قيادة الجيش لقائد مدني. وخضعت الإمبراطورية بأكملها للسلطة المركزية للقيصر عن طريق إنشاء المكاتب ومراكز الشرطة في كل أنحاء الإمبراطورية. وتم توزيع العملة الورقية واكتسبت التجارة البحرية أهمية خاصة. كما حفلت فترة سونج بالعديد من الاختراعات، ونشأت في عام ١١٠٠ مصانع الحديد والصلب العملاقة والتي أنتجت حوالي ١٥٠ ألف طن من الحديد والصلب. وأنتج الصينيون عام ١٠٧٨ من الصلب ما يعادل ما أنتجته إنجلترا في بداية الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر. وكانت الدولة تكافئ المخترعين على اختراعاتهم. ومن أهم أعمال التحديث تحت أسرة سونج إدخال زراعة الأرز، وأصبح جنوب البلاد مخزنًا للغلال للصين نظرًا لمناخه المناسب، وقد أدى ذلك لانتقال المراكز الاقتصادية لجنوب البلاد. ونشأت المدن التجارية الجديدة على ضفاف الأنهار مما ساعد على ازدهار تصدير الحرير والبورسلين. ونظرًا لهذا الازدهار الاقتصادي وتحسن مستوى المعيشة في هذه الفترة تضاعف عدد السكان من ٥٠ مليون ليصل إلى مائة مليون نسمة. إلا أن محاولات الإصلاح المتسارعة والطموحة بشكل مبالغ فيه لوانج أنشي وذلك لتخفيف التوزيع غير العادل للأراضي والتخفيف من حدة النظام الفاسد للموظفين لم يكتب لها النجاح بسبب مقاومة الموظفين المحليين، الذين كانوا يستشعرون الضرر جراء تنفيذ هذه الإصلاحات (١٠٦٩-١٠٨٥).

أما أسرة سونج فقد كانت تستشعر التهديد الخارجي باستمرار، مما أدى بالإمبراطورية للإسراع وتحويل الإمبراطورية إلى دولة ذات جيش على أعلى مستوى من التسليح قادر على التدخل باستمرار في الصراعات الحدودية. إلا أن الإمبراطورية كانت تقف موقف الدفاع تجاه محاولات الاستقلال على حدودها، كما أن قواد الجيش لم يحققوا إلا نجاحات بسيطة ضد أسرة لياو وأسرة يين بعد ذلك في شمال الصين. وقد أدى هذا كله إلى سقوط العاصمة كايفينج عام ١١٢٦ وسقوط القيصر هويتسونج في الأسر. أما مملكة أسرة سونج الجنوبية التي أسسها جاو تسونج ابن القيصر هويتسونج فقد استطاعت البقاء ١٥٠ عامًا أخرى بفضل المانع المائي وهو نهر اليانجسته على حدود مملكة سونج الجنوبية وسياسة التهدئة التي كان يتبعها.

وعلى الرغم من أن الصين كان يحكمها في فترات كثيرة حكام من الشعوب الشمالية، إلا أن الحس الوطني والاعتزاز بالقومية قد تولد ولأول مرة لدى

استطاعت بريطانيا فرض حقها في إدخال الأفيون للصين ونشأت حرب الأفيون الأولى والثانية لكي تتمكن بريطانيا من معادلة العجز التجاري مع الصين. وقدمت الصين بعد خسارتها للحرب تنازلات للقوى الأجنبية وتنازلت في معاهدة نانكينج عام ١٨٤٢ عن هونج كونج وبعض الموانئ لإنجلترا. وانهار الجزء الأكبر من الاقتصاد الصيني وعم الفقر نتيجة لذلك

الصينيين في حقبة أسرة سونج. ويرجع السبب في ذلك لمعاملة حكام أسرة لياو وأسرة ين للصينيين الهان في شمال الصين على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية واتباع سياسة التفرقة عند التعامل معهم. ولذلك فقد ظهر هنا ولأول مرة مفهوم البطل القومي.

أسرة يوان ١٢٦١-١٣٦٨

عندما اجتاحت الجيوش المتجولية قارة آسيا سقطت مملكة أسرة ين وبعدها بقليل مملكة أسرة شيا في الغرب وأخيرًا أسرة سونج الجنوبية، وقام قبلاي خان حفيد جنكيز خان الذي أقام مملكة منغوليا في شمال الصين بتأسيس أسرة يوان في الصين. وقد واصل حكام هذه الأسرة سياسة التفرقة العنصرية مما أدى لعدم قبول حكامها من الصينيين. وبالرغم من هذا فقد ازدهرت التجارة مع آسيا الوسطى وخارجها.

أسرة مينج (١٣٦٨ - ١٦٤٤)

لم يكن الشعب الصيني راضيًا عن هذا الحكم الأجنبي، وأسفر ذلك عن حدوث الثورات المناهضة للحكم الأجنبي من قبل الفلاحين، مما أدى في النهاية لاندحار المنغوليين وتولت أسرة مينج حكم البلاد عام ١٣٦٨م. وبدأت الصين تزدهر من جديد، وبدأت الصناعات اليدوية والفنية والخزف الصيني تصل لآفاق أعلى. ولم يول مؤسس أسرة مينج تشو يوانتشانج أهمية خاصة للزراعة، على الرغم أن جذوره من الفلاحين. وقامت الدولة بمصادرة الملكيات الكبيرة وقامت بتوزيعها وتأجيرها لصغار الفلاحين، وتم إلغاء نظام العبودية الخاصة وزادت في هذه الحقبة قوة السلطة المركزية والبيروقراطية الإمبراطورية وخضع التجار الأجانب لنفس القيود واللوائح المطبقة على أهل البلاد.

وبينما تناقص عدد سكان الصين في عهد المنغوليين حوالي ٤٠٪ ليصل لحوالي ٦٠ مليون نسمة، تضاعف هذا العدد بعد مائتي سنة تحت حكم أسرة مينج. وفي بداية عهد هذه الأسرة تحققت نجاحات بحرية هائلة جعلت من الصين دولة تقنية وبحرية رائدة في العالم آنذاك. وكانت سياسة الدولة تميل للتوسع الخارجي وإن كان التهديد الخارجي وبخاصة من المنغوليين لم يتوقف. وفي عهد أسرة مينج تم ولأول مرة افتتاح مراكز تجارية غربية في مكاو على يد البرتغاليين. أما في الداخل فقد أنشأ قياصرة أسرة مينج شبكة لا مثيل لها في التاريخ الصيني من أجهزة المخابرات التي كان على رأسها رجال أقوياء من الخصيان. وعندما وصل تشونج تشين كآخر قيصر لأسرة مينج للسلطة حاول تقييد سلطة هؤلاء الخصيان وتخفيف العبء عن كاهل الفلاحين، إلا أن



هذه الإجراءات قد جاءت متأخرة جدًا. فعندما ثار الفلاحون في مقاطعة شانسي لم تعد الأمور كما كانت تحت سيطرة الدولة. وعندما زحف المتمردون على بكين قام القيصر بشنق نفسه ومات منتحرًا. وقام الجنرال صص سانجوي بفتح أبواب سور الصين التي كان من المفترض أن يقوم بحمياتها لجيوش أسرة تشينج.

أسرة تشينج (١٦٤٤ - ١٩١١):

وبعد سقوط أسرة مينج قام المانتشيون (من قومية مان) بتأسيس آخر أسرة إمبراطورية، وتوسعت الرقعة الصينية تحت حكم هذه الأسرة لتصل مساحتها ١١,٥ مليون كيلو متر مربع، وتضاعف عدد السكان ليصل عدد السكان في الفترة ما بين ١٧٠٠ - ١٨٠٠ ليصل لحوالي ٣٠٠ مليون نسمة. وأصبحت الصين أقوى قوة سياسية واقتصادية في آسيا. وعلى الرغم من أن أسرة تشينج كانت آخر

وفي نوفمبر عام ١٩١٤ أخذ اليابانيون بعد دخولهم الحرب العالمية بقليل مستعمرة كي وتشو الألمانية على الحدود الصينية، وانفتحت شهية اليابانيين للاستيلاء على أراضٍ جديدة، فأرادت الصين من خلال وقوفها مع الحلفاء وأمريكا تأمين أراضيها وخوفها من اليابان. ولكن اليابان استولت في عام ١٩٣١ على إقليم مانتشوراي وواصلت اليابان سياستها التوسعية مما أدى لنشوب حرب بين اليابان والصين في عام ١٩٣٧. وانتهت الحرب بنهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة اليابان

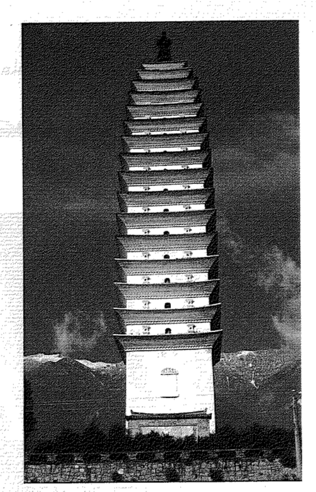
الأسر الإمبراطورية إلا أنها كانت أنجحهم. فقد استطاعت الدولة ضم المفكرين للعمل في خدمتها وتدعيم سلطتها.

وقد عاشت الصين فترة من التوتر الاجتماعي في القرن التاسع عشر بسبب الكوارث الطبيعية والضغوط الأوروبية الخارجية وبخاصة من بريطانيا التي كانت تعاني عجز الميزان التجاري مع الصين بسبب استيرادها الشاي بكميات ضخمة من الصين محققًا عجزًا قدره ٢٠ مليون جنيه إسترليني سنويًا. وقد حاولت الصين حماية نفسها من القوة المتنامية الغربية بسبب التصنيع ومن سياسة التجارة الحرة التي يتبعها ولكنها فشلت في ذلك. وقد استطاعت بريطانيا فرض حقها في إدخال الأفيون للصين ونشأت حرب الأفيون الأولى والثانية لكي تتمكن بريطانيا من معادلة العجز التجاري مع الصين. وقدمت الصين بعد خسارتها للحرب تنازلات للقوى الأجنبية وتنازلت في معاهدة نانكينج عام ١٨٤٢ عن هونج كونج وبعض الموانئ لإنجلترا. وانهار الجزء الأكبر من الاقتصاد الصيني وعم الفقر نتيجة لذلك.

وبحدوث الاضطرابات في منغوليا وتشينجيانج من أجل الانفصال زادت الضغوط على أسرة تشينج التي لم تستطع القضاء على هذه المحاولات إلا بالمساعدة العسكرية الأجنبية مما جعل الصين تقترب من أن تكون مستعمرة أجنبية. ومع نهاية القرن التاسع عشر توالت المصائب على الصين وخسرت الصين حربها مع اليابان في عام ١٨٩٥، ومع بداية القرن العشرين قاربت أسرة تشينج على نهايتها. ونشأ في البلاد حركتان خاضتا المعارضة: حركة تطالب بإصلاح الإمبراطورية وقيام نظام ملكي، وحركة كان يقودها الثوار وتطالب بإنهاء الحكم القيصري ونشأة الجمهورية الصينية.

قيام الجمهورية الصينية (١٩١٢ - ١٩٤٩):

كان عام ١٩١١ هو عام نهاية أسرة تشينج ونهاية للقيصر بو يي كآخر إمبراطور في الصين. وفي هذا الوقت قام الجنرال يوان شيكاي بالتفاوض مع الثوار بقيادة سون ياستن الذي أعلن في الأول من يناير ١٩١٢ قيام جمهورية الصين. ومن ناحية أخرى قام الجنرال يوان بالضغط على الأسرة الإمبراطورية. وفي هذه الأثناء أعلن قائد الثوار سون ياستن عن



تنازله عن منصب رئاسة الجمهورية للجنرال يوان لمنع قيام حرب أهلية وإراقة الدماء بلا داعي وذلك في حالة تمكن الأخير من إقناع أسرة تشينج بالتنازل عن العرش بلا مقاومة. ولما كان الجنرال يوان تقليديًا في تفكيره استبدت به الأفكار ليعتلي العرش ويصبح قيصرًا في عام ١٩١٥، مما ألب عليه الثوار وامتنع جنرالاته عن مساندته مما أصابه بالمرض وخيبة الأمل القوية ومات بعد ذلك في السادس من يونيو عام ١٩١٦. وتم استدعاء القيصر بوو يي في عام ١٩١٧ ليحكم لمدة أسبوعين فقط. واندلعت الثورات عقب ذلك. وتفكك جيش بكين تحت قيادة يوان شيكاي إلى فرق متناحرة يقاتل بعضها بعضًا، وأعلنت الكثير من المقاطعات الجنوبية استقلالها. وحاول سون ياستن في كانتون إقامة أساس لقوته من أجل إعادة تحقيق حلم الجمهورية، ولكن تسارع الأحداث أدى لحدوث حرب أهلية صينية.

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) أعلنت الصين الحرب على محور ألمانيا والنمسا والمجر، إلا أنها لم ترسل قوات إلى مسرح العمليات الحربية، فقد كانت القلاقل الداخلية تشغل الصين، وكان الدافع الوحيد لدخول الحرب هو خوف الصينيين من السياسة الاستعمارية اليابانية المتشددة. وفي نوفمبر عام ١٩١٤ أخذ اليابانيون بعد دخولهم الحرب العالمية بقليل مستعمرة كي وتشو الألمانية على الحدود الصينية، وانفتحت شهية اليابانيين للاستيلاء على أراض جديدة، فأرادت الصين من خلال وقوفها مع الحلفاء وأمريكا تأمين أراضيها وخوفها من اليابان. ولكن اليابان استولت في عام ١٩٣١ على إقليم مانتشوراي وأقامت دولة بقيادة بوو يي الذي أصبح العوبة في يدها. وواصلت اليابان سياستها التوسعية مما أدى لنشوب حرب بين اليابان والصين في عام ١٩٣٧. وانتهت الحرب بنهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة اليابان. وقد سقط العديد من الجنود الصينين في الحرب العالمية الثانية، ويأتي تعداد من سقط في هذه الحرب بعد تعداد الجنود الروس، كأول أكبر ضحايا هذه الحرب.

وفي أثناء الحرب ضد اليابان خمد الصراع مؤقتًا بين الحزب الشيوعي الذي أسسه ماوتسي تونج و١١ شخصا من الشيوعيين في عام ١٩١٩ وبين الحزب الوطني والقويين، فقد توحدت مختلف الفئات في البلاد لمقاومة اليابانيين. وبعد الحرب اندلع الصراع مرة أخرى بين الشيوعيين وبين مؤسسي الحزب الوطني الصيني (الكومينتانج). وشن حزب الكومينتانج حربًا أهلية بقيادة كاي شيك انتهت بهزيمتهم من قبل فريق ماوتسي تونج عام ١٩٤٩ وهروبهم لجزيرة تايوان. ولا تزال تايوان تحمل اسم الجمهورية الصينية من الناحية الرسمية.

أما الشيوعيون بقيادة ماوتسي تونج فقد سيطروا على بقية البلاد وأعلن ماوتسي تونج في أول أكتوبر عام ١٩٤٩ قيام جمهورية الصين الشعبية في احتفال مهيب في ميدان تيان آن من بكين – عاصمة جمهورية الصين الشعبية. وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية استطاعت الحكومات الصينية تحقيق برامج طموحة في مختلف المجالات وتحقيق معدلات نمو مذهلة، وبعد فترة «الثورة الثقافية الكبرى» تم تطبيق سياسة «الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجي»، مما أدى لظهور الصين في عالم اليوم بهذا الثقل المذهل. ■

يُتنبأ لها أن تكون واحدة من أُهم اللغات .. اللغة الصينية

أكبر لغة يتم التواصل بها في العالم

د. أحمد متولي* - القاهرة

* كلية الآداب جامعة القاهرة.

تنتمي اللغة الصينية لعائلة اللغات الصينية التبتية، وهي اللغة الأصل للغات الموجودة في وسط وشرق آسيا، وتتكون من فرعين أساسيين هما فرع اللغات الصينية وفرع لغات التبتية البورمية. ومن أكبر أفراد عائلة اللغات الصينية التبتية تأتي في المقدمة اللغة الصينية، إذ يتحدث بها أكثر من ١,٣ مليار نسمة في جمهورية الصين الشعبية وتايوان وسنغافورة وإندونيسيا وماليزيا.

وفي كثير من البلدان وبخاصة جنوب شرق آسيا تعيش أقليات صينية كبيرة العدد ويتحدثون بالطبع اللغة الصينية. ومن فروع العائلة اللغوية الصينية التبتية اللغة البورمية التي يتحدث بها أكثر من ٢٥ مليون نسمة، واللغات التايلاندية ويتحدث بها أكثر من ٣٠ مليون شخص واللغة التبتية ويتحدث بها أكثر من خمسة ملايين نسمة ولها نظام كتابة تقليدي منذ القدم. وتعتبر اللغة الصينية هي اللغة الرسمية في كل من جمهورية الصين الشعبية وسنغافورة. ويوجد أفراد هذه العائلة اللغوية في منطقة جغرافية متقاربة، كما تتسم هذه اللغات بخاصية هامة مميزة لها، وهي أن هذه اللغات هي لغات صوتية، بمعنى أن المفردة الواحدة بنفس شكلها الصوتي يمكن أن يكون لها معان مختلفة وفقًا لطريقة نطقها. فطريقة النطق للصوت هو العلامة الفارقة في تمييز معنى الكلمة، وهو يؤدي نفس وظيفة الأصوات المتحركة المختلفة للتمييز بين معاني الكلمات. ففي الألمانية مثلاً نجد أن اختلاف الحروف المتحركة في الكلمات التالية هو الذي أدى لتغير معانيها: Lader (لودر)، Leder (جلد)، Lieder (أناشيد). وفي اللغة الإنجليزية أيضًا الكلمات الآتية: pat (طرق الباب)، pet (حبيب/محبوب)، pot (قِدر)، pit (حفرة)، put (وضع).

مفهوم العائلة اللغوية

يُعَدُّ مصطلح «العائلة اللغوية» من المصطلحات المعروفة في علم اللغة التاريخي وعلم اللغة بشكل عام. ويشير هذا المفهوم لتلك اللغات المرتبطة عضويًا ببعضها، أي لتلك اللغات التى تعود إلى أصل لغوي مشترك. ويتم إلحاق اللغة إلى هذا الأصل اللغوي المشترك وإثباته عن طريق التشابه في الأشكال التصريفية والصوتية وفي المفردات والتاريخ المتشابه بين هذه اللغة واللغات الأخرى. وقد لفتت ظاهرة التشابه الغريب بين اللغات نظر اللغويين والمهتمين باللغة ودراستها بشكل عام. فهذا هو المستشرق البريطاني وليم جونز يشير في عام ١٧٨٦ لوجود ظواهر مشتركة بين اللغة السنسكريتية وبعض اللغات الأوروبية. ثم جاء الباحث اللغوي الألماني فرانس بوب ونشر في عام ١٨١٦ كتابًا صغيرًا يحمل عنوانًا جافًا وهو «النظام الصرفي للغة السنسكريتية مقارنة بالنظام الصرفي للغات اليونانية واللاتينية

والفرنسية». واللغة السنسكريتية هي لغة قديمة جدًا، مازال الكهنة والعلماء يتحدثون بها في الهند. وقد أثبت العالم اللغوي البالغ من العمر آنذاك أربعًا وعشرين عامًا أن هناك ظواهر مشتركة لافتة للنظر بين العديد من لغات أوروبا ولغات الشرق. ولم يكتف فرانس بوب بلفت النظر لهذا التشابه الواضح بين هذه اللغات ولكنه استنتج وأثبت أنه لابد أن تكون هذه اللغات منحدرة عن أصل واحد مشترك كان يتحدث به شعب ما في وقت ما في الأزمنة الغابرة. وأكد بذلك حتمية وجود لغة هندو أوروبية وشعب هندو أوروبي يتحدث هذه اللغة. إلا أن العلماء لا يتفقون الآن في عدد العائلات اللغوية، إذ يوجد مثلاً للغات الهنود الحمر الأمريكية أكثر من مائة عائلة لغوية. ويهمنا هنا أن نشير لأهم وأكبر العائلات اللغوية المعروفة وهي:

- عائلة اللغات الهندو أوروبية: وتنتمي إليها اللغة الهندية والإيرانية والأرمينية واليونانية واللاتينية (التي تطورت عنها بعد ذلك اللغة الإيطالية والبرتغالية والإسبانية والفرنسية والرومانية) واللغات السلافية (وتطورت عنها اللغة الروسية والأوكرانية والبلغارية والبولندية والصربية والتشيكية والسلوفاكية إلخ) واللغة الجرمانية (التي تطورت منها اللغة الألمانية والإنجليزية والدنماركية والسويدية والنرويجية والأيسلندية والهولندية إلخ).
- عائلة لغات الأورال وسلسلة جبال الألطاي في وسط آسيا (ومنها الفنلندية والمجرية والمنغولية والتركية... إلخ).
- عائلة اللغات الصينية التبتية (كما أشرنا إليها أعلاه).
- عائلة اللغات اليابانية الكورية.
- عائلة اللغات الإندونيسية الأسترالية.
- عائلة اللغات السامية الحامية (وتنتمي إليها اللغة المصرية القديمة واللغة القبطية والبابلية والأشورية والإثيوبية والعربية والعبرية).

اللغة الصينية ولهجاتها

أما إذا عدنا مرة ثانية للحديث عن اللغة الصينية فإننا سنجد أنه بجانب استخدام اللغة الصينية كلغة رسمية في الدول المشار إليها أعلاه فإنه تستخدم أيضًا اللغة الإنجليزية في هونج كونج واللغة البرتغالية في مكاو. وتعتبر اللغة الصينية نظرًا لأعداد المتكلمين بها أكبر لغة يتم التواصل بها في العالم. أما من حيث الأهمية والثقل السياسي والاقتصادي فتحتل اللغة الإنجليزية المرتبة الأولى. وتعتبر اللغة الصينية إحدى اللغات المعترف بها في الأمم المتحدة، ويتنبأ لها الكثيرون بأن تكون واحدة من أهم اللغات الأجنبية على المستوى الدولي في المستقبل القريب.

وبرغم أن اللغة الصينية بها لهجات مختلفة وعديدة، إلا أن كل الصينيين يتحدثون تقريبًا اللغة الصينية الفصحى، وهي عبارة عن لهجة قياسية (ويطلق عليها Putonghua والتي كانت تسمى في الماضي أيضًا Mandarin). وتقوم هذه اللغة



أساسًا على لهجة أهل بكين. وبجانب هذه اللهجة التي أصبحت لغة فصحى تنقسم اللغة الصينية بالفعل إلى سلسلة من اللهجات، والتي يمكن تقسيمها بشكل أولي إلى لهجات شمال الصين ولهجات جنوب الصين. وتقترب لهجات جنوب الصين من اللغة الصينية الكلاسيكية، أما لهجات شمال الصين فتقترب من اللغة الصينية المعاصرة.

وتختلف اللهجات الصينية فيما بينها اختلافًا كبيرًا في طريقة نطقها (الأصوات) وفي بنيتها النحوية (القواعد) وفي مفرداتها (الثروة اللغوية)، لدرجة أن التواصل الشفوي بين متحدث إحدى اللهجات الموجودة في شمال الصين سيجد صعوبة بالغة أو لن يتمكن على الإطلاق من إجراء محادثة شفوية مع أحد متحدثي لهجة جنوب الصين، وعليهم في هذه الحالة إما أن يلجؤوا للغة المكتوبة أو للغة الصينية الفصحى (Putonghua) لكي يتفاهموا ويتواصلوا مع بعضهم. ومن اللافت للنظر أن متحدثي أي لهجة صينية يقدر أعدادهم بالملايين، فلهجة وو التي يتم التحدث بها في مناحي شنغهاي يبلغ عدد المتحدثين بها أكثر من ٧٧ مليون نسمة، وهو رقم يزيد على متحدثي اللغة الإيطالية (حوالي ٧٠ مليونًا) أو الهولندية (حوالي ٢٥ مليونًا). وبهذا القياس والمقارنة مع كثير من اللغات الأوربية فيمكننا أن نعتبر أن أي لهجة صينية كبرى يجب النظر إليها على أنها لغة قائمة بذاتها وليست لهجة من اللهجات.

ويوجد في اللغة الصينية عدد مختلف من المصطلحات للإشارة للغة الصينية. فهناك المصطلح «تشونجوين»، وهو مصطلح عام للغة الصينية، ويشير في المقام الأول للغة المستخدمة في الكتابة. ولأن لغة الكتابة هي لغة مستقلة بشكل أو بآخر عن اللهجة، فإن هذا المصطلح يشمل أيضًا معظم اللهجات الصينية. أما مصطلح «هان يو» فيطلق على اللغة المنطوقة، وتلك هي اللغة المقصودة عندما يريد المرء أن يقول: «أنا أتكلم اللغة الصينية». كما يطلق المصطلح «هان»- والذي يشير في الأساس «لقومية أهل هان» — على كل اللهجات التي يتحدث بها الصينيون من قومية هان. أما في اللغة العامية فيستخدم المرء المصطلح «هان يو» للدلالة على

إن شكل المفردة الصينية لا يجعلنا نعرف من خلاله إن كان اسمًا أو فعلًا أو صفة أو جمادًا أو إنسانًا.

ولذلك فإنه من خواص اللغة الصينية أن نجد أن نفس الكلمة يمكن استخدامها في وظائف عديدة

الانتساب للغة الصينية الفصحى. وبالنسبة للغة الصينية الفصحى يوجد مصطلح خاص يطلق عليها وهو Putonghua .

وغالبًا ما ينظر المرء للغات الصينية المختلفة، وكما سبق ذكره عاليه، على أنها لهجات، على الرغم أن متحدثي اللغات الصينية المختلفة لا يمكنهم التفاهم بهذه اللغات المختلفة، والتي تنتشر كل واحدة منها في منطقة معينة. ويضاف إلى ذلك أن كل من هذه اللغات تنقسم أيضًا إلى لهجات. ولكن التعايش في دولة واحدة ووجود كتابة مشتركة بالإضافة للغة الفصحى (التي يمكن أن ينظر إليها أيضًا على أنها لهجة يتحدث بها العدد الأكبر من سكان الصين كما ذكرنا) هي التي تجعل التواصل ممكنًا بين أبناء اللغات الصينية المختلفة. وفي هذا السياق نجد أن علم اللغة لا يتحدث عن لهجات صينية وإنما عن لغات صينية مختلفة وينظر للغة الصينية على أنها عبارة عن مجموعة من اللغات المختلفة وتشتمل على ست لغات مختلفة على الأقل.

وتعد اللهجة الشمالية «بايفنجهوا» هي الأكثر انتشارًا ويتحدث بها ما لا يقل عن ٨٥٠ مليون نسمة وتقوم على أساسها اللغة الصينية الفصحى. ومن أهم اللغات الصينية الأخرى:

- لغة (Gan) ويتحدث بها ٢٠ مليون نسمة.
- لغة (Hakka) ويتحدث بها ٣٠ مليون نسمة.
- لغة (Jin) ويتحدث بها ٤٥ مليون نسمة.
- لغة (Min Bei) ويتحدث بها ١٠ ملايين نسمة.
- لغة (Min Nan) ويتحدث بها ٤٠ مليون نسمة.

ومن بينها اللغة التايوانية (Taiwanisch) ويتحدث بها ١٥ مليون نسمة.
- لغة (Wu) ويتحدث بها ٧٧ مليون نسمة.
- لغة (Xiang) ويتحدث بها ٣٦ مليون نسمة.
- لغة (Yue) ويتحدث بها أكثر من ٨٠ مليون نسمة.

ومما هو جدير بالذكر في هذا السياق أن هناك عددًا من اللغات التي تتحدث بها طوائف مختلفة من الشعب الصيني مثل اللغة المنغولية واللغة التبتية واللغة المنشورية لا تنتمي للغات الصينية.

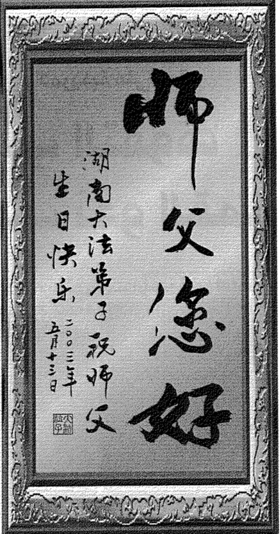
بعض خصائص اللغة الصينية

من خصائص اللغة الصينية أن كل مفرداتها تتكون من مقطع واحد، وبالطبع هناك استثناءات قليلة جدًا لهذه القاعدة التي تتميز بها اللغة الصينية. والاستثناءات الموجودة في اللغة الصينية تتمثل في حالتين: فهي إما أن تكون تكرارًا لنفس المقطع أو تكون مقاطع صوتية مقلدة لحدث، مثال ذلك KO-KO (بمعنى أخ)، أو HA-HA (قهقهة). وتتميز اللغة الإنجليزية عن بقية اللغات الأوربية بتشابهها وتقاربها إلى حد كبير مع اللغة الصينية. فمن الممكن أن يكتب المرء مقاطع كاملة، بل نصوصًا أيضًا من كلمات ذات مقطع واحد كما في الصينية. وليس هذا هو التقارب الوحيد بين الإنجليزية والصينية: فنحن نعرف أنه على مدار ١٠٠٠ عام مضت تقلصت فيها النهايات التي تضاف للكلمات في اللغة الإنجليزية، وبدأت إنجليزية تقوم على مفردات لا تتغير أشكالها. وهذه العملية لم تنته بعد في التخلص الكامل من النهايات في اللغة الإنجليزية أو بقاء المفردات على شاكلة واحدة دون تغيير صرفي لها، مثال: sing - sang أو foot-feet . أما الألمانية فلا زال الاشتقاق والإمالة فيها من العوامل المساعدة والفعالة والمستمرة في تغيير أشكال مفرداتها. ولا يزال المرء يضع حرف «S» في نهاية الكلمة المفردة في اللغة الإنجليزية للدلالة على الجمع، ويضع s، ed-، ing- للفعل، كما يضع er، -est- للاسم. ومن المتوقع أن تخطو الإنجليزية خطوة أخرى مع الوقت للحاق والتقارب مع الصينية في هذا الشأن. فالكلمة الصينية مثل القالب الذي لا يتبدل مع وجود بعض استثناءات قليلة جدًا. فالمفردة لا تعرف التصريف ولها فقط لواحق قليلة جدًا. ويمكننا أن نقول هنا باختصار إن شكل المفردة الصينية لا يجعلنا نعرف من خلاله إن كان اسمًا أو فعلاً أو صفة أو جمادًا أو إنسانًا.

ولذلك فإنه من خواص اللغة الصينية أن نجد أن نفس الكلمة يمكن استخدامها في وظائف عديدة. ومن نافلة القول أن نذكر هنا أن تقسيم مفردات اللغة الصينية إلى فصائل (كالاسم والفعل والصفة والضمير إلخ.) كما في اللغات الأوروبية مثلاً لا معنى له. فكلمة SHANG الصينية تعنى الأعلى أو السيد، وهي بالتالي هنا لها وظيفة الاسم. وإذا ما جاءت في السياق التالي SHANG PIEN بمعنى الناحية العليا فإنها تؤدي وظيفة الصفة. وفي المثال التالي SHANG MA بمعنى يمتطي الحصان فإنها تلعب دور الفعل. أما في العبارة MA SHANG فإنها تؤدي وظيفة حرف الجر.

على أنه يمكننا القول إن السياق والكلمات المحيطة بالكلمة وترتيبها هو الذي يجعلنا نقرر إن كانت الكلمة اسمًا أو فعلاً أو صفة أو حرف جر كما في المثالين SHANG MA وMA SHANG. وهذا الكلام ينطبق فقط على لغة الكتابة. أما لغة التحدث فلها لواحق مختلفة، تجعل من الكلمة اسمًا بكل وضوح. فمن الممكن أن تدخل اللاحقة TZU، وهي كلمة تأتي في السياق الأدبي بمعنى ابن أو صبي كمقطع اشتقاقي بلا نبر (وينطق ds). وبذلك

> من الممكن أن نقول إن تعلم أي لغة بسهولة يعتمد على عاملين هامين: هما محدودية القواعد والاستثناءات العديدة في هذه اللغة، وكذلك قلة ومحدودية مفردات هذه اللغة، وهذان الشرطان متحققان في اللغة الصينية



تنشأ كلمات تشير بوضوح على أنها أسماء كما في الأمثلة التالية: I-TZU (بمعنى كرسي فوتيه) و TU-TZU (بمعنى بطن). وهناك مقطع آخر في لهجة بكين وهو ERH والذي يعني إن جاء مستقلاً «صبي»، أما إذا جاء كلاحقة بدون نبر فإنه يدل على التصغير.

وفي اللغة الصينية لا نجد أي أثر للتذكير والتأنيث، فالضمير T´A يشير بشكله هذا ودون تغيير للمذكر والمؤنث. كما أن شكل الكلمة وحده لا ينبىء إن كانت الكلمة مفردة أو جمعًا، وبالتالي يمكن أن يكون معنى الكلمة الآتية HO «نهر» أو «أنهار» وفقًا للسياق. وللإشارة على الكلية يلجأ الصيني للطريق القديمة المنتشرة وهي التكرار، وأحيانًا تضاف اللاحقة MEN للدلالة على الجمع في الضمائر، كما في الأمثلة التالية:

WO أنا، ني

Wo-MEN نحن، نا

NI أنت، ك

NI-MEN أنتم، كم

T´A هو، ه، هي، ها

T´A-MEN هم، هن

وكما في الاسم فإننا لا نجد أثرًا للعلامات الإعرابية في الضمائر.

كما أنه ليس من العجب ألا نجد أشكالاً مختلفة للفعل للتعبير عن المفرد والجمع والزمن والمبني للمعلوم والمبني للمجهول. ومن الطبيعي أن نؤكد هنا على القول إن ترتيب الكلمات في اللغة الصينية له قواعد صارمة نظرًا لغياب التصريف فيها.

الكتابة الصينية

يستعمل الصينيون في الكتابة رموز مشتركة يرجع تاريخها لأربعة آلاف عام أو خمسة آلاف عام. وقد استطاعت هذه الكتابة أن تستوعب حضارة وتقاليد أمة لها مثل هذا التاريخ العريق والمتواصل إلى يومنا هذا. وقد أخذت حضارات دول أخرى في شرق آسيا مثل اليابان وكوريا الكتابة الصينية، التي تؤدي دورًا هامًا ومتجددًا في عمليات التحديث الحالية.

ومما لا شك فيه أن تعلم الكتابة يحتاج إلى وقت أطول وجهد أكبر مما يبذله المرء لتعلم أنظمة الكتابة الأبجدية للغات الأخرى. إلا أن تعلم اللغة الصينية للتواصل الشفوي فقط بها أسهل بكثير من تعلم لغات عديدة أخرى، فتعلم الصينية بالتأكيد ليس أصعب من تعلم الإسبانية أو الروسية.

فمن الممكن أن نقول إن تعلم أي لغة بسهولة يعتمد على عاملين هامين: هما محدودية القواعد والاستثناءات العديدة في هذه اللغة، وكذلك قلة ومحدودية مفردات هذه اللغة، وهذان الشرطان متحققان في اللغة الصينية، إلا أن الصعوبات المتوقعة عند تعلم اللغة الصينية أكثرها شيوعًا تعلم الرموز الكتابية فيها، وتعلم النبر الصحيح للتفريق بين معاني الكلمات، وفوق كل هذا يحتاج تعلم أي لغة أن تكون هناك دوافع لتعلم هذه اللغة، بالإضافة للوقت والجهد المنظم لذلك. ■



انقلاب استراتيجي في الهيمنة العسكرية الأمريكية على العالم

الصين تشل عصب التفوق الأمريكي.. وتزحف نحو القمة

وليد الشيخ* - برلين

* باحث في مجلة السياسة الدولية

ماذا يمكن أن تفعل الصين المرشحة الأولى لمواجهة القوة العظمى الأمريكية؟ ولماذا لا تتحرك ومتي تقوم بذلك؟ أسئلة كثيرة طرحها ولا يزال يطرحها كثير من المحللين السياسيين لدرجة أن البعض ذهب إلى أن القرن الحادي والعشرين سيظل قرنًا أمريكيًا بلا منافس، وأن الصين أمامها ٥٠ عامًا على الأقل قبل أن تمثل تهديدًا حقيقيًا للولايات المتحدة.

إلا أن الصينيين لا يهمهم كل ذلك، حيث يصرون على السير حسب خطتهم التي يعرفون مسالكها جيدًا.. وساعة الصفر فيها محددة بناء على خطة بسيطة وذكية في آن معًا، وخلاصتها أن يقوموا بتطوير آلتهم العسكرية خطوة خطوة وبهدوء شديد مع تأكيدهم أن موضوع تايوان لا نقاش حوله بما في ذلك استخدام القنبلة النووية لو تطلب الأمر، هذا مقابل نشاط محموم في التركيز على الهيمنة على العالم اقتصاديًا، في الوقت الذي يتركون فيه خصمهم الأمريكي يخسر يومًا بعد يوم اقتصاديًا .. بل وعسكريًا في حروب لا يمكن إلا أن تؤدي إلا إلى مزيد من الخسائر العسكرية والاقتصادية.. بل والسياسية التي لا يمكن سوى أن تنتهي بانتهاء حقبة القوة العظمى الوحيدة على العالم.

ففي السنوات الأخيرة قامت الصين برفع ميزانيتها العسكرية بصورة مستمرة حيث زادتها في عام ٢٠٠٥ بنسبة ١٢،٦٪ لتبلغ ٢٩،٩ مليار يورو، وفي عام ٢٠٠٦ بنسبة ١٤،٧٪ بحوالي ٣٥ مليار دولار.. ثم أعنت رفعها في ٢٠٠٧ بنسبة ١٧،٨٪ (٦،٧٩ مليار دولار) لتبلغ ٤٤،٩٤ مليار دولار، مما أحدث حالة من القلق لدى الولايات المتحدة واليابان وتايوان معتبرين بذلك أن الصين تتجه لتمثل تهديدًا كونيًا بجيشها الأكبر عددًا في العالم ويبلغ ٢،٩ مليون جندي، بينما ترى واشنطن أن بزوغ الصين كقوة عظمى قد يخل بموازين القوة في المنطقة، كما تقلق من زيادة الصواريخ الموجهة نحو تايوان، بينما ظلت الصين على نفس موقفها الذي سبق وأن كررته منذ عامين أن هذه الزيادات السنوية ضرورية لتغطية زيادة الرواتب والتحديث التكنولوجي للجيش ومتماشية مع النمو الاقتصادي السريع للصين.[1]

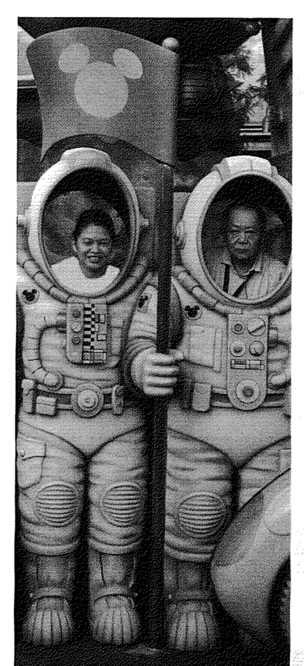
بالمقابل استمرت نفس الانتقادات الغربية للصين بأن إنفاقها العسكري أعلى بكثير من أرقام الميزانية المعلنة رسميًا، حيث كان خبراء وزارة الدفاع الأمريكية قد أكدوا ومنذ عام ٢٠٠٥ أن الميزانية العسكرية الحقيقية للصين تبلغ ثلاثة أضعاف الميزانية المعلنة أي أنها ليست ٣٠ مليار يورو في هذا العام بل تبلغ ٩٠ مليار يورو، وحينها اتهم وزير الدفاع الأمريكي السابق دونالد

رامسفيلد الذي كان في زيارة لبكين الصين بإخفاء نفقاتها الحقيقية في مجال التسلح وطالبها بمزيد من الانفتاح فيما يتعلق بنفقاتها العسكرية لتجنب إثارة شكوك الدول الأخرى حول نوايا بكين مضيفًا أن المزيد من الشفافية حول الأمور العسكرية سيؤدي في نهاية المطاف إلى مزيد من الانفتاح السياسي، وهو ما نفته القيادة الصينية حينها محاولة أن تقدم له تطمينات بأن الصين لن تكون البادئة باستخدام السلاح النووي وأن صواريخها ليست موجهة ضد أي بلد! ومشيرة في نفس الوقت إلى أن تقول بكين إن ميزانيتها تكاد تكون «كمًا مهملًا» مقارنة بالنفقات العسكرية الأمريكية التي بلغ مجموعها ٤٤٠ بليون دولار.[٢]

كما كان المتحدث باسم البرلمان الصيني «زيانغ اينزهو» قد أكد أن المخصصات الإضافية ستساعد في توفير التدريبات العسكرية للجيش الصيني وتحديث ترسانة أسلحته، وأشار إلى الحاجة لزيادة مخصصات التقاعد للجيش الذي ينوي تسريح ٢٠٠ ألف من عناصره لخلق قوات أصغر حجمًا وأكثر تقنية وتعقيدًا وألمح إلى أن الإنفاق العسكري ما زال «منخفضًا للغاية» مقارنة بمعدلات الاقتصاد الصيني وأن ميزانية الدفاع القومي الصيني ما زالت منخفضة نسبيًا مقارنة بموازنات الدول الكبرى الأخرى أو كما أشار الجنرال لياو شيلونغ عضو اللجنة العسكرية المركزية ورئيس الدائرة اللوجستية العامة لجيش التحرير الشعبى الصينى أن الميزانية العسكرية الصينية تعادل ١٠٪ فقط من الميزانية العسكرية الأمريكية، وأنه بينما تتراوح الميزانيات العسكرية للدول الكبرى في العالم من ٢،٥ إلى ٥٪ فإن الميزانية العسكرية الصينية تبلغ فقط ١،٥٪ من إجمالي الناتج المحلي.[٣]

إلا أن مسؤولي البنتاجون قالوا إن الصينيين ينفقون هذا العام على الميزانية الدفاعية ما بين ٨٠ و١١٥ مليار دولار سنويًا مما يضعها في المرتبة الثانية وراء الولايات المتحدة، بينما أشار المحلل الاستراتيجي «مايكل أوهانلون» من معهد بروكينز بواشنطن إلى أن الصينيين لا يتصرفون بصورة بل يركزون على الجوانب الملائمة ومنها طائرات القيادة والتحكم والغواصات التي يصعب اقتفاؤها، وختم قائلًا «إن الجيش الصيني لم يلحق بعد بالجيوش الغربية، ولكنه في طريقه لتحقيق ذلك.»[٤]

بالمقابل أصرت الصين على نفي كل الاتهامات وبالذات نظرية «التهديد الصيني»، وهو ما أكده بقوة المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية «تشين قانغ» في مؤتمر صحفي في الأول من مارس الماضي (قبيل ٣ أيام من إعلان رفع الميزانية العسكرية هذا العام) مؤكدًا أن الصين تتبع دائمًا



التنمية السلمية، ولم تسع أبدًا إلى الهيمنة واتباع سياسات القوة، أو التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وقال إن الصين تؤيد التعددية والتعاون الدولي، وترى أن النزاعات الدولية يجب أن تحل عن طريق المفاوضات السلمية، وتجنب اللجوء إلى السلاح كلما كان ذلك ممكنًا، بل إنه رد متهكمًا على الانتقادات الأمريكية بقوله«ماذا يكون شعوركم عندما يستمر جاركم في التلصص على بيتكم من خلال شق بالباب، ويصرخ افتحوا الباب، ودعونا نرى ما بداخله ؟ هل تقومون باستدعاء الشرطة ؟».[٥]

هذا بينما أكد وانغ جي سي مدير معهد الدراسات الأمريكية التابع للأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية في مقال له بصحيفة «الصين اليومية» الناطقة بالإنجليزية أن وجهة النظر السائدة أن نهضة الصين سوف تشكل تحديًا للهيمنة الأمريكية، وتمثل أكبر تهديد للأمن الأمريكي، والتي يعتنقها بعض المعلقين من خلال مقارنتهم الصين بالاتحاد السوفيتي السابق «لا أساس لها»، وختم مطالبًا بتعاون حقيقي بين البلدين قائلًا «إن تعزيز البلدين لقوتهما يشير إلى أن الصين والولايات المتحدة قادرتان على أن تتجنبا أن يدفع بهما أي عامل دولي إلى ساحة المواجهة حول الهيمنة، وذلك إذا ما مضت الأولى على طريق التنمية الذي ثبتت صحته، ولم يرتكب صانعو القرار في الأخيرة أخطاء استراتيجية قاتلة»![٦]

لكن رغم كل ذلك فإن عديدًا من الخبراء العسكريين يرون أن هناك حدثًا أخطر من كل ذلك بكثير ويكاد يكون قد غير كل التوازنات العسكرية والاستراتيجية في العالم رغم أنه لم يحظ بالاهتمام الكافي من وسائل الإعلام إلا أنه هز الولايات المتحدة بصورة حادة لدرجة جعلتها تشعر أن كل قوتها العسكرية يمكن أن تكون بلا أي قيمة، وبأن كل ما تبنيه من ترسانة عسكرية يكاد يكون كالبناء على الماء!

ففي السابع عشر من يناير الماضي نشرت مجلة «أفييشن ويك وتكنولوجيا الفضاء» الأمريكية معلومات أن وكالات تجسس أميركية استنتجت أن

الصين وروسيا قد حاولتا مرارًا وتكرارًا عبر الأمم المتحدة ابرام اتفاقية دولية لحظر التسلح في الفضاء وهو ما أصرت واشنطن على رفضه، الأمر الذي جعل صحيفة «برلينر تسايتونج» الألمانية تصف الاحتجاجات الأمريكية على التجربة الصينية بأنها نفاق محض

الصين نجحت في ١١ يناير ٢٠٠٧ في إجراء تجربة لسلاح يهدف إلى إبطال عمل أقمار صناعية حيث دمر الصينيون أثناء هذه التجربة القمر الصناعي الصيني القديم لرصد الأحوال الجوية «فنج يون سي ١» بواسطة شحنة أطلقت بصاروخ بالستي من مركز «تشاينج» الفضائي الصيني وأن الاصطدام والتفجير وقع على بعد نحو ٨٠٠ كلم فوق الأرض.. وهو ما اعترفت به بكين بعد أيام مشيرة إلى أنها أبلغت واشنطن وأنها لا تسعى من ذلك لبدء سباق تسلح جديد.[٧]

الأمر الذي أحدث حالة من القلق والذعر لدى واشنطن وبعض حلفائها خاصة من التحالف الأنجلوسكسوني داخل حلف الناتو والذي يضم الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا واستراليا ونيوزلندا.. إلى جانب اليابان وكوريا الجنوبية الجارين القريبين للصين، خاصة أن الخبراء الاستراتيجيين اعتبروه تطورًا خطيرًا ما بين من اعتبره إظهارًا للعضلات الصينية في سباق التسلح في الفضاء وبين من اعتبره عودة للحرب الباردة ولكن هذه المرة بين واشنطن وبكين، بل وصل الأمر ببعض التحليلات إلى اعتبار التجربة الصينية بداية لحرب النجوم مع الولايات المتحدة، وقد احتجت واشنطن لدى الصين معتبرة أن قيامها بتجربة مثل هذه الأسلحة مخالف لروح التعاون التي يطمح إليها البلدان في مجال الفضاء المدني.

إلا أن كثيرًا من المراقبين حملوا الولايات المتحدة مسؤولية هذا التصعيد بسبب إصرارها على الهيمنة المنفردة على الفضاء الخارجي ورفض التوقيع على معاهدة دولية لحظر التسلح في الفضاء بل وإعلان بوش في أغسطس الماضي أن أمريكا لها حرية التصرف في الفضاء الخارجي وأن ذلك أمر هام جدًا لأمن بلاده، ثم أعلن مسؤولون أمريكيون آخرون أن بلدهم له حق الهيمنة غير المحدودة على الفضاء الخارجي وترفض أي حد من هذا الحق أو هذه الهيمنة، وهو ما برره مساعد وزيرة الخارجية المكلف بمراقبة التسلح «روبرت جوزف» بما وصفه بالتهديد الذي تمثله دول قد تسعى لمهاجمة الأقمار الصناعية الأميركية، وهو ما شبهه البعض بالسعي للهيمنة البريطانية على البحار في القرن التاسع عشر للهيمنة على العالم بأسره وهو ما تسعى له الولايات المتحدة الآن عبر الهيمنة على الفضاء خاصة أنها تعول كثيرًا على مشروع مظلة الصواريخ الدفاعية التي لا تعني سوى تحييد وشل الأسلحة النووية لجميع دول العالم لأنها يمكن أن تحمي أجواءها بإسقاط أي صواريخ باليستية تحمل رؤوسًا نووية بينما أجواء باقي الدول عارية من أي حماية مما يجعل السلاح النووي لهذه الدول لا قيمة له خاصة مع تغيير الاستراتيجية

الصين التي تعد بذلك ثالث دولة تقوم بضرب مواقع في الفضاء استطاعت بهذه التجربة أن تهز الاستراتيجية الأمريكية حول مظلة الصواريخ الدفاعية، بل وهزت استراتيجية التفوق والهيمنة العسكرية والاقتصادية والسياسية على العالم بصورة مفزعة لواشنطن

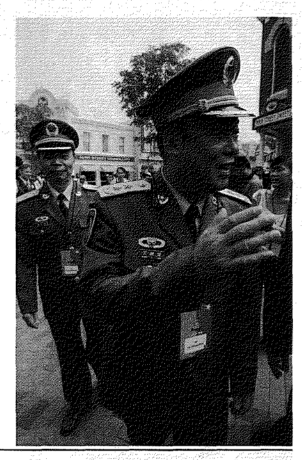
النووية الأمريكية من الردع النووي إلى الضربة الاستباقية، الأمر الذي جعل بعض المحللين الغربيين يرون أن المسألة فقط مسألة وقت حتى تقوم دول أخرى باتباع نفس النهج وأنه لا بديل أمام الصين سوى مجابهة الولايات المتحدة طالما هي مصرة على ذلك، خاصة أن الصين وروسيا قد حاولتا مرارًا وتكرارًا عبر الأمم المتحدة إبرام اتفاقية دولية لحظر التسلح في الفضاء وهو ما أصرت واشنطن على رفضه، الأمر الذي جعل صحيفة «برلينر تسايتونج» الألمانية تصف الاحتجاجات الأمريكية على التجربة الصينية بأنها نفاق محض، خاصة أن الخبراء يجمعون على أن التجربة الصينية لا تنتهك أي معاهدة قائمة حتى إن بريطانيا نفسها اعترفت بذلك عند انتقادها مبادرة بكين، فمعاهدة الفضاء المبرمة في ١٩٦٧ تحظر عسكرة ووضع أسلحة نووية أو أي شكل آخر لأسلحة الدمار الشامل في مدار الأرض ونصبها على القمر أو تخزينها في الفضاء. لكنها «لا تحظر إسقاط قمر صناعي».[٨]

وهو ما أيده معظم الخبراء العسكريين أنها نتيجة متوقعة خاصة أن الصين ومنذ فترة طويلة ترى أن سلسلة الأقمار الصناعية الأميركية العديدة للتجسس الإلكتروني والمراقبة والتنصت والاستطلاع التي تحلق بصورة دائمة تشكل تهديدًا مباشرًا، والتي يمتلكها الجيش والاستخبارات الأميركية وتستخدم في عمليات قتالية وتسمح لها بمراقبة تحركات القوات ورصد تجارب نووية وغيرها، والهيمنة على أجواء العالم بأسره، في الوقت الذي اعتبرت فيه «تيريزا هيتشنز» مديرة مركز الإعلام حول الدفاع أن الصينيين «يملكون برنامجًا جديًا يرمي لتطوير قدراتهم، وأنهم بعد عشرين عامًا سيصبحون على الأرجح قوة فضائية عظمى». وأنها بتجربتها هذه قد تكون الصين «ردت على الأرجح على السياسة الأميركية التي تهدد أيضًا الأقمار الصناعية» التي تعود لدول أخرى وترفض النقاش في تجريد الفضاء من السلاح، خاصة أن بوش كان قد اعتمد في العام الماضي استراتيجية فضائية جديدة تدعو إلى «حرية تحرك» الولايات المتحدة وحقها في حظر

الفضاء إذا لزم الأمر على أي دولة «مناهضة للمصالح الأميركية» مع رفض أي معاهدة تمنع الأسلحة في الفضاء.[٩]

بالمقابل تشكك البعض أن يكون هدف التجربة الصينية هو توجيه رسالة لواشنطن لدفعها لقبول الانضمام لمعاهدة دولية لحظر التسلح في الفضاء وهو ما أيده «جان بيار مولني» مساعد مدير معهد العلاقات الدولية والاستراتيجية في باريس مؤكدًا أن «هذه التجربة قد تؤدي إلى تفكير متعقل حول طريقة تجنب عسكرة غير مباشرة للفضاء بدلًا من سباق التسلح» حيث إن الصينيين سيعلمون الأميركيين أنهم يملكون القدرة على تدمير أقمار صناعية والتعويض بذلك عن تأخرهم في هذا المجال بينما سيؤكد الأميركيون بشكل علني علمهم بأن الرسالة تم تلقيها في الجانبين، هذا بينما ذهبت «هيتشنز» إلى أن هذه التجربة قد تدل على أن الصين مصممة على تهديد الأقمار الصناعية الأميركية مما قد يكون بداية سباق جديد للتسلح في الفضاء، إلا أن الأهم من كل ذلك ليس فقط أن الصين التي تعد بذلك ثالث دولة تقوم بضرب مواقع في الفضاء استطاعت بهذه التجربة أن تهز الاستراتيجية الأمريكية حول مظلة الصواريخ الدفاعية، بل وهزت استراتيجية التفوق والهيمنة العسكرية والاقتصادية والسياسية على العالم بصورة مفزعة لواشنطن.. وهو ما أكده الخبير الهولندي في شؤون التسلح في معهد ستوكهولم الدولي للأبحاث حول السلام «سايمون ويزمان» قائلًا إن الولايات المتحدة نفسها تمتلك برنامجًا واسعًا لمنظومات الأقمار الصناعية بدءًا من مدافع الليزر وصولًا إلى الأقمار الصناعية المدمرة للأقمار الصناعية. كما أن الآلة العسكرية الأميركية تعتمد بشدة على الأقمار الصناعية .. وبدونها يشعر الأميركيون أنهم محرومون من البصر![١٠]

وفي النهاية فإن الصين يبدو أنها كما يذهب بعض المحللين فعلًا لا تتحرك بطريقة تقليدية فهي من ناحية تعول على تطوير قوتها العسكرية تدريجيًا، وألا تقوم بتصرف في وقت غير مناسب يضرها أكثر مما يفيدها، في نفس الوقت الذي تدفع فيه قوتها الاقتصادية التي يعتبرها المحللون ربما العامل الأهم في الهيمنة على العالم في القرن الحادي والعشرين خاصة بعد أن أثبتت القوة العسكرية المفرطة محدوديتها سواء في العراق ولبنان أو حتى أفغانستان، هذا في الوقت الذي تقوم فيه وبكل ذكاء بترك الولايات المتحدة تنفق عشرات بل ومئات المليارات في بناء مشروع مظلة الصواريخ الدفاعية.. ثم تهدم كل هذا المشروع التكنولوجي المعقد بأسلوب تقليدي قديم يعتمد على التركيز على عصب المشروع نفسه بل وعصب



التفوق العسكري الأمريكي على العالم بأسره، وذلك عن طريق التركيز على إسقاط الأقمار الصناعية التي تتحكم في كل تقدم تكنولوجي بدءًا من التجسس والتحكم في أجهزة الاتصالات العسكرية وانتهاء بتهديد جميع وسائل الاتصالات والمواصلات والإشارة.. بل وكل ما له علاقة بالتكنولوجيا من قريب أو بعيد، وبذلك فإن الصين لن تكون بحاجة للانتظار نصف قرن لاحتلال موقع القوة العظمى وهو ما أكده آخر استطلاع دولي للرأي أجراه معهدًا «جالوب» و«تي إن إس إمنيد» للاستطلاعات لصالح مؤسسة «برتلزمان» الألمانية الشهيرة على١٠ آلاف شخص في أوروبا والولايات المتحدة حول القوة العظمى التي ستحكم العالم في عام ٢٠٢٠ (أي بعد ١٣ عامًا فقط).. وخلص إلى أن الصين ستزيح الولايات المتحدة لتصبح هي القوة العظمى بحلول هذا التاريخ وتصعد بقوة الهند لتزاحم في الصدارة ومعهم اليابان والاتحاد الأوروبي وروسيا.[١١]

هوامش

(1)http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B51DEA61-B3254-BB09-BD4-4445D5121CEE.htm

(2)http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_43550004355600/.stm

(3)http://arabic.people.com.cn/316645439773/.html

(4)http://arabic.cnn.com/2005/world/35//china.spending/index.html

(5)http://arabic.peopledaily.com.cn/316645432700/.html

(6)http://arabic.peopledaily.com.cn/316642574905/.html

(7)http://www.aviationweek.com/aw/generic/story_generic.jsp?channel=awst&id=news/CHI01177.xml

(8)http://www.berlinonline.de/berliner-zeitung/archiv/.bin/dump.fcgi/20070120//politik/0098/index.html

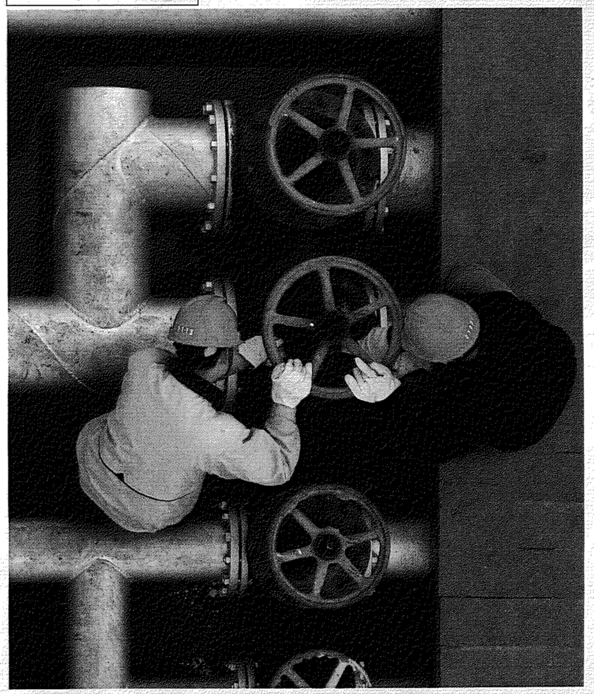
(9)http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=4&issue=10281&article=402668

(10)http://www.tunisalwasat.com/wesima_articles/index-200701203883-.html

(11)http://chinainarabic.blogspot.com/search/label

الصين.. معادلة التفوق الاقتصادي والاتزان السياسي

مصطفى محمد عامر* - القاهرة



* كاتب صحفي.

جاءت عودة الصين إلى قمة الأحداث الاقتصادية والسياسية الدولية نتيجة جهد متواصل، وتخطيط علمي منظم، وفكر سياسي اعتمد على تعميق المواطنة وإذابة القوميات المتعددة في الوطن الأم، لتكون الرغبة في تحقيق الأهداف التنموية والتغلب على معوقات التقدم هي أساس العمل والإرادة الوطنية، و قد ظهر ذلك من خلال نظام الحكم المطبق في الصين، فرغم أن كثيرًا من دول العالم المؤلفة من قوميات متعددة تعاني عدم الاستقرار نتيجة الصراعات التي تلتهم طاقة الدولة ومقدراتها، إلا أن الصين المتعددة القوميات استطاعت أن تحافظ على استقرارها ووحدتها وتقدمها الاقتصادي، وساعد في ذلك كونها تطبق نظام الحكم الذاتي الإقليمي القومي.

والمقصود بنظام الحكم الذاتي الإقليمي القومي أن يكون للمناطق المكتظة بأبناء الأقليات القومية الحق في حكم أنفسهم تحت قيادة الدولة الموحدة بحيث يتم إنشاء دوائر الحكم الذاتي ويصبح أبناء الأقليات القومية ممارسين السلطة في إدارة الشؤون الداخلية الإقليمية والقومية. وتأتي أهمية هذا النظام في استقرار العلاقات بين القوميات المختلفة على أساس المساواة والتضامن والمساعدة المتبادلة.

والصين تعد واحدة من الدول متعددة القوميات حيث هاجرت القوميات المختلفة على مر العصور من مكان إلى آخر مرارًا وتكرارًا مما شكل التجمعات السكانية المختلطة الكبيرة والوحدات السكانية الصغيرة، حتى أصبحت تضم نحو ٥٥ أقلية قومية، بخلاف قومية هان التي تشكل نحو ٨٩٪. ويبلغ عدد أبناء هذه الأقليات ١٠٤ ملايين و٤٩٠ ألف نسمة، وهو ما يعادل ٨,٤١٪ من إجمالي عدد سكان الصين. كما يوجد بها العديد من الديانات على رأسها البوذية والطاوية والإسلام والمسيحية وغيرها.

وكانت الحكومة الصينية قد أصدرت في عام ١٩٥٢ المنهج التنفيذي لنظام الحكم في جمهورية الصين الشعبية، الذي أوضح عدة مسائل مهمة مثل إنشاء أقاليم الحكم الذاتي الإقليمي القومي، وتأسيس هيئة الحكم الذاتي وتحديد صلاحياته، ووضعها موضع التنفيذ اعتبارًا من أول أكتوبر من العام نفسه.

ومؤخرًا وفي عام ٢٠٠١، واستجابة لمتطلبات تسريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية في أقاليم الحكم الذاتي الإقليمي القومي في ظل اقتصاد السوق الاشتراكي، قامت اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب الصيني بإدخال تعديلات على هذا القانون تؤكد احترام وتجسيد رغبات أبناء القوميات في أقاليم الحكم الذاتي بشكل أكبر، مما جعل هذا القانون أكثر تمامًا وإتقانًا.

ويتمتع أبناء القوميات في هذا النظام بحق الانتخاب والترشيح الذي ينص عليه الدستور والقانون، وينتخبون نوابهم في مجالس نواب الشعب لتشكيل هيئات الحكم الذاتي وممارسة الحقوق الديمقراطية في إدارة الشؤون القومية

والمحلية. ويلاحظ أن الصين تضم ١٥٥ إقليم حكم ذاتي، وأن المواطنين من القوميات التي تتمتع بحقوق الحكم الذاتي يتولون منصب رئيس اللجنة الدائمة لمجلس نواب الشعب أو مناصب نوابه. وجميع رؤساء المناطق والولايات والمحافظات الذاتية الحكم هم من مواطني القوميات المتمتعة بحقوق الحكم الذاتي.

وقد يفسر ذلك تمسك الصين ببقاء تايوان تحت مظلة الدولة الصينية رغم تمتعها بكافة خصائص الدولة المستقلة سواء من الناحية الاقتصادية أو على مستوى نظام الحكم، حيث ترفع الصين في ذلك شعار وطن واحد وأنظمة متعددة.

وقد انعكست النتائج الإيجابية لنظام الحكم الصيني خلال الفترة الأخيرة بشكل واضح في ارتفاع مستوى دخل مناطق الحكم الذاتي، ففي عام ٢٠٠٣ كان معدل نصيب الفرد الصافي من الدخل لمواطني الريف في مناطق الحكم الذاتي الإقليمي القومي ١٨٩٥ يوان بزيادة ١,٣١ ضعف عن عام ١٩٩٤. وبلغ معدل نصيب الفرد الصافي من الدخل لأهالي الريف في شينجيانج ٢١٠٦,١٩ يوان وهو ما يعادل ٨٠,٣٢٪ من معدل نصيب الفرد من صافي الدخل لسكان الريف في البلاد كلها، ووصل معدل نصيب الفرد من صافي الدخل لأبناء الريف في التيبت نحو ٦٩٠١,٧٦ يوان. أي ما يعادل ٦٤,٤٨٪ من معدل نصيب الفرد من صافي الدخل لسكان الريف في عموم الصين.

كما تحسنت ظروف الإسكان في مناطق الحكم الذاتي الإقليمي القومي تحسنًا ملحوظًا، وبلغ معدل نصيب الفرد من المساحة السكنية ١٩,٨ متر مربع لسكان المدن والبلدات و٢٢,٩ متر مربع لسكان الريف.

ويدعم الدستور الصيني توجهات الدولة التنموية، حيث ينص على أن المهمة الأساسية للأمة هي تركيز جهودها على خطة التحديث الاشتراكية والكفاح من أجل تحسين التقدم المادي والثقافي الاشتراكي، وتحويل الصين إلى دولة اشتراكية على درجة عالية من الديمقراطية.

وتتخذ الصين - وفقا للدستور- المبادئ الأساسية الأربعة: الطريق الاشتراكي، ودكتاتورية الديمقراطية الشعبية، وقيادة الحزب الشيوعي الصيني، والماركسية - اللينينية فكر ماوتسي تونج الذي استلهم من الثورة الروسية، وأخذ من النظرية الماركسية- اللينينية ما يتناسب مع أحوال الصين بهدف إيجاد حل لمعضلات التنمية والتخلف، ورفع شعار إنقاذ الأمة من خلال العلم



والاشتراكية، وطور العديد من المفاهيم القديمة.

وفي هذا الإطار تم تطوير الديمقراطية الاشتراكية، حيث ينص الدستور على أن جميع المواطنين سواسية أمام القانون، وليس لأي جهة أو شخص أن يمتلك ميزة تجاوز حدود القانون، كما ينص الدستور على أنه يتعين على زعماء الدولة ألا يستمروا في مناصبهم أكثر من فترتين متتاليتين(١٠ أعوام)، وهذا يلغي الفترة الطويلة لكبار المسؤولين.

إن أبعاد التجربة الصينية في التنمية والتحديث والإصلاح تنبثق من رؤية صينية خاصة تختلف عن الرؤية الغربية، وتتفاعل فيها عناصر الثقافة الكونفيشيوسية التقليدية والثقافة الغربية الحديثة، حيث تحافظ على روح حضارتها وتراثها القديم، وتختار نموذج التحديث والتنمية الخاص بها في ضوء ظروفها الحالية وأوضاعها الحقيقية.

وفي إطار مواكبة المتغيرات الحديثة، أجرت الصين العديد من التعديلات الدستورية حتى تتوافق مع معطيات المرحلة القادمة، وأسست هذه التعديلات الوضع القانوني للاقتصاد الخاص والنظام الجديد لحق استخدام الأراضي، كما حددت الاقتصاد السوقي ونظام المسؤولية الأسرية التعاقدية، وأدمجت في الدستور مصطلحات المرحلة الأولية للاشتراكية وبناء الاشتراكية بخصائص صينية والالتزام بالإصلاح والانفتاح.

وفي سبيل ذلك تم تغيير الكثير من المصطلحات القديمة مثل «الاقتصاد المخطط» ليحل محلها اقتصاد السوق الاشتراكي، وكذا الاقتصاد والمشروعات التي تديرها الدولة لتصبح اقتصاد الدولة والمشروعات المملوكة للدولة، وحلت «الكوميونات الشعبية الريفية» محل نظام المسؤولية الأسرية التعاقدية مع ربط العائد بالناتج.

كما قدمت الدورة الثانية للمجلس الوطني التاسع لنواب الشعب الصيني في عام ١٩٩٩ ستة تعديلات للدستور تضمنت دورًا إرشاديًا لنظرية دنج شياو بينج وتأسيس حكم القانون كسياسة وطنية، وإلقاء مزيد من الضوء على دور القطاع الخاص، وتبديل مصطلح الأنشطة الثورية المضادة ليحل محله مصطلح أنشطة جنائية تعرض أمن الدولة للخطر.

إن أبعاد التجربة الصينية في التنمية والتحديث والإصلاح تنبثق من رؤية صينية خاصة تختلف عن الرؤية الغربية، وتتفاعل فيها عناصر الثقافة الكونفيشيوسية التقليدية والثقافة الغربية الحديثة

وكان الحزب الشيوعي الصيني الحاكم قد تأسس في شانغهاي في أول يوليو عام١٩٢١، وتكون من طليعة الطبقة العاملة الصينية ومن قومياتها المختلفة والقوة المركزية متبنيًا قضية الاشتراكية في الصين، وكان هدفه الأساسي هو إقامة المجتمع الشيوعي. واتخذ من الماركسية-اللينينية وأفكار ماو تسي تونج دليلاً مرشدًا له.

وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية قاد الحزب الشيوعي الشعب الصيني في تنفيذ سلس للتحول الاشتراكي، وحقق التحول من الديمقراطية الجديدة إلى الاشتراكية، وأنشأ النظام الاشتراكي وطوره في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة.

وقد شهدت الصين فترة مزدهرة وبدأت تظهر نتائج الإصلاحات منذ تولى جيانج تسه مين الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في عام ١٩٨٩ ثم رئيس جمهورية الصين الشعبية في عام ١٩٩٣؛ ثم تولى هو جين تاو منصب الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني عام ٢٠٠٢ ورئيس جمهورية الصين الشعبية عام ٢٠٠٣. وهما معا قادا المجموعة القيادية المركزية في مواصلة سياسات الدولة حول الإصلاح والانفتاح التي دعا إليها دنج شياو بينج، مما أدى إلى ظهور عصر عظيم من الازدهار في الصين يتمثل في سياستها المستقرة وتنميتها الاقتصادية السريعة

وأعمالها الدبلوماسية النشطة.

وعلى مستوى السياسة الخارجية تبنت الصين سياسة دبلوماسية نشيطة تجاه الانفتاح على العالم الخارجي، سواء على المستوى السياسي من خلال الزيارات والتبادلات والمشاورات المتواصلة، أو على المستوى الاقتصادي من خلال التعاون الاستثماري والتبادل التجاري والانضمام إلى مختلف التجمعات الدولية والإقليمية، الأمر الذي خلق شبكة ضخمة من المصالح السياسية الاقتصادية للصين مع مختلف دول العالم.

ولم يقتصر تنامي دور الصين على محيطها فقط، بل امتد إلى الشرق الأوسط حيث تم تعيين مبعوث خاص لعملية السلام في الشرق الأوسط انعكاسا للأهمية المتنامية للصين في النظام الدولي ووجود رغبة فعلية لدى القيادة الصينية للعب دور أكبر، كما جاء هذا القرار استجابة للمطالبة العربية بدور صيني أكبر في علمية السلام في ضوء العلاقات التاريخية الوثيقة التي تربط بين الجانبين.

وعلى مدى الـ ٥٠ عامًا الماضية، شهدت العلاقات الصينية العربية مسيرة غير عادية، وظل الجانبان الصيني والعربي يحتفظان بعلاقات التعاون الودي المبنية على أساس التاريخ المتشابه والمصالح المشتركة وأهداف التنمية المتطابقة، خصوصًا منذ انتهاج الصين سياسة

أصبحت الصين الآن الدولة الأولى على مستوى العالم من حيث جذب الاستثمارات الأجنبية، كما تخطى الاحتياطي النقدي الأجنبي لدى البنك المركزي الصيني مبلغ ٤٠٠ مليار دولار، ويسير في اتجاه متصاعد

الإصلاح والانفتاح على الخارج وانتهاء الحرب الباردة، وبدأت علاقات الصداقة والتعاون بين الصين والدول العربية تسير في طريقها إلى التنمية الشاملة مع تغيرات الأوضاع للصين محليًا وخارجيًا.

وتطورت العلاقات العربية الصينية تطورًا ملحوظا في الفترة الأخيرة حتى أصبحت الشراكة الصينية موضوعًا للجامعة العربية، وهو الأمر الذي أبرزه آخر اجتماع لوزراء الخارجية العرب، حيث طالب مشروع قرار الأمانة العامة للجامعة العربية متابعة التنسيق مع الجانب الصيني من أجل الإعداد لاجتماع كبار المسؤولين لمنتدى التعاون العربي -الصيني بمقر الأمانة العامة للجامعة خلال العام الحالي ٢٠٠٧ تمهيدًا لعقد الدورة الثالثة للاجتماع الوزاري للمنتدى عام ٢٠٠٨ بمملكة البحرين.

كما أوصى المجتمعون من الأمانة العامة مواصلة التنسيق مع الجهات المعنية من الجانبين العربي والصيني للإعداد لعقد الدورة الثانية لمؤتمر رجال الأعمال للمنتدى بالعاصمة الأردنية عمان يومي ١٨ و ١٩ يونيو القادم.

وللصين دور مهم في قضية العراق، حيث عارضت الصين غزو العراق من قبل قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة وذلك انطلاقا من احترامها لمبادىء القانون الدولي، كما أن لها مواقف مناهضة للسياسات الإسرائيلية في فلسطين.

وعزز اهتمام الصين بالمنطقة العربية ومنطقة الخليج، بشكل خاص كونها ثاني أكبر مستهلك للنفط في العالم بعد الولايات المتحدة، ومن المتوقع أن يزداد استهلاكها بنسبة ١٠٪ سنويًا، ومن المنتظر أن تزداد واردات الصين من النفط والغاز من ٣٣٪ حاليًا من احتياجاتها الإجمالية إلى ٦٠٪ في عام ٢٠٢٠. ولا ينمو الإنتاج الآسيوي من النفط والغاز بالسرعة الكافية لتلبية هذه الاحتياجات، علمًا بأن جزءًا كبيرًا من النفط والغاز اللذين ينتجهما الشرق الأوسط يصدّر في العادة إلى الأسواق الأمريكية والأوروبية. لذلك عملت الصين على أن تؤمن مصادر الطاقة المتاحة في إفريقيا

والدول العربية بقدر الإمكان واستخدمت في ذلك العديد من الوسائل.

وتشير التقديرات إلى أن ٢٥٪ من واردات الصين الإجمالية من النفط تأتي حاليًا من افريقيا، مما حدا بالصين إلى أن تضع في أعلى سلم أولوياتها الاحتفاظ بعلاقات قوية مع موردي الطاقة الإفريقيين، وذلك عبر الاستثمار، والزيارات التي يقوم بها كبار المسؤولين، والالتزام بسياسة متزنة تتبنى مبدأ «عدم التدخل في الشؤون الداخلية» لتلك البلدان، الأمر الذي يشعر معه الحكام في إفريقيا بالراحة.

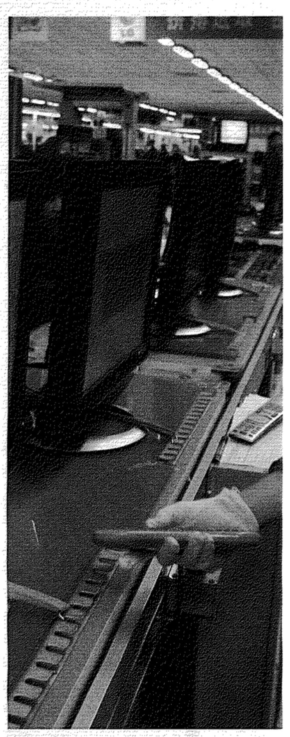
وفي إطار هذه السياسة حظي السودان الذي يمد الصين بنسبة ٧٪ من وارداتها الإجمالية من النفط بالقدر الأكبر من الاستثمارات الصينية. وتعتبر الشركة الوطنية الصينية للبترول أكبر مساهم منفرد في شركة النيل الكبرى للبترول التي تسيطر على حقول النفط في السودان، كما استثمرت ٣ مليارات دولار في إنشاء مصافي النفط وخطوط الأنابيب في السودان.

واستثمرت الشركات التابعة للحكومة الصينية مليارات الدولارات واستخدمت الموارد الهندسية والإنشائية الصينية للبنى التحتية الخاصة بتطوير موارد النفط والغاز والمعادن وغيرها من المصادر الطبيعية في عشرات البلدان الإفريقية، ومن بينها الجزائر، وأنجولا، والجابون، ونيجيريا، والسودان، وزمبابوي.والهدف الواضح للاستثمارات الصينية الجديدة في الطاقة الإفريقية هو تكملة وارداتها النفطية من الشرق الأوسط.

واستخدمت الصين العديد من الوسائل لتدعيم علاقتها بمصادر الطاقة، ففي شهر مارس ٢٠٠٤، قدمت بكين قرضًا قيمته مليارا دولار إلى أنجولا مقابل إبرام عقد معها لإمدادها بـ برميل١٠٠,٠٠٠ من النفط الخام يوميًا.

وفي العام نفسه كانت هناك أكثر من عشر زيارات متبادلة قام بها كبار المسؤولين الحزبيين والحكوميين بين الصين والبلدان الإفريقية. وتمحور معظم تلك الزيارات حول التعاون الاقتصادي وفي مجال الطاقة.

وفي يوليو ٢٠٠٥، أبرمت شركة بتروتشاينا

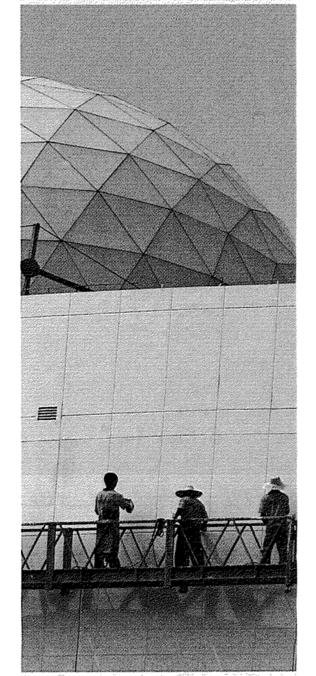


صفقة قيمتها ٨٠٠ مليون دولار مع شركة النفط الوطنية النيجيرية لشراء ٣٠,٠٠٠ برميل من النفط يوميًا على مدار عام واحد.

أما في يناير الماضي ٢٠٠٦، وبعد أن فشلت شركة China National Offshore Oil في الاستحواذ على شركة يونوكول ذات الملكية الأمريكية، قامت بشراء حصة مقدارها ٤٥٪ في حقل النفط والغاز البحري في نيجيريا بمبلغ

٢,٢٧ مليار دولار، ووعدت باستثمار ٢,٢٥ مليار دولار أخرى في تطوير الحقل، كما شهدت صناعة النفط المتداعية في الجابون أيضًا استثمارًا كبيرًا من الشركة الصينية للبتروكيماويات التي تخطط للتنقيب عن احتياطيات الجابون البرية والبحرية من النفط.

وانعكس ذلك على حجم التبادل التجاري السنوي بين الصين وإفريقيا، حيث كان حجم هذا التبادل ٥,٦ مليار دولار عام ١٩٩٩. ثم تضاعف بعد تأسيس منتدى التعاون الصيني الإفريقي، أكثر



من خمس مرات، فوصل إلى ٢٩,٥ مليار دولار في عام ٢٠٠٤. وفي نهاية شهر أكتوبر ٢٠٠٥، بلغ حجم التجارة بين الصين وإفريقيا في ذلك العام ٣٢,٢ مليار دولار، وعمومًا، فإن حجم التجارة الإفريقية مع الصين ينمو بمعدل أسرع أكثر من ٥٠٪ في المتوسط سنويًا منذ عام ٢٠٠٢م.

وعززت سياسة الصين في إفريقيا والشرق الأوسط – التي تعتمد على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذه البلاد والاهتمام فقط بالمصالح الاقتصادية – كسب تأييد هذه الدول خاصة فيما تعلق بالاعتراف بتايوان، حيث قامت كل من ليسوتو والنيجر وجمهورية إفريقيا الوسطى، وغينيا بيساو، وجنوب إفريقيا بسحب اعترافها بتايوان، وفعلت ليبيريا الشيء نفسه في عام ٢٠٠٣، قبل أن ترسل الصين قوات جيش التحرير الشعبي للمساعدة في مشاريع إمدادات المياه في ليبيريا. وإضافة إلى جهودها المستمرة لتمزيق ما تبقى من علاقات لتايوان بإفريقيا، سعت الصين مرارًا وتكرارًا للحفاظ على دعم شركائها الأفارقة لسياسة «صين واحدة» التي تنتهجها. وذلك عبر الدعم الدبلوماسي، والاستثمار الاقتصادي، وغير ذلك من المساعدات.

ونظرًا لأن الصين وجنوب آسيا يمثلان أكثر من ٤٠٪ من تعداد سكان العالم (الصين ذات الـ ١,٣ بليون نسمة، وجنوب آسيا ذات الـ ١,٤ بليون نسمة). هذا بالإضافة إلى اقتصاد كل منهما الذي يُقدر بتريليونات الدولارات (من المفترض أن يصل الناتج القومي الصيني إلى ٤٤,٥ تريليون دولار في عام ٢٠٥٠)، إضافة إلى اتصالات التجارة وعقود «البيزنس» بينهما، والمجهودات الخارقة التي يبذلها الطرفان لتطوير أسلحة تقليدية وغير تقليدية – نظرًا لذلك – انتقلت أولوية اهتمام السياسة الخارجية الصينية إلى منطقة جنوب آسيا لتحتل المكانة الأولى التي كانت تحتلها منطقة شرق آسيا حتى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وكانت زيارة رئيس الوزراء الهندي «فاجبايي» التاريخية إلى الصين في يونيو ٢٠٠٣ علامة فاصلة في العلاقات الصينية الهندية، مؤكدة قدرة الدولتين على الاستجابة لتغير الديناميكيات الإقليمية

والدولية التي ألزمتهما على العمل سويًا من أجل التعاون إقليميًا والتداخل اقتصاديًا والانخراط جديًا في تحقيق المصالح بعيدة المدى، وبناء ثقة متبادلة تتزايد تدريجيا، مما ساهم في تضاعف تجارتهما البينية عام ٢٠٠٥، ومكنهما من القيام للمرة الأولى بتدريب بحري مشترك على شواطئ شنغهاي.

وتضم منطقة جنوب آسيا ثماني دول هي: الصين والهند وباكستان وسيريلانكا وبوتان وبنجلاديش ونيبال وجزر المالديف. ويجمع المؤرخون على أن التاريخ والدين والثقافة والجغرافيا هي عوامل ساهمت في أن يتقاسم الجميع بهذه المنطقة إرثا مشتركا يعود إلى آلاف السنين؛ إذ ترجع بداية العلاقات الصينية الجنوب آسيوية إلى عام ٤٠٠ قبل الميلاد؛ حيث كانت التجارة والثقافة منتعشتين عبر «الطريق الحريري» وعبر قنوات أخرى، التي منها المدرسة البوذية في الصين؛ تلك المدرسة التي شجعت على جلب العلماء البوذيين من الهند، لكي يساعدوا على نشر وتدريس المبادئ البوذية في الصين.

وعلى الصعيد الاقتصادي استطاعت الصين أن تحقق معجزة اقتصادية غير مسبوقة خلال السنوات الأخيرة، يشهد العالم كله على براعتها وخصوصيتها، انعكست على مجمل المؤشرات الاقتصادية لقياس أداء الاقتصاد الصيني، فقد تمكنت من أن تحقق هذا الإنجاز من خلال إقرار نظام متكامل من السياسات الهادفة إلى خدمة عملية التنمية الاقتصادية الجارية في الصين، تتناول كافة القطاعات الاقتصادية بهدف تطويرها بالشكل الذي يسمح لها أن تحقق هذه الطفرة، وبحيث تشمل كافة المجالات الزراعية والصناعية والسياحية والتجارية والاستثمارية والعلمية والتكنولوجية.

وقد حافظت الصين على أعلى معدل للنمو الاقتصادي بين دول العالم وسط حالة من التباطؤ الاقتصادي العالمي، كما حققت أرقامًا قياسية في مجال التجارة الخارجية وجذب الاستثمارات الخارجية، حيث أصبحت الصين الآن الدولة الأولى على مستوى العالم من حيث جذب الاستثمارات

تتنبأ العديد من الدراسات الأكاديمية العالمية أن هذا البزوغ الاقتصادي الصيني سيمكن الاقتصاد الصيني من التفوق على نظيره الألماني في ٢٠٠٨، وعلى نظيره الياباني في ٢٠١٥، وعلى نظيره الأمريكي في ٢٠٤٠

الأجنبية، كما تخطى الاحتياطي النقدي الأجنبي لدى البنك المركزي الصيني مبلغ ٤٠٠ مليار دولار، ويسير في اتجاه متصاعد.

وقد صاحب هذه الطفرة الاقتصادية القياسية تحقيق نقلة نوعية هائلة في قطاع الصناعة، نتيجة التركيز الكبير من قبل الحكومة على تطوير قطاع العلوم والتكنولوجيا، حيث اعتنقت الحكومة الصينية سياسة «أن العلم والتقنية العالية يعتبران أساسًا لتحقيق التنمية الاقتصادية»، وعليه أولت هذا القطاع رعاية خاصة ومتكاملة نتج عنها حدوث نقلة كبيرة تواكب التطورات العالمية في هذا المجال، وأنشأت الصين قاعدة علمية عريضة ستبني عليها مستقبلاً قطاع العلوم والتكنولوجيا الصيني، كما استطاعت أن تحقق نجاحًا ملموسًا في مجال صادرات وواردات المنتجات التقنية إضافة إلى جذب الاستثمارات الأجنبية في هذا المجال.

وتشير الإحصائيات إلى نمو القوة الاقتصادية الصينية بصورة ملموسة على مدى السنوات الخمس الماضية وارتفاع إجمالي الناتج المحلي بنسبة ٥٧,٣٪ في عام ٢٠٠٥ مقارنة بعام ٢٠٠٠ محققًا متوسط زيادة سنوية تبلغ ٩,٥٪. وارتفعت إيرادات الحكومة بنسبة ١٣٦٪ على مدار نفس الفترة بزيادة متوسطها ٣٦٤,٧ مليار يوان

في العام الواحد. وظهر تحسن ملموس في الإنتاج الزراعي وخاصة إنتاج الحبوب، وحدث نمو جوهري في إنتاج المنتجات الصناعية. وتوسعت صناعات التكنولوجيا الفائقة بسرعة، كما تحققت إنجازات هائلة فيما يتعلق بتعزيز الصناعات الأساسية وتنمية البنية الأساسية، وتم استكمال الكثير من المشروعات الكبرى والبدء في تنفيذ مشروعات أخرى كثيرة في مجالات مثل الحفاظ على المياه والطاقة والنقل والمواصلات والاتصالات، وحدث توسع سريع في استخدام تكنولوجيا المعلومات في الاقتصاد والمجتمع.

إن الفائض التجاري للصين مع الولايات المتحدة وحدها وصل إلى ١٢٠ بليون دولار، بينما بلغ فائضها التجاري مع العالم كله إلى ١٩,٦ بليون دولار عام ٢٠٠٣. أما علاقاتها التجارية مع كل من الهند وباكستان، فقد شهدت نموًا سريعًا؛ حيث ارتفع حجم التجارة بين الصين والهند من ٢٦٥ مليون دولار في عام ١٩٩١ إلى ٣٥٩٦ مليون دولار في عام ٢٠٠١، وأيضًا ازداد حجم التجارة بين الصين وباكستان في عامي (٢٠٠١-٢٠٠٣)

زاد الفائض في الحساب الجاري الصيني خلال العام الماضي ٢٠٠٦ بصورة أكبر ليصل إلى حوالي ٢٠٠ مليار دولار. وسمحت الفوائض التصديرية المتواصلة للصين بتكديس كميات كبيرة من الاحتياطيات الرسمية للنقد الأجنبي وصلت حاليًا إلى مستوى يزيد على تريليون دولار وهو الأعلى في العالم

من ١,٨ بليون دولار إلى ٢,٤ بليون دولار.

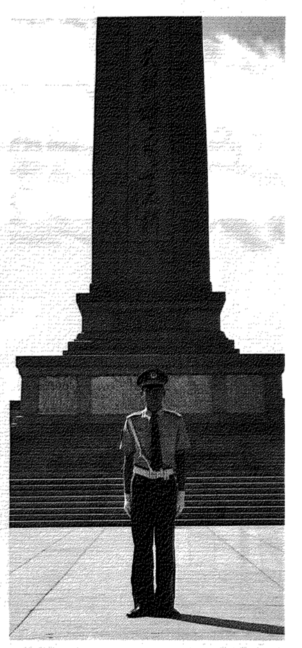
أما على مستوى التجارة العالمية، فكان انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية في نوفمبر ٢٠٠١ خلال مؤتمر الدوحة منعطفًا تاريخيًا يتعين الوقوف على أبعاده، فبعد رحلة شاقة من المفاوضات حول انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية بدأت منذ عام ١٩٨٦، تم إقرار انضمام الصين إلى هذه المنظمة التجارية العالمية، وأصبحت أمام تحد رئيسي يوفر لها فرصًا ويمنحها حقوقًا جديدة من ناحية، ويلزمها بتعهدات ويشكل أخطارًا عليها من ناحية أخرى.

وقد استعدت الحكومة الصينية لعملية انضمامها إلى منظمة التجارة من خلال حملة إصلاحات واستعدادات واسعة تم تكثيفها منذ عام ١٩٩٩ لتعبئة كافة أجهزة الدولة لعملية الانضمام إلى المنظمة العالمية. ولعبت الصين دورًا قياديا في الاجتماع الوزاري لمنظمة التجارة العالمية في مدينة كانكون في سبتمبر ٢٠٠٣ ضمن التجمع الجديد للدول النامية مما ساهم في إقامة تجمع قوي لهذه الدول يدافع عن مصالحها ضد السياسات الزراعية للدول المتقدمة التي تتضرر منها الدول النامية.

وتتنبأ العديد من الدراسات الأكاديمية العالمية أن هذا البزوغ الاقتصادي الصيني سيمكن الاقتصاد الصيني من التفوق على نظيره الألماني في ٢٠٠٨، وعلى نظيره الياباني في ٢٠١٥، وعلى نظيره الأمريكي في ٢٠٤٠

وكان أحدث تقرير لمؤسسة برايس ووترهاوس للاستثمارات والأعمال قد ذكر أنه من المتوقع أن يتنامى الاقتصاد الصيني بسرعة حتى يتجاوز كافة الدول المتقدمة بحلول عام ٢٠٥٠.

ويضيف التقرير أن باعث ذلك بالنسبة للصين، شأنها في ذلك شأن بلدان نامية أخرى، يرجع جزئيا إلى عمالتها الصغيرة في السن والرخيصة. ويعتقد أن الاقتصاد الصيني قد يصبح بحلول عام ٢٠٥٠ أكبر من الاقتصاد الأمريكي بمقدار ٤٣٪ قياسًا على القوة الشرائية - وإن كان سيظل دون الاقتصاد الأمريكي قياسًا إلى الدولار.



وكان الاقتصاد الصيني حقق العام الماضي ٢٠٠٦ معدل نمو ١٠,٧٪، وهو الأكبر منذ ١٩٩٥، حسب المكتب القومي للإحصاء، ويفوق هذا المعدل التوقعات الرسمية التي ناهزت ١٠,٥٪.

كما زاد الفائض في الحساب الجاري الصيني خلال العام الماضي ٢٠٠٦ بصورة أكبر ليصل إلى حوالي ٢٠٠ مليار دولار. وسمحت الفوائض التصديرية المتواصلة للصين بتكديس كميات كبيرة من الاحتياطيات الرسمية للنقد الأجنبي وصلت حاليًا إلى مستوى يزيد على تريليون دولار وهو الأعلى في العالم.

وقد تزايدت مؤخرًا الضغوط الدولية المفروضة على الصين لرفع قيمة العملة المحلية الصينية «اليوان»، ورغم أن هذه الضغوط ليست جديدة، إلا أن نبرتها تزايدت خلال الفترة الأخيرة في ضوء تراجع سعر صرف الدولار أمام سلة العملات الدولية، بالتوازي مع استمرار تزايد حجم الصادرات الصينية، وهو ما أفضى إلى تفاقم حجم العجز التجاري الذي تعانيه بعض الدول مع الصين وبخاصة الولايات المتحدة.

وانضمت دول الاتحاد الأوروبي إلى الأصوات المطالبة بهذا التعديل في قيمة العملة الصينية، بينما ترى الصين أن الوقت مازال مبكرًا للإقدام على خطوة رفع قيمة اليوان، لاسيما في ضوء ما هو متوقع من ارتفاع قيمة اليوان خلال الفترة المقبلة بشكل طبيعي نتيجة انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية وما يترتب على ذلك من فتح الأسواق الصينية أمام المنتجات الأجنبية، كما ترى أن تعديل سعر الصرف في الوقت الحالي سيكون له آثار سلبية على جهود الصين لرفع مستوى معيشة المواطنين الصينيين.

وسواء تم رفع قيمة العملة المحلية أو تم الانتظار بعض الوقت، فلا شك أن الاقتصاد الصيني يسير بخطى ثابتة في اتجاه إثبات وجوده على المستوى الدولي كقوة اقتصادية لا يستهان بها. ■

المراجع

- د. عبدالعزيز حمدي عبدالعزيز - التجربة الصينية-أم القرى للطبع والنشر- القاهرة.
- بنج توانج تشيان - الدفاع الوطني الصيني دار النشر الصينية عبر القارات- ترجمة فريدة وانج فو.
- الصين الحقائق والأرقام - دار النجم الجديد - بكين- فبراير ٢٠٠٥.
- التقرير السنوي للكونجرس - ٢٠٠٦م.
- دراسات أميركية: النفوذ الصيني في إفريقيا.. تهديد كبير لمصالح واشنطن بقلم: بيتر بروكس وجي هاي شين في ديسمبر ٢٠٠٦/.

ستنضم إلى نادي الدول الصناعية الكبرى الثماني..

العملاق الاقتصادي «الوديع»

أحمد عفاني * - دمشق



* باحث اقتصادي.

قلما توقع أحد من السياسيين هذه القفزة النوعية التي رفعت بكين إلى مصاف الدول المرشحة لتبوّؤ المقعد الأول في نادي الدول الكبرى. كان من البديهي أن تفضي التطورات الجذرية والانهيارات السياسية الهائلة في نهاية الثمانينيات إلى انهيار الكتلة الشرقية وبالتالي إلى انحسار صفة الدولة العظمى عن الاتحاد السوفياتي السابق أو بالأحرى الاتحاد الروسي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالتربع على عرش العالم. وقد نشرت مجلة «دير شبيغل» أن الإدارة الأمريكية أوكلت آنذاك إلى أحد معاهد البحوث السياسية، إجراء دراسة للرد على السؤالين التاليين: أي دولة ستنافس الولايات المتحدة في المستقبل على نظام أحادية القطب، ثم: كيف يمكن إحباط ذلك؟ وكان الرد كما ذكرت المجلة المرموقة هو: ألمانيا الموحدة أو اليابان. وأضافت أن الرئيس الألماني ريتشارد فون فايتسكر احتج على ذلك أثناء قيامه بزيارة رسمية إلى واشنطن، وأن الرد الأمريكي هو أن القضية كانت مجرد دراسة لا أهمية لها.

وكان من الواضح أن الباحثين استندوا في وضع نظريتهم إلى القوة الاقتصادية التي يتمتع بها كل من البلدين، لأنه لن يكون للتسلح النووي والصاروخي أي فائدة بعد انهيار الكتلة الشرقية، بل ستكون تكاليف التخلص من هذه الأسلحة عبئًا ماليًا كبيرًا.

ويبدو أن أيًا من الباحثين السياسيين الأمريكيين لم يقرأ كتاب أستاذ الفيزياء فيلهلم فوكس Wilhelm Fucks «قوى غد العالمية Maechte von Morgen» الذي ألفه في عام ١٩٦٥ متنبئًا بأن تتفوق الصين على بقية الدول الكبيرة. وقد استند فوكس في رأيه الذي لم يعره السياسيون اهتمامًا كبيرًا، إلى معادلة تأخذ بعين الاعتبار عدد السكان أي الطاقة البشرية، بالإضافة إلى استهلاك الطاقة وإنتاج الفولاذ. واستنتج من الإحصائيات والدراسات العديدة أن عدد سكان الدول الصناعية في تراجع، مع ما يعنيه ذلك من فقدان عامل هام في النمو الاقتصادي. وكان ذلك في الستينيات أي قبل اعتراف ألمانيا بالصين الشعبية، وفي الوقت الذي لم يكن يتحدث فيه أحد عن الصين دون الإسهاب في وصف الجوع والظلم والتعسف، وغير ذلك من عبارات الحرب الباردة بين معسكري كل من الرأسمالية والشيوعية.

أما المستشار الأسبق هلموت شميدت Helmut Schmidt فقد أفرد مكان الصدارة للصين في كتابه «قوى المستقبل - رابحون وخاسرون في عالم الغد Die Zukunft Maechte der» الذي نشره في عام ٢٠٠٤. وكان التساؤل عن: كيفية التعامل مع الصين، وهل يتعين كبح جماحها كقوة اقتصادية منافسة، أم التعاون معها؟ واحدًا من «الأسئلة الاستراتيجية

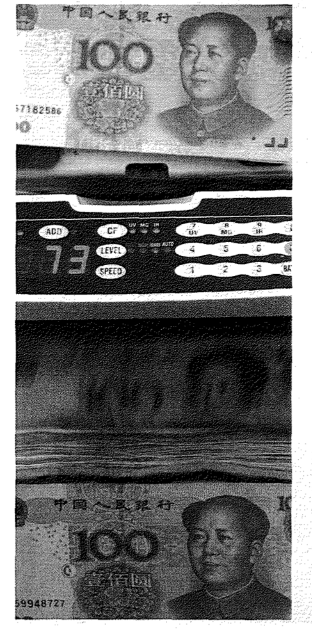
الثلاثة» التي طرحها السياسي الألماني المخضرم على الولايات المتحدة الأمريكية. وتساءل شميدت أيضًا عما إذا كانت واشنطن على استعداد لتقبل هيئة الأمم المتحدة أو الاتحاد الأوروبي كشريك. وعندما تطرّق إلى الصين تحدث عنها باحترام أكثر من الاتحاد الأوروبي الذي «يتردّى ـ حسب رأيه ـ في أزمة» وأنه على وشك فقدان القدرة على الوقوف على قدم المساواة مع الدول الكبيرة في المجال السياسي.

تباينت آراء الخبراء في التطورات التي تشهدها الصين الشعبية حاليًا؛ فبينما يرى البعض أنها دليل على قابلية الشيوعية للتكيف وفق المعطيات، كتب آخرون تعليقاتهم وتحليلاتهم بعنوان: وداعا أيتها الشيوعية. ومهما يكن من أمر فقد أقر مؤتمر الشعب ولأول مرة في تاريخ البلاد قانونًا يقضي بحماية الملكية الفردية، ووضعها على قدم المساواة مع أملاك الدولة.

وقد عادت الصين إلى الصفحات الأولى من الصحف والمجلات، بعد القرارات الاقتصادية الجريئة المفاجئة التي اتخذها «مؤتمر الشعب» الصيني في الآونة الأخيرة في بكين. صحيح أن القرارات الفعلية تُتّخذ في لجان الحزب وهيئاته العليا وفي مقدمتها المكتب السياسي، لا في المجلس النيابي الصيني المسمى بمؤتمر الشعب، والمكون من حوالي ٣٠٠٠ نائب. إلا أن مداولات هذا المجلس وقراراته تعتبر على أي حال مؤشرًا على التطورات بصورة عامة. وعلاوة على ذلك، كانت المهمة الملقاة على عاتقه في دورته الأخيرة هي سنّ قوانين، اعتبرها الخبراء والبحاثة بمثابة صفة شرعية لأسس اقتصادية جديدة للسوق.

ولا شك في أن إضفاء الشرعية على الملكية الخاصة وحمايتها، سيمنح الطمأنينة للشركات الأجنبية العاملة في الصين، ويشجعها على الاستثمار. وكان التعامل مع الصين معضلة لا بالنسبة إلى الولايات المتحدة فحسب، بل والاتحاد الأوروبي أيضًا. وبينما كانت المؤسسات الصناعية والمالية الغربية تتهافت على «أهم أسواق المستقبل» للتسويق والاستثمار، بدأت تشعر بالمنافسة الصينية، لا في الميدان السياسي فقط، بل والاقتصادي أيضًا.

من كان يتصور قبل عشر سنوات مثلًا، أن الصين ستشارك في معرض السيارات الدولي في فرنكفورت؟ ومن كان يتصور أن الصين ـ الشعبية ـ ستتحول من بلد منتج للسلع الرخيصة إلى دائرة الدرجة الأولى في الاقتصاد العالمي. إذ سجّل الاقتصاد الصيني في العام الماضي أكثر من ٣٨٠٠ براءة ابتكار، أو بزيادة قدرها ٥٧٪ عن براءات العام الذي سبقه، هذا علاوة على أن قيمة صادرات الصين من الأدوات الكهربائية في العام الماضي تفوقت على مثيلتها الألمانية. وقد وعدت بكين برفع حماية الملكية الفكرية أيضًا تدريجيًا



إلى المستوى العالمي. وأعلن مجلس الدولة أنه سيضع حتى حزيران القادم استراتيجية شاملة لمحاربة القرصنة في ميدان الإنتاج. مع العلم بأن تطبيق مثل هذه الأحكام في الدوائر المحلية خارج المدن الكبيرة سيظل صعبًا إلى حد ما.

ما زلت أذكر عندما قدمت إلى ألمانيا في أواخر الخمسينيات، كيف كان البائع يشير بازدراء إلى السلعة اليابانية، إذا اعترضت على غلاء نفس السلعة المصنوعة في ألمانيا؛ في إشارة إلى الفرق في الجودة. أما اليوم فقد فرضت المنتوجات اليابانية احترامها في الأسواق الألمانية حتى في الميادين التي كانت ألمانيا تعتقد أنها من امتيازاتها كالسيارات مثلًا. ومن الواضح أن الصين تسير في نفس الطريق، ولكن بتسارع أعلى يتناسب طرديًا مع التسارع في التطور الصناعي والعلمي في العالم بصورة عامة. وقد ارتقت المنتوجات الصينية إلى مستوى ينتزع الإعجاب والتقدير. ولا يبخل زوار المعارض الصناعية الصينية بالمديح، لا على الأسعار المتهاودة للسلع فحسب، بل على الجودة أيضًا.

هل تعتقد بكين أنه قد آن الآن أوان الخوض في المعترك السياسي الدولي، وهل أصبح انضمامها إلى مجموعة الدول الكبرى مسألة وقت فقط؟

نوّه الأمين العام السابق لهيئة الأمم المتحدة بطرس غالي في عدة أحاديث تلفزيونية إلى أن زعماء الصين الشعبية كانوا يرفضون بأدب، مطالبته لهم بالتدخل بصورة أقوى في المعترك السياسي العالمي. وربما كان ذلك على الأرجح، تريّثا حتى الوقت المناسب، وبعد توفير الشروط اللازمة لتصبح بكين قادرة على خوض الحرب الاقتصادية الباردة المحتملة من القوى الاقتصادية، التي أشار إليها هلموت شميدت في كتابه.

ويبدو أن الصين التي لا يخلو تعليق اقتصادي من وصفها بأنها عملاق اقتصادي، تطرق الآن باب النادي الذي اصطُلح على تسميته بـ « G8» لأنه يضم الدول الكبرى الثماني وهي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واليابان وألمانيا وفرنسا

سجّل الاقتصاد الصيني في العام الماضي أكثر من ٣٨٠٠٠ براءة ابتكار، أو بزيادة قدرها ٥٧٪ عن براءات العام الذي سبقه، هذا علاوة على أن قيمة صادرات الصين من الأدوات الكهربائية في العام الماضي تفوقت على مثيلتها الألمانية

وبريطانيا وإيطاليا وأخيرًا روسيا. مع العلم بأن روسيا التي ترأست في العام الماضي هذه المجموعة، لا تحظى بالعضوية التامة، بل هي مستثناة في الميدان المالي. وهكذا كان وزير المالية الروسي ومحافظ البنك المركزي الروسي ضيفين على مؤتمر الـ «جي ٧ G» الذي انعقد في مدينة إسّن الألمانية على مستوى وزراء المالية في التاسع والعاشر من شباط/فبراير الماضي. إلا أن وزير المالية الألماني Peer Steinbrueck بير شْتاينْبْروك الذي تترأس بلاده مجموعة الثماني لهذا العام، كان قد دعا كلاً من الصين والبرازيل والهند والمكسيك وإفريقيا الجنوبية لحضور المؤتمر، وإن كان الاهتمام مكرسًا للصين. إذ تناقلت وكالات الأنباء قبل انعقاد المؤتمر بأيام قلائل أن احتياطي الصين من الدولارات يبلغ بليون Billion دولار. وكان لزامًا على واضعي السياسة المالية في الدول الصناعية الاستماع إلى رأي الوفد الصيني مثلًا في قضية ذات أهمية بالغة بالنسبة إلى الوضع الاقتصادي العالمي ألا وهي مسألة رفع تسعيرة العملة الصينية. ولفت الوفد الصيني الانتباه قبل انعقاد المؤتمر، عندما رفض النزول في الفندق الذي كان محجوزًا له، وأصر على الانتقال إلى فندق فخم من الدرجة الممتازة.

وقد ذكرت صحيفة فايْننْشل تايمز دويْتْشلاند

Financial Times Deutschland أثناء انعقاد المؤتمر أن الصين ستدعى سنويا مرتين لحضور المشاورات الدورية التي يجريها الوزراء ومحافظو البنوك لكل من الدول السبع. وقالت استنادًا إلى أوساط المؤتمر إن «مناقشة الخلل الذي يعتري الوضع الاقتصادي العالمي - كالعجز الهائل في ميزان التجارة الأمريكية - لم يعد ممكنًا وبصورة مجدية دون مشاركة الصين». لا بل إنها أكدت أنه كان للولايات المتحدة «رغبة كبيرة» في دعوة الصينيين أملًا في إقناعهم برفع تسعيرة عملتهم، لأن ذلك سيساعد الولايات المتحدة على تخفيض العجز الهائل في ميزانها التجاري. والمعروف أن للقضايا التجارية التي تنطوي عليها العلاقات الصينية الأمريكية انعكاسات سريعة على الأسواق المالية الدولية. ويشير خبراء الاقتصاد مثلًا إلى أن مجرد إعلان الولايات المتحدة عن أنها «ربما» فرضت قيودًا على بعض واردات المنسوجات الصينية سيؤدي خلال ساعات إلى الهرب من الدولار، خوفًا من احتمال قيام الصين بالرد على ذلك وتحويل جزء من احتياطها من الدولار إلى اليورو.

لقد كان لألمانيا وفرنسا دور رئيس في انضمام روسيا إلى نادي الدول الصناعية الكبرى السبع.

وقد طالب وزير المالية الألماني أثناء مؤتمر إسن بمنح روسيا العضوية التامة «نظرًا لأنها أصبحت في هذه الأثناء من الدول الدّائنة». وهناك جهود مماثلة لقبول عضوية الصين في نادي الكبار، بعد قبول عضويتها في منظمة التجارة الدولية. وكان المستشار الألماني السابق غيرهارد شرويدر قد أعرب في حديث لجريدة «دي تسايْت Die Zeit» الألمانية الأسبوعية، أثناء وجوده في اليابان خلال أول جولة آسيوية له عام ١٩٩٩، عن تأييده لانضمام الصين إلى نادي الثمانية بعد عضويتها في منظمة التجارة الدولية. وفي إشارة إلى معارضة الولايات المتحدة الأمريكية المتوقعة لعضوية الصين في مجموعة الثمانية، دعا شرويدر آنذاك إلى تقريب الصين من المجموعة الثمانية تدريجيًا لتصبح G9.

وأعرب عن استغرابه للموافقة على عضوية روسيا ورفض انضمام الصين إلى المجموعة. وطالب آنذاك بالشروع في مناقشة هذه القضية «لأن الفرصة تبدو مواتية» كي يتسنى إلزام الصين بتحمل مسؤولية على الصعيد العالمي.

وتكفي الآن، نظرة عاجلة إلى الوضع الاقتصادي الصيني وتطوره ودوره في التطور الاقتصادي العالمي، لمعرفة بعد النظر الذي تحلّى به المستشار الألماني السابق في تلك الآونة عندما كانت بلاده تترأس المجموعة الثمانية. وتبينت في هذه الأثناء صحة رأيه في أن تبني موقف معتدل من الصين سيساعد زعماءها على مواصلة النهج الإصلاحي.

اضطلعت ألمانيا منذ السبعينيات بدور خاص في رعاية العلاقات الغربية مع الصين

كانت ألمانيا أثناء الحرب الباردة، تخشى تدهور الأوضاع بين الشرق والغرب، بحكم وقوعها على خط التماس بين الطرفين. وأي اشتباك نووي، كان سيؤدي إلى فناء الأمة الألمانية. وقد شجعها نجاحها في نزع فتيل الأزمات في أوروبا، على بذل جهود مماثلة لتفادي استفزاز الصين، كما حدث إثر الغارة الجوية التي شنتها طائرات الناتو على السفارة الصينية في بلغراد أثناء حرب كوسوفو. وقد أفلح محور برلين باريس في تعبئة الاتحاد الأوروبي سياسيًا لتفادي أي اصطدام بين واشنطن وبكين، وما يترتب على ذلك من عواقب لا مبرر لها. ويعترف الأوروبيون كذلك، بأن اليابان ساهمت بقسط وافر في هذا المجال.

الصين تستهلك ٢٠ إلى ٣٠٪ من المواد الأولية الهامة والمعادن، كالالمنيوم والنحاس والفحم، بالاضافة الى أن انتاجها من الاسمنت يبلغ ٤٠٪ من حجم الانتاج في العالم

واضطلع القطاع الاقتصادي الألماني بدور متميز في عملية الإصلاح الاقتصادي الصيني. ولقد تطورت العلاقات الاقتصادية الصينية الألمانية منذ عام ١٩٧٢ بسرعة تبهر الأنظار. فقيمة الصادرات الألمانية إلى الصين عند بداية الانفتاح على الصين في العام المذكور لم تزد على حوالي ٢٧٠ مليون دولار فقط؛ إلا أنها نمت في هذه الأثناء بمعدل ثمانين ضعفًا لتصل إلى ٢١ مليار دولار؛ فيما نما حجم الواردات من الصين بمعدل مائتي ضعف ليبلغ في عام ٢٠٠٥ حوالي ٤٠ مليار دولار.

أما على الصعيد الأوروبي فقد أصبحت الصين منذ مؤتمر الاتحاد الأوروبي الذي انعقد على مستوى القمة في سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٦ «شريكًا استراتيجيًا» يشمل التعاون بين الجانبين شتى الميادين العلمية والتقنية والاقتصادية بل والقانونية أيضًا. ونما حجم التجارة الصينية الأوروبية منذ عام الانفتاح ١٩٧٨ بنسبة ثلاثين ضعفًا ليبلغ في عام ٢٠٠٥ حوالي ٢١٧ مليارًا من الدولارات.

ويتبوأ الاتحاد الأوروبي المرتبة الأولى بين الشركاء التجاريين للصين، لأن حصة الإقليم الأوروبي من التجارة الصينية الخارجية كانت حسب آخر إحصائية متوفرة حوالي ١٩٪. بيد أن المنظمة الإقليمية الأوروبية لا تحتل من حيث حجم الاستثمارات الأجنبية في الصين سوى المرتبة الخامسة. وتتبوأ الصين بدورها المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية من حيث حجم التبادل التجاري. وقد تحسنت الفرص المتاحة أمام المؤسسات الاقتصادية الأوروبية بعد أن اختُتمت بنجاح المفاوضات الصينية الأوروبية وما تبع ذلك من حظوة الصين بعضوية منظمة التجارة الدولية.

شتيغليتس: للاقتصاد الصيني صبغة نموذجية

لقد نوه وزير المالية الألماني شتاينبروك في مؤتمر إسن إلى ضرورة عقد «جولة دوحة»جديدة لتحرير التجارة العالمية من المزيد من القيود. ولا شك في أنه سيكون للصين عندها دور هام إلى جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والدول



النامية الكبرى التي تقف على عتبة نادي الدول الصناعية.إلا أن خبراء الاقتصاد يفردون للصين دورًا خاصًا، كحامل جائزة نوبل في الاقتصاد يوزف ستغليتس Josef Stiglitz الذي ذكر في صحيفة اقتصادية أن «للنجاح الرائع للاقتصاد الصيني دورًا هامًا في الاقتصاد العالمي، فهو ذو صبغة نموذجية». وهناك شبه إجماع على أن معدل النمو الاقتصادي في الصين سيبلغ في

العام الحالي حوالي ١٠٪، وأن الاقتصاد الصيني يساهم في نمو الاقتصاد العالمي بنسبة ٤,١٪.

ويؤخذ من الدراسات الاقتصادية العالمية أن النمو الاقتصادي في الصين في السنوات العشر الماضية كان متواصلاً دون انقطاع وبمعدل يزيد على ٨٪، لا بل إن هذا النمو لم يتأثر بالأزمة الاقتصادية التي حلّت بعدد من الدول الآسيوية في عامي ١٩٩٧/ ١٩٩٨.

والمعروف أن الصين تستهلك ٢٠ إلى ٣٠٪ من المواد الأولية الهامة والمعادن، كالألمنيوم والنحاس والفحم، بالإضافة إلى أن إنتاجها من الأسمنت يبلغ ٤٠٪ من حجم الإنتاج في العالم. وبديهي أن التطور الإيجابي لم يتوقف في الصين، بل هناك باستمرار دلائل على ترجيح ما تنبأ به رئيس مجلس الأمناء في مؤسسة رولاند بيرغر للاستشارات الاستراتيجية Roland Berger Strategy Consultants في أواخر عام ٢٠٠٤، من أن الصين ستتفوق في عام ٢٠٤٠ على الولايات المتحدة من حيث القوة الاقتصادية. وحذر في محاضرة له في ندوة اقتصادية في مدينة Linz النمساوية من أن أوروبا ستتخلف في القريب من حيث القوة الاقتصادية عن الولايات المتحدة والصين. ونوه بأن اقتصاد الصين يتحول بسرعة إلى الطور «الإنتاجي» مستعيناً برخص الأيدي العاملة ومنتوجات التقنية المتوسطة المستوى. ومقابل ذلك يعتري الخمول ديناميكية النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. وطالب بما تخطط له المستشارة الألمانية الحالية أنغيلا

احتلت الصين في عام ٢٠٠٥ المرتبة الثالثة في العالم بين الدول من حيث حجم الصادرات والواردات. ونما حجم الفائض في الميزان التجاري بمعدل ثلاثة أضعاف عن العام الذي سبقه

ميركيل من تقارب اقتصادي أطلسي وتعاون وثيق بين الولايات المتحدة والإقليم الأوروبي. وكان بيرغر متشائمًا إزاء التطورات المستقبلية في الصين، ولا سيما نتيجة لاعتمادها على الصادرات إلى أسواق الولايات المتحدة المثقلة بالديون. وأشار إلى أن الخطورة تكمن في أن البنوك الصينية تكدّس الدولارات التي تدفعها الأسواق الأمريكية ثمنًا للسلع المنتجة في الصين، ومن ثم تقوم الحكومة الصينية بإقراضها للحكومة الأمريكية كي تستمر دورة التبادل التجاري. وتنبأ باضطرابات اجتماعية مخيفة في الصين، فيما لو اعترى الركود الوضع الاقتصادي العالمي بصورة عامة والأمريكي بصورة خاصة، وأدى ذلك إلى تراجع الصادرات الصينية بنسبة عالية. بيد أنه اعترف بأن الناتج الاجتماعي العام يبلغ في الصين - إذا أدخل معامل الأسعار في الحسابات - سُدسه في العالم بأسره.

ويعني ذلك أن مستواه بلغ (في عام ٢٠٠٤) ثلثي مثيله في الاتحاد الأوروبي (١٠١١٨ مليار دولار) أو الولايات المتحدة (١٠١٥٤ مليار دولار). أما في قائمة الدول فإنه يحتل المرتبة الثانية. هذا علاوة على أن معدل الناتج الاجتماعي للفرد الواحد ينمو في الصين بمعدل ٧,٥٪ سنويًا أو أكثر من ثلاثة أضعافه في الولايات المتحدة (٢,١٪) أو الاتحاد الأوروبي (٢٪).

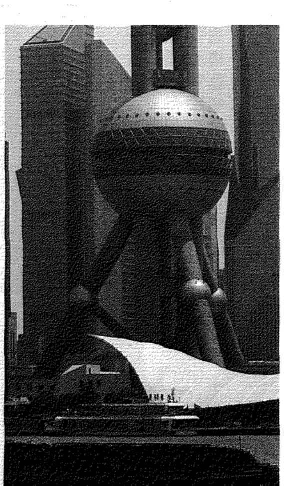
هل الصين عملاق على ساقين من الفخار، أم أن الازدهار الحالي هو نتيجة لسياسة الانفتاح والإصلاح التي انتهجها دينكسياو بينغ في نهاية السبعينيات؟

يتتبع الاتحاد الأوروبي بعناية فائقة التطورات الاقتصادية والخطوات السياسية التي تعتبر رديفًا للاقتصاد، كزيارة الرئيس الصيني هو جنتاو الأخيرة إلى القارة الإفريقية. وكان من الواضح من التعليقات الصحفية أن الاتحاد الأوروبي يعتبر الصين هنا منافسًا خطيرًا لخططه الرامية إلى إقامة «علاقات استراتيجية» مع القارة الإفريقية. وأحس الأوروبيون فجأة بوجوب مد يد العون للقارة المجاورة، ومحاولة تقديم صورة جديدة للأوروبيين بدل الصورة المتوارثة منذ عهد

الاستعمار البغيض.

ومما يبعث على السخرية، أن الأوروبيين يتهمون الصينيين بأنهم لا يهدفون إلا إلى استغلال المواد الأولية في القارة الأفريقية ولاسيما حقول النفط والغاز الطبيعي. مع أن الأوروبيين وغيرهم يخوضون منافسة ضارية على الأسواق الصينية، بما في ذلك الإنتاج الصناعي. وأصبحت الشركات الأجنبية تنتج - بعد التسهيلات التي توفرها الصين للمستثمرين الأجانب - نسبة عالية من الصادرات الصينية من المنتوجات الصناعية. وقد احتلت الصين في عام ٢٠٠٥ المرتبة الثالثة في العالم بين الدول من حيث حجم الصادرات والواردات. ونما حجم الفائض في الميزان التجاري بمعدل ثلاثة أضعاف عن العام الذي سبقه ليصل إلى ١١٢ مليار دولار. وخلافًا للتنبؤات المتحفظة، نما حجم التجارة الخارجية الصينية في النصف الأول من العام الماضي بمعدل ٢٣٪ عنه في عام ٢٠٠٥.

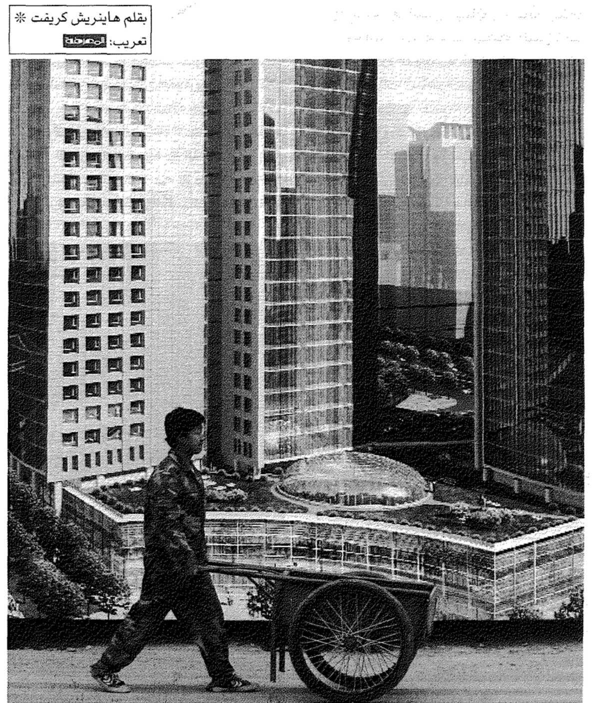
ويعزو Kay Mueller كاي مولر خبير



الشؤون الآسيوية في مؤسسة البحوث السياسية والعلمية البرلينية Stiftung Wissenschaft und Politik - قوة الصين، إلى طاقتها السكانية في الدرجة الأولى. وفيما يرى آخرون أن الصين «عملاق اقتصادي على ساقين من الفخار» نظرًا للطفرة الاقتصادية التي تنذر - حسب رأيهم - بخطر إفلات الزمام، ونظرًا للمشاكل الاجتماعية الناجمة عن عدد السكان الهائل، ووجود ثمانمائة مليون في الريف، يرى مولر أن المليار وثلاثمائة مليون نسمة في الصين يشكلون «سوقًا جذابة للاستثمارات» وخاصة منذ انضمام الصين إلى منظمة التجارة الدولية في عام ٢٠٠١. وأشار إلى أن الاستثمارات المباشرة من الولايات المتحدة وحدها، بلغت في عام ٢٠٠٣ ثلاثة وخمسين مليار دولار. ويشاطر مولر الصينيين رأيهم في أن الازدهار الحالي هو نتيجة لسياسة الانفتاح والإصلاح التي انتهجها دينكسياو بينغ في نهاية السبعينيات. وأبرز حقيقة هامة غالبًا ما يتجاهلها المحللون وهي «الجذور الثقافية التي تحث الصيني على طلب العلم». وتكفي الإشارة هنا إلى ما أعلنه السفير الصيني لدى الحكومة الألمانية - أثناء لقاء دعت إليه في العام الماضي إحدى جمعيات الصداقة الألمانية الصينية في مدينة كريفيلد - من أن هناك حاليا حوالي ٣٠ ألف طالب يدرسون في ألمانيا، بالإضافة إلى وجود اتفاقيات توأمة ومشاركة بين ٣٥٠ جامعة وكلية ألمانية وصينية. وقد شاركت ألمانيا والصين في العام الماضي في تنظيم ندوة عالمية عن الطاقات المتجددة. وإذا كان استهلاك الطاقة وتوفيرها من المؤشرات الهامة في تحديد قوة الدولة - كما ذكر الأستاذ فوكس - فإن الصين ستقدم في العام القادم وبعده بعامين دليلا ساطعًا على مكانتها في عصر ما بعد النفط. إذ نسبت مجلة ألمانية مختصة بالطاقات المتجددة إلى عميد جامعة Tongji الصينية الأستاذ Gang Wan، قوله إن الصين تخطط لإنشاء ١٥ إلى ٢٠ محطة هيدروجين، ليتزوّد منها بهذا الوقود حوالي ١٠٠٠ تاكسي وحافلة، أثناء الدورة الأولمبية في بكين عام ٢٠٠٨ والمعرض العالمي في شنغهاي عام ٢٠١٠.■

الجانب الاجتماعي المظلم للنمو الاقتصادي في الصين

بقلم هاينريش كريفت ❊
تعريب: المعرفة



❖ المستشار السياسي للكتلة البرلمانية للحزبين المسيحي الديمقراطي والمسيحي الاجتماعي في البرلمان الألماني

أصبحت الصين بفضل نموها الاقتصادي والسياسي محركًا أساسيًا في الأسواق العالمية، بل وفي السياسة الدولية، ففي عام ٢٠٠٥م أصبحت الصين هي رابع أكبر اقتصاد في العالم بعد الولايات المتحدة واليابان وألمانيا، وحققت من جديد أعلى معدلات نمو في العالم والبالغة ٩,٩٪، وارتفع نصيب الصين في التجارة العالمية من أقل من ١٪ قبل عشرين عامًا، إلى ٥٪ ومازالت النسبة في طريقها إلى الارتفاع، بفضل المعدلات الكبيرة في نمو الصادرات.

وقد استمر تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة في الاقتصاد الصيني، وتقدر حجم هذه الاستثمارات في عام ٢٠٠٥م وحده بين ٥٠ – ٦٠ مليار دولار أمريكي، وارتقت الشركات الصينية إلى العالمية ولم تعد تكتفي بالتصدير، بل أصبحت هي الأخرى تشارك باستثمارات في الخارج. وفي ظل تراجع الوضع الاقتصادي للولايات المتحدة فمن المتوقع أن تكون الصين هي القاطرة الكبرى للنمو الاقتصادي العالمي.

وبالتوازي مع هذا النمو الاقتصادي العملاق، تبدي الصين طموحات للمشاركة بدور أكبر في صناعة القرار السياسي ليس على المستوى الإقليمي فحسب، بل على المستوى العالمي أيضًا، وأصبحت الصين على أعتاب أن تصبح قوة عظمى، إلا أن هذه النجاحات الباهرة، لها أيضًا جوانب سلبية تزداد وضوحًا يومًا بعد يوم.

حزمة المشاكل

تواجه الصين تحديات هائلة، إذ لم يمكن رفع متوسط دخل الفرد إلى أكثر من ١٠٠٠ دولار في السنة، إلا في عام ٢٠٠٢م، ثم بلغ ١٤٥٠ دولارًا أمريكيًا في عام ٢٠٠٥م، وتترافق جهود تحديث الدولة بسرعة فائقة، مع تنامي حدة التناقض الصارخ داخل الصين، فهناك فروق طبقية شاسعة، وهناك حوالي ١٥٠ مليون عامل رحّال، علاوة على الزيادة الكبيرة في معدلات البطالة عن العمل، وهناك أيضًا تدمير مستمر لمصادر الحياة الطبيعية.

وفوق كل ذلك فهناك تنام في مشاعر التذمر الاجتماعي، ومشاكل في التوفيق بين السياسة والقانون الحديث، وكذلك في مجال الفساد المنظم. ويواجه الحزب الشيوعي صعابًا متزايدة في الإمساك وتوجيه التطورات إلى الوجهة المطلوبة أو في التحكم فيها، ونتيجة ذلك هي تآكل شرعية المكانة القيادية للحزب الشيوعي. وهناك مناقشات حثيثة داخل أروقة قمة هرم الحزب الشيوعي حول مدى تمكن الحزب في الوقت الحالي من توجيه دفة الهياكل الإدارية للدولة، وبغض النظر عن إنجازات الحزب الشيوعي الصيني وقدرته الفائقة على التكيّف مع المتغيرات الحديثة، فإن السؤال المطروح هو: هل يمكن لدولة مندمجة في الاقتصاد العالمي أن تكون تحت قيادة حزبية شيوعية

لينينية، ولا ينبغي النظر إلى الحملة الدعائية الحالية للحزب بدراسة الماركسية وإعادة تأهيل أعضاء الحزب باعتبارها مؤشرًا على القوة وتجديد الدماء في الحزب، بل كدليل على أزمة الشرعية التي يواجهها الحزب؟

الفروق الاجتماعية المتنامية

إن نظرة فاحصة على الأوضاع تبين حجم المساوئ الحالية الناجمة عن الإصلاحات الاقتصادية، ففي خلال عشرين عامًا فقط تحولت الصين من مجتمع متساوٍ إلى واحد من أكثر المجتمعات الإنسانية تباينًا في المستوى المعيشي بين طبقاته، ويتضح هذا الفرق الشاسع في الدخل وفي الفروق الطبقية، بالمقارنة بين الأوضاع في المدن والقرى، وفي داخل المدينة أو القرية الواحدة. وفي حين كان الفرق في الدخل بين خُمس المجتمع الأعلى دخلاً، والخُمس الأدنى دخلاً، في عام ١٩٩٠م، بنسبة أربعة أضعاف، فإن هذا الفرق قد زاد خلال السنوات الماضية ليصبح هذا الفرق حاليًا بمعدل ثلاثة عشر ضعفًا، وإذا كان الخُمس الأكثر ثراءً في الصين في عام ١٩٩٠م، يمتلك حوالي ٣٩٪ من إجمالي الدخل، فإن هذه النسبة ارتفعت في هذه الغضون، لتصبح ٨٠٪ . وتشير برامج الأمم المتحدة للتنمية إلى أن الفرق بين العُشر الأكثر ثراء والعُشر الأقل دخلاً، يعادل نسبة ١١ إلى ١، بحيث اضطرت الجهات الصينية الرسمية للتحذير من عواقب التوزيع غير العادل للدخل.

ونظرًا لأن القسم الأكبر من الدخل غير مسجل إحصائيًا، فإن الفرق بين الطبقتين يفوق ذلك بكثير، وهو الأمر الذي يوضح أن ٢٦ مليون صيني يجري تصنيفهم على أنهم من أفقر الفقراء، أي الذين يقل دخلهم اليومي على دولار واحد في اليوم، في مقابل تحول الصين إلى سوق واعدة للسيارات الفاخرة وكافة الواردات الأخرى من البضائع الكمالية وأدوات الترف.

ركود النمو الاقتصادي في القرى

ما زال ٦٠٪ من الصينيين يعيشون في مجتمعات قروية، وتشكل الفروق الشاسعة بين الدخل في كل من المدينة والقرية عاملاً هامًا من عوامل حالة عدم الرضا التي تنتاب قطاعات عريضة من المجتمعات القروية، وتدفع إلى الهجرة من القرية إلى المدينة، ورغم أن الإصلاحات الاقتصادية في القرى خاصة في مرحلة بداية الانتعاش الاقتصادي في الصين، قد أدت إلى تراجع الفقر المتفشي هناك، حيث تشير الإحصاءات الصينية الرسمية إلى أن تعداد المواطنين الأكثر فقرًا تراجع من ٢٥٠ مليون نسمة في عام ١٩٧٨م إلى ٢٦



مليون نسمة في عام ٢٠٠٣م، إلا أن الهوة الكبيرة في الدخل بين سكان القرى والمدن تزايد بصورة كبيرة. ففي حين بلغ متوسط دخل الفرد من سكان المدينة في عام ٢٠٠٤م، ٩٤٢٢ يانًا (أي ما يعادل ٩٠٠ دولار)، فإن دخل نظيره في القرية لا يزيد عن ٢٩٣٦ يانًا، أي ما يعادل الثلث. وقد توصلت تقارير التنمية الصادرة عن الأمم المتحدة، إلى أنه بإضافة عناصر أخرى مثل نصيب الفرد من التعليم والصحة، يظهر أن التباين بين الوضع في المدن والقرى الصينية لم يمكن الحد منه في فترة التسعينيات، بل إنه تزايد في الفترة من ١٩٩٧ - ٢٠٠٢م، إضافة إلى عدم التوازن في معدلات النمو الاقتصادي من منطقة إلى أخرى داخل الأراضي الصينية، إذ يبلغ متوسط دخل الفرد في أكثر المدن تطورًا والواقعة في المنطقة الساحلية من البلاد، ضعف متوسط دخل نظيره الصيني المقيم في مدن بوسط الدولة. ويبدي الخبراء الاقتصاديون خشيتهم من عدم تمكن المناطق القروية من اللحاق بقطار النمو الاقتصادي المستمر في السير قدمًا، ولا يرجع السبب في الانخفاض النسبي في معدلات النمو في المناطق القروية إلى انخفاض حجم الزيادة في الإنتاجية في قطاع الزراعة فحسب، بل أيضًا إلى إلغاء الدعم الحكومي في هذا القطاع، إضافة إلى زيادة الأعباء الضريبية بصورة متنامية لصالح الحكومات المحلية.

وهناك سبب آخر لسخط سكان القرى، وهو أسلوب تعامل الحكومة مع الأراضي، فتشير الأرقام الرسمية إلى أن قطاع الزراعة الصيني قد فقد في عام ٢٠٠٣م وحده، ٢,٥ مليون هكتار لصالح المباني، حيث أقيمت هناك مصانع، ومساكن ومشروعات بنية تحتية، علمًا بأن تحويل غرض استغلال الأراضي من أراض زراعية إلى أراضي بناء، يشكل بوابة ضخمة للفساد، علمًا بأن المزارعين يحصلون على جزء ضئيل من إجمالي العائد الإجمالي، الأمر الذي يثير السخط بينهم، وغالبية المزارعين يمتلكون عقودًا طويلة الأجل لاستغلال الأراضي، أي لمدة ٣٠ عامًا، ولكن هذه الأراضي التي يزرعونها ويكدحون فيها لا تنتقل ملكيتها إليهم، وبالتالي لا يحق لهم تأجيرها ولا بيعها، وقد جرى سحب أول مشروع قانون أساسي لحقوق الملكية في جلسة المؤتمر الشعبي الوطني في

نتيجة لهروب سكان القرى فإن نسبة سكان المدن ارتفعت من ٢٠٪ خلال الثمانينيات، أي خلال عقدين فقط إلى الضعف، وحاولت الحكومة الصينية إنشاء مدن متوسطة الحجم في المناطق الزراعية، بحيث تجتذب موجات البشر الراغبة في النزوح إلى المدن الغنية في الساحل الشرقي، والحد من التضخم السكاني هناك، إلا أن هذه الاستراتيجية لم تحقق النتائج المرجوة منها

مارس ٢٠٠٦م، بضغوط من القوى اليسارية القديمة.

إن أهداف التحديث التي وضعتها حكومات الأقاليم مثل تنفيذ مشروعات البنية التحتية، أدت في التسعينيات إلى زيادة هائلة في الأعباء الضريبية على الشركات المحلية وعلى المزارعين، بسبب عدم توفير المخصصات المالية في ميزانيات الدولة لذلك، وقد بلغ إجمالي الديون المستحقة على القرى والتجمعات الزراعية حوالي ١٠٠ مليار يورو حتى الآن، إضافة إلى أن الصين تفرض على مزارعيها دفع ٣٠٪ من دخلهم، مما يثير حنقهم مرة بعد مرة.

ورغم اتخاذ الحكومة المركزية في عام ٢٠٠٤م قرارًا بإلغاء الضرائب الزراعية، فإن ذلك لم يحل مشكلة العجز المالي على مستوى المحليات، بسبب عدم تحديد الحكومة لمصادر تمويل هذا العجز، وعدم تحويل مبالغ من الميزانية المركزية إلى المحليات.

الهروب الكبير من القرية

طوال خمسين عامًا كان النظام المعروف بنظام تسجيل الأسرة، أحد خصائص المجتمع الصيني،

والذي كانت له عواقب كبيرة عليه، إذ يفرض هذا القانون التمييز بين سكان المدن وسكان القرى، ويحظر على سكان القرى النزوح إلى المدن، بدون الحصول مسبقًا على موافقة من الدوائر الحكومية على ذلك، وكان الهدف من هذا القانون هو الحيلولة دون الهرب من المناطق الزراعية، وعدم استقرار الأوضاع داخل المدن، ولكن في منتصف فترة الثمانينيات من القرن الماضي، جرى تخفيف هذه القيود نسبيًا، وأصبح مسموحًا لسكان المناطق الريفية الانتقال للعيش بصورة مؤقتة في المدن.

وتشير التقديرات إلى أن حوالي ١٥٠ مليون نسمة من سكان القرى، أي ما يعادل ٢٣٪ من كافة القوى العاملة في قطاع الزراعة، يعملون حاليًا في المدن، وعن طريق التحويلات المالية التي يرسلونها إلى أسرهم في القرى، مما كان له تأثير ضخم على القضاء على الفقر هناك، إلا أن العمال الرحالة يعملون ويعيشون في أوضاع متردية مقارنة بنظرائهم من العمال القادمين من المدن، إذ يبلغ عدد أيام عمل العمال الرحالة سبعة أيام أسبوعيًا، وتصل ساعات العمل اليومي إلى ١٢ ساعة، إضافة إلى انخفاض أجورهم، وعدم توفر الضمانات الاجتماعية، ولا مقومات الأمن الصناعي الضرورية لهم، وفوق ذلك فإن أفراد أسرهم الذين يرافقونهم إلى المدن يبقون محرومين من فرص التعليم، بسبب صعوبات الحصول على الإقامة في المدن. ورغم انتهاج السلطات الصينية لسياسة متشددة، واللجوء إلى الترحيل القسري من المدن، مما حال دون قيام أحياء عشوائية على أطراف المدن، فإن الهوة الفاصلة بين المستويات الاجتماعية هناك ظاهرة للعيان.

> أصبحت التطورات الديموجرافية في الصين، تشبه أوضاع الدول الصناعية المتقدمة، أي تلك المجتمعات التي يرتفع فيها متوسط أعمار السكان بمعدلات سريعة، إلا أنها بقيت شبيهة بمجتمعات العالم الثالث في مسألة انخفاض معدلات الدخل

ونتيجة لهروب سكان القرى فإن نسبة سكان المدن ارتفعت من ٢٠٪ خلال الثمانينيات، أي خلال عقدين فقط إلى الضعف، وحاولت الحكومة الصينية إنشاء مدن متوسطة الحجم في المناطق الزراعية، بحيث تجتذب موجات البشر الراغبة في النزوح إلى المدن الغنية في الساحل الشرقي، والحد من التضخم السكاني هناك، إلا أن هذه الاستراتيجية لم تحقق النتائج المرجوة منها. ويتوقع خبراء البنك الدولي أن يهاجر حوالي ٢٠٠ مليون قروي إلى المدن حتى عام ٢٠٢٠م.

الضمان الاجتماعي

إن الإصلاحات التي جرت في الصين تبعًا لاقتصاد السوق منذ بداية الثمانينيات قد تسببت في أزمة لأنظمة الضمان الاجتماعي، التي تأسست منذ فترة خمسينيات القرن الماضي، والتي كانت تقوم في المدن على توفير خدمات الضمان الاجتماعي للعاملين لديها، عن طريق شركات القطاع العام التي انهارت في هذه الغضون، أو لم تعد قادرة على توفير الخدمات الطبية أو المعاشات. ومنذ عام ١٩٨٧م يبلغ عدد العاملين الذين يفقدون وظائفهم سنويًا عشرة ملايين شخص، ويتنافس هؤلاء مع خريجي المدارس سنويًا الذين يتراوح عددهم بين ١٠ – ١٢ مليون شخص، والذين يريدون أيضًا الحصول على وظيفة. وحتى في المناطق الريفية التي كانت دومًا أقل حظوظًا مقارنة بالوضع في المدن، فإن ظاهرة التنافس المحموم على الوظائف قد شقت طريقها إلى المجتمع القروي. وفي إطار خصخصة القطاع الزراعي، فإن الكثيرين الذين كانوا يستفيدون من نظام التأمين الصحي النقابي، قد فقدوا هذه الخدمات.

البعد الديموجرافي ورعاية الشيخوخة

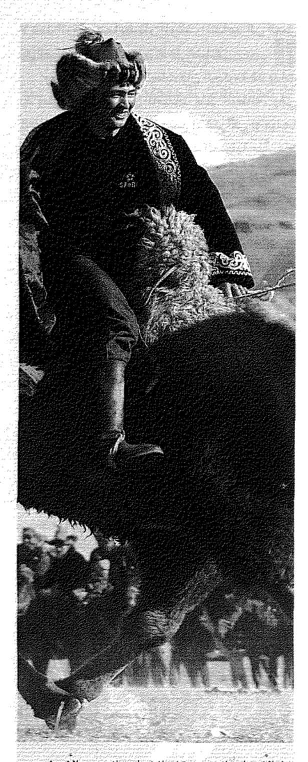
تقضي التقاليد في الريف الصيني بأن يقع عبء الرعاية في الكبر على عاتق الأسرة، أو على الأدق على كاهل الأبناء الذكور، مما يبرر سر اهتمام الوالدين بأن يكون الوليد ذكرًا، الأمر الذي كان له عواقبه

السلبية على رأسها الزيادة الفائقة في عدد الرجال الصينيين مقارنة بعدد السيدات، إلا أن انتقال الشباب إلى المدن، وزيادة نسبة المعمرين في المجتمع نتيجة لارتفاع متوسط العمر، في مقابل تراجع أعداد المواليد بسبب انتهاج سياسة الأسرة ذات الطفل الواحد، كل تلك العوامل أدت إلى زعزعة الهياكل التقليدية لضمان الرعاية في الكبر.

وأصبحت التطورات الديموجرافية في الصين، تشبه أوضاع الدول الصناعية المتقدمة، أي تلك المجتمعات التي يرتفع فيها متوسط أعمار السكان بمعدلات سريعة، إلا أنها بقيت شبيهة بمجتمعات العالم الثالث في مسألة انخفاض معدلات الدخل.

واستنادًا إلى تقديرات الأمم المتحدة فإن متوسط الأعمار سترتفع في الصين في الفترة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠٥٠م، بنسبة ١٢,٢٪، مما يعني أن متوسط الأعمار سيبلغ حينئذ ٤٥ عامًا، وبالتالي فإن نسبة اليد العاملة إلى مجموع السكان ستبلغ في عام ٢٠١٠م حوالي ٧٢,٢٪، ثم تبدأ في الانخفاض تدريجيًا لتصل نسبة القوة العاملة في عام ٢٠٥٠م حوالي ٦٠,٧٪، ولكن إذا بقي متوسط عمر الإحالة إلى المعاش السائد حاليًا الذي يتراوح عند السيدات بين ٥٠ و ٥٥ سنة، وعند الرجال بين ٦٠ و ٦٥ عامًا، فإن ذلك يعني تراجع نسبة القوة العاملة في المجتمع في الفترة بين ٢٠٠٥ إلى ٢٠١٠م، إلى ٦٢,٣٪، الأمر الذي سيؤدي إلى أن تقتصر نسبة القوة العاملة في الصين عام ٢٠٥٠م على ٤٧٪ فقط، وإذا لم يتغير متوسط أعمار الإحالة إلى المعاش السائد حاليًا، فإن المجتمع الصيني سيعيش في عام ٢٠٥٠م وضعًا قاسيًا، إذ سيكون هناك ٧٩ شخصًا على المعاش مقابل كل ١٠٠ شخص في سن الكسب، وسيبدأ تطور في غاية الخطورة، يتجسد في الارتفاع المستمر في نسبة المتقاعدين بمعدلات تفوق بكثير نسبة القوة العاملة في المجتمع، وستكون النتيجة الحتمية انهيار نظام المعاشات، على قلة قيمتها أصلاً.

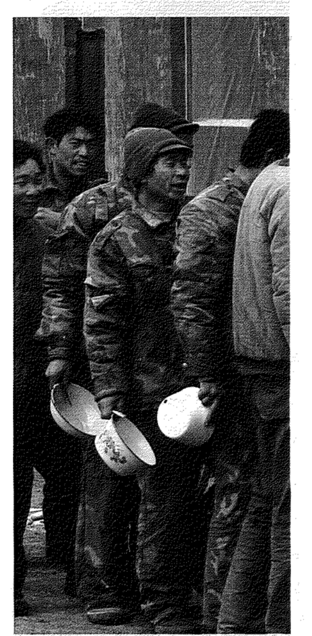
ونظرًا لأن دفع المعاشات في القطاع الصناعي من مسؤولية كل شركة، فإن الشركات التي تعمل منذ سنوات طويلة، وتدفع معاشات موظفيها المتقاعدين، الذين يرتفع عددهم عامًا بعد عام، تتحمل أعباء ضخمة، مقارنة بالشركات حديثة العهد



في الأسواق، التي يشكل الشباب القسم الأعظم من العاملين فيها، لذلك فإن الإصلاحات المقترحة تقضي بأن تمول كل شركة صندوق المعاشات بنسبة ٢٠٪ من الراتب، لادخارها لتمويل المعاشات، وأن يدفع الشخص المؤمن عليه نسبة ٤٪ من راتبه، وعندها يصبح من حق الموظف أن يحصل على معاش، إذا كان قد دفع هذه الأقساط لمدة لا تقل عن ١٥ عامًا، إلا أن ما يحصل عليه الموظفون بعد تقاعدهم عبارة عن مبالغ زهيدة،

لا تسد الرمق، مما يضطر الموظف المتقاعد إلى العمل في القطاع الخاص لتحقيق دخل إضافي.

وبالتوازي مع الإصلاحات فإن الحكومة قد بدأت في وضع الخطط لعمل تأمينات ضد البطالة، وهي الظاهرة التي لا يعترف المجتمع الاشتراكي بوجودها من الأصل، وقد بدأت كل الشركات الصينية منذ عام ١٩٩٩ دفع ٢٪ من أجر العامل في صندوق مالي، ويضاف إليها ١٪ يدفعها العامل في نفس الصندوق، وتزيد قيمة المبلغ التي يحصل عليها العامل في حالة البطالة كلما زاد عدد السنوات التي دفع فيها العامل هذه الأقساط، ولكنه لا يجوز أن يحصل على هذه المساعدة لفترة تزيد على مدة ١٨ شهرًا، إلا أن هذا النظام لم



يتم تطبيقه إلا في مناطق محدودة، وسيستغرق الأمر سنوات طويلة حتى يشمل نظام التأمين ضد البطالة جميع أنحاء الصين بمدنها وقراها، لأن خزانة الدولة - على الأقل في الوقت الحاضر- لا تستطيع أن تتكفل بعد بهذه المساعدات المذكورة، وفي الوقت الذي جرى فيه إنشاء نظام التأمين ضد البطالة، جرى العمل على إدخال نظام المساعدات الاجتماعية.

تزايد الاحتجاجات

إن التغييرات الجوهرية التي شقت طريقها مع مطلع السبعينيات، قد تسببت في مشاكل اجتماعية ضخمة، تتصاعد حدتها تدريجيًا لتشكل تحديات خطيرة للقيادة الصينية. وتدل التقارير الصينية على أن المواطنين الصينيين ما عادوا يقبلون بتعسف السلطات المحلية تجاههم، وهناك أعداد متزايدة من المواطنين تعترض على القرارات التي يشعر المواطن بأنها غير عادلة، والتي تصدر عن المؤسسات الحكومية أو عن الجهات الحزبية، ولا يكتفي المواطنون مثل ذي قبل بالرضا بأن تسير الشكاوى في الطرق المنصوص عليها، بل أصبح الأمر يشمل إرسال عرائض التظلم، والاحتجاج بالجلوس أمام الدوائر الحكومية، إلى القيام بمظاهرات غير مرخص لها، بل يصل الأمر إلى الهجوم على ممثلي الدوائر الحكومية، أو على المسؤولين الحزبيين، أو بتعطيل المرور. وتشير إحصائيات الجهات الرسمية الصينية إلى أن الاحتجاجات بكل صورها قد تصاعدت في العامين الأخيرين بنسبة ٥٠٪، وأوضحت وزارة الأمن العام الصينية أن عدد حالات الاحتجاج قد بلغ في عام ٢٠٠٥م، ما مجموعه حوالي ٨٧٠٠٠ حالة «إزعاج النظام العام»، والذي يشمل عمليات الاعتراض بكافة صوره، والتظاهر، والجلوس الاحتجاجي. علمًا بأن عدد هذه الحالات كان في العام السابق له لا يزيد على ٧٤٠٠٠ حالة. وفي عام ٢٠٠٣م كانت السلطات الصينية قد تحدثت عن «أكبر عدد في حالات القلاقل الاجتماعية»، رغم أن عددها آنذاك اقتصر على ٥٨٠٠٠ حالة، وكان عدد المشاركين فيها يتراوح بين ٣ – ١٠ ملايين شخص، وفي ٧٠٠ حالة منها، أي في أقل من ٢٪ وصل الأمر إلى حد الصدام مع الشرطة.

إلا أن أكثر الحالات خطورة قد وقعت في ديسمبر

٢٠٠٥م، حينما وقعت صدامات في جنوب شرق محافظة جونج دونج، بين السكان القرويين وقوات الشرطة الشعبية، وتراوح عدد القتلى فيها بين ٣ – ٢٠ شخصًا.

رد فعل الدولة: إقامة «مجتمع منسجم»

بغض النظر عن حالة السخط المتزايدة، والقلاقل الاجتماعية، فإن الصين ليست معرضة لمخاطر انطلاق شرارة تنتشر في مختلف المناطق، أو أن تهدد نظام الحكم في بكين، إلا أن الحكومة الصينية وقيادة الحزب الاشتراكي تأخذ الأمر بجدية، وقد عملت بالفعل على تعديل أولوياتها السياسية بصورة ملحوظة، ولكن جهود الحكومة المركزية جهود لسبر أغوار أسباب الاحتجاجات الاجتماعية المتنامية والقضاء عليها، وتواجه صعوبات ناجمة عن التوترات القائمة بين الحكومة المركزية والحكومات المحلية، أو بسبب العجز أو عدم الرغبة في إجراء إصلاحات جوهرية، وأصبحت الحكومة المركزية تعترف بحق القيام بالكثير من المظاهرات، كما صرح بذلك رئيس الوزراء الصيني وين جيا باو في جلسة المؤتمر الشعبي القومي في مارس ٢٠٠٦م، وفي بعض الحالات تقرر تعديل قرارات الإدارات المحلية، ومعاقبة بعض الموظفين بسبب لجوئهم إلى وسائل لا تناسب مع الحدث، إلا أن الحكومة كانت تحتفظ لنفسها دومًا بحق البت في مشروعية الاحتجاج أو عدمه. ويرى المراقبون أن رئيس الوزراء الصيني الحالي ينتهج مبدأ «العصا والجزرة»، في تعامله مع الاحتجاجات الاجتماعية.

وكانت الحكومة المركزية قد بدأت في عام ١٩٩٩م، عن طريق دعم المشروعات الكبرى للبنية التحتية، في العمل على ربط المحافظات الغربية التي بقيت غير متطورة، بالمحافظات الشرقية المنتعشة، والتنقيب عن الثروات الطبيعية المحلية، إلا أن النجاحات التي تمت في هذا الحقل مازالت متواضعة. وفي عام ٢٠٠٣م قام برنامج إقليمي ثان لدعم إقليم الصناعات الثقيلة في شمال شرق الصين، وهي الصناعة التي تعاني تردي أوضاعها.

ومنذ انتقال الحكم من الرئيس السابق جيانج زيمين إلى الرئيس الحالي هو جينتاو في عام ٢٠٠٢م،

أوضحت وزارة الأمن العام الصينية أن عدد حالات الاحتجاج قد بلغ في عام ٢٠٠٥م، ما مجموعه حوالي ٨٧٠٠٠ حالة «ازعاج النظام العام»، والذي يشمل عمليات الاعتراض بكافة صوره، والتظاهر، والجلوس الاحتجاجي

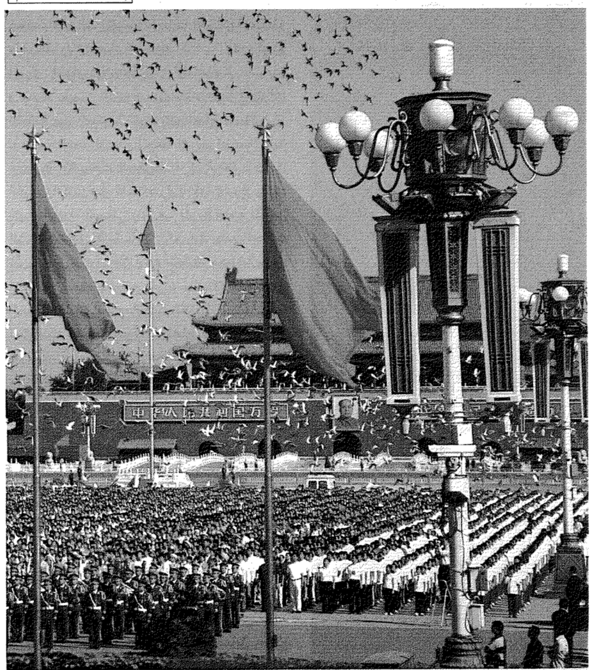
فإن الحكومة والحزب يبديان اهتمامًا متزايدًا بالمناطق التي تعتبر ضحايا عملية التحديث والتطوير. أما بالنسبة للخطة الخمسية الحادية عشرة (٢٠٠٦ – ٢٠١٠م) فإنها تسعى إلى جانب التقريب بين مستويات الدخل في المدن والقرى، أيضًا إلى دعم وتنمية قطاعي الطاقة وحماية البيئة.

إن القيادة السياسية أدركت بلا شك ضرورة أن يتم النمو الاجتماعي والبيئي بصورة أكثر توازنًا، وتظهر القيادة السياسية تصميمها على تصحيح مسار النموذج الحالي المتمثل في تحقيق النمو الاقتصادي بأي ثمن كان، ودون مراعاة كافية للنتائج الاجتماعية والبيئية، ولذلك فقد تبنت شعارًا جديدًا هو «النمو المنسجم»، إلا أن الشكوك تدور حول قدرة الحكومة المركزية على أن تفرض على موظفي الإدارات والقيادات الحزبية على مستوى الأقاليم، تحقيق التغيير المنشود وبالسرعة المطلوبة، لذلك يمكن توقع أن تؤدي الفروق المتنامية في الدخل، وتفشي الفساد، وغياب المؤسسات الديمقراطية، إلى المزيد من القلاقل، ولكن من غير المتوقع أن يتحول مخزون القلاقل الاجتماعية إلى حركة سياسية قومية، دون انضمام تجمعات اجتماعية أخرى، خاصة من الطبقة المتوسطة، والمثقفين والطلاب الجامعيين.

ويتمثل التحدي الأكبر للقيادة الشيوعية في ضمان استمرار النمو الاقتصادي، في نفس الوقت الذي تقوم فيه بإجراءات اجتماعية مناسبة وبفتح الفرص أمام قطاع عريض من الخاسرين الحاليين لعملية النمو، حتى يرتقوا بأوضاعهم، ويكونوا هم رابحي الغد. ■

«دع الصين نائمة لأنها عندما تستيقظ فسيندم العالم»

إيمان الكرود ـ الدمام



قبل أكثر من قرنين من الزمن قال نابليون: «دع الصين نائمة لأنها عندما تستيقظ فسيندم العالم». فهل تحققت نبوءة نابليون إلى حد ما؟
منذ عقود ونحن نتغنى بالأسطورة اليابانية ونستشهد بالشعب الياباني كلما ضربنا مثلاً عن العزيمة والإصرار والنجاح ولكن النموذج الياباني بدأ يتوارى إلى الخلف بعد أن عاد نجم الصين للبزوغ بقوة ليحل محل النموذج الياباني كمثال على النجاح. فالنجاحات التي حققتها الصين مؤخرًا في كثير من الأصعدة لفتت الأنظار إليها بقوة وجعلت من دول عظمى كأمريكا مثلاً تنظر بتخوف وقلق إلى هذا المارد الذي ظهر بقوة بعد سنوات طويلة من الانعزال في قمقم الشيوعية.

بعد سنوات من الانغلاق على الذات ومناصبة العداء للمعسكر الغربي وبعد عدد من السياسات المتهورة التي أوردت الشعب الصيني المهالك مثل القفزة العظمى للأمام والثورة الثقافية التي أفقدت الصين عددًا كبيرًا من علمائها عادت الصين مجددًا لتثبت للعالم أن ما لا يقتلها يقويها.

وهكذا وقف العالم بأكمله يتطلع بتوجس إلى هذا التنين الذي خرج أخيرًا وماذا عساه أن يفعل وهل سينفث من فمه نارًا أم نورًا وهل سيكون وبالاً أم رحمة؟

فمنذ فترة والصين تحتل أغلفة المجلات العالمية بعد أن تبوأت فجأة مكانة عالية في الساحة الدولية بعد النجاحات الساحقة التي حققتها في العديد من المجالات و بعد أن برزت فجأة كقوة اقتصادية عظمى تنافس أكبر القوى الاقتصادية في العالم. فبين عامي ١٩٩٧ و٢٠٠٤ كان متوسط الناتج القومي السنوي هو ٩,٦٪. وفي عام ٢٠٠٤ بلغ معدل الناتج القومي ١٠,١٪ لتسبق بذلك كلا من بريطانيا وفرنسا ولتصبح رابع أكبر اقتصاد عالمي ولتتابع نموها إلى الأمام حتى إن العديد من الخبراء يتوقعون أن تصبح الصين ثاني أكبر اقتصاد عالمي بعد الولايات المتحدة بحلول عام ٢٠٢٠ بل وأن تتعداها بحلول ٢٠٥٠.

ومن المتوقع أن تحتل الصين مكان الولايات المتحدة كثاني أكبر مصدِّر للعالم عام ٢٠٠٧ ومن المتوقع أن تسرق هذا اللقب من ألمانيا كالمصدر العالمي الأول عام ٢٠٠٨.

وكأن الصين لا تقنع حتى تكون في المقدمة دائمًا فهي تبني اليوم أكبر سد في العالم وقد بنت مؤخرًا أطول مبنى في العالم و هي تسعى لأن تجعل من أولمبياد ٢٠٠٨ الذي تستضيفه على أراضيها حدثًا مميزًا.

هذا كله جعل دول العالم أجمع تنظر إلى الصين باحترام لدرجة أن بعض البلدان بدأت تدرس اللغة الصينية في مدارسها مثل بريطانيا وإسرائيل. فاليوم في بريطانيا مثلاً بدأت الكثير من المدارس تدريس الصينية ودعا الكثيرون من رجال الأعمال البريطانيين إلى نبذ لغات مثل الفرنسية والألمانية واستبدالها بالصينية بعد أن أضحت الصين تفوقهم في الأهمية بل إن الأمهات البريطانيات أصبحن يقمن بتأجير مربيات صينيات لأطفالهن الصغار حتى يتقن اللغة الصينية منذ سن مبكرة وهن يفعلن ذلك بإيمان تام منهن بأهمية ما يقمن

به إذ المستقبل في نظرهن أضحى للصين.

مصنع العالم

في كتابه الشهير تحدث ابن بطوطة عن الصين فقال: «وأهل الصين أعظم الأمم إحكامًا للصناعات وأشدهم إتقانًا فيها، وذلك مشهور من حالهم، قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه، وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه من الروم ولا من سواهم، فإن لهم فيه اقتدارًا عظيمًا».

واليوم وبعد قرون من وصف ابن بطوطة هاهي الصين تشق طريقها بقوة في عالم الصناعات حتى ليتساءل المرء ماذا سيقول ابن بطوطة لو بعث من قبره من جديد. فما يحدث اليوم في الصين ليس إلا ثورة صناعية جديدة حتى لقد أصبحت الصين تفاخر اليوم بأنها مصنع العالم. إذ لا يوجد شيء لا يصنع في الصين اليوم من السيارات وحتى لعب الأطفال.

فصناعة السيارات مثلاً تشهد اليوم ازدهارًا كبيرًا في الصين حتى إنها ستصبح قريبًا ثالث أكبر مُصَنِّع سيارات في العالم بعد الولايات المتحدة واليابان.

«اختَرِع في الصين»

و إذا كانوا في السابق يقولون «اطلبوا العلم ولو في الصين» فلا أصدق من هذا المثل اليوم حيث يزدهر

> نتيجة لهروب سكان القرى فان نسبة سكان المدن ارتفعت من ٢٠٪ خلال الثمانينيات، أي خلال عقدين فقط الى الضعف، وحاولت الحكومة الصينية إنشاء مدن متوسطة الحجم في المناطق الزراعية، بحيث تجتذب موجات البشر الراغبة في النزوح الى المدن الغنية في الساحل الشرقي، والحد من التضخم السكاني هناك، الا ان هذه الاستراتيجية لم تحقق النتائج المرجوة منها

العلم أيما ازدهار في الصين وتزدهر الجامعات الحديثة لدرجة أن أمريكا أصبحت تنظر بقلق إلى الصين التي أصبحت تخرج الآلاف سنويًا من المهندسين وطلاب العلوم الصعبة. وأصبح الكثير من الطلاب يتوافدون إلى الصين للدراسة ففي عام ٢٠٠٤ سجل في الجامعات الصينية حوالي ١١٠,٨٤٤ طالبًا من ١٧٨ دولة. وإذا كانت الصين قد قدمت نفسها للعالم تحت شعار «صنع في الصين» الذي يتصدر بضائعها رخيصة الأثمان فإنها اليوم تسعى بقوة لتحقيق شعار «اخترع في الصين». وفي سبيل ذلك اهتمت الصين بالتعليم والإنفاق على ميزانية التعليم.

فوفقًا لمنظمة التعاون والتطوير الاقتصادي احتلت الصين عام ٢٠٠٦ المركز الثاني بعد الولايات المتحدة في الإنفاق على البحث والتطوير سابقة بذلك اليابان التي كانت تحتل المركز الثاني. أما فيما يخص براءات الاختراع العالمية فقد جاءت الصين في المركز الخامس.

وفي عام ٢٠٠٠ كان ٥٦٪ من تخصصات طلاب الجامعات الصينيين في العلوم الصعبة فيما لم يكن الرقم يتجاوز ١٧٪ في الولايات المتحدة الأمريكية. بل إن الصين تخرج من المهندسين ست مرات ضعف العدد الذي تخرجه الولايات المتحدة. وقد جعلت الصين تحويل مئة جامعة إلى مراكز تعلم عالمية هدفًا وطنيًا.

ولم تقتصر الصين على ذلك بل سعت بكل قوتها إلى غزو الفضاء حيث أرسلت في السنوات الأخيرة عددًا من علمائها إلى الفضاء لتصبح ثالث دولة ترسل بشرًا إلى الفضاء بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

اقض إجازتك في الصين

أما في مجال السياحة فالصين هي الرابعة دوليًا في مجال السياحة لا يسبقها في ذلك إلا أسبانيا وإيطاليا والولايات المتحدة حيث تنتشر في الصين العديد من المواقع السياحية التي تجعل منها مزارًا للناس من أقطاب العالم. إذ من منا لم يسمع مثلاً عن سور الصين العظيم ذلك السور الذي نسجت عنه الكثير من الحكايات.

وفي سبيل تعزيز مكانتها بين الأمم و من أجل تنشيط السياحة تستنفر اليوم الصين جهودها لاستضافة أولمبياد عام ٢٠٠٨ حيث تخطط الصين لتكون هذه الأولمبياد حدثًا مثيرًا.

صينان وليست صين واحدة

ولكن وراء الصين ذات الوجه المشرق يختبئ هناك وجه مظلم و حكاية النجاح هذه ليست إلا نصف الحكاية

ويظهر أن الصين تأبى إلا أن تكون في أعلى سلم الأرقام دائمًا في جميع الأمور خيرها وشرها.

فخلف هذه النهضة العمرانية الفريدة التي تنقلها شاشات التلفاز تكمن حقيقة مرة. فناطحات السحاب هذه ليست إلا ستارًا يخفي خلفه الأعشاش و الأكواخ التي يقطنها غالبية من سكان الريف ومقابل أولئك الشباب والشابات الذين يتجولون وقد ارتدوا آخر صرعات الأزياء الأوروبية يحملون الهاتف النقال هناك ملايين آخرين لا يملكون إلا ما عليهم من ثياب. وإذا كان هم بعض فتيات الصين اليوم وشغلهن الشاغل هو إجراء عمليات التجميل المختلفة حتى يصبحن أقرب شبهًا لمقاييس الجمال الغربية فإن هناك عددًا لا حصر له من الفتيات اللواتي لا يفكرن إلا في كيفية الحصول على لقمة اليوم. وهكذا هي الصين بلد المتناقضات.

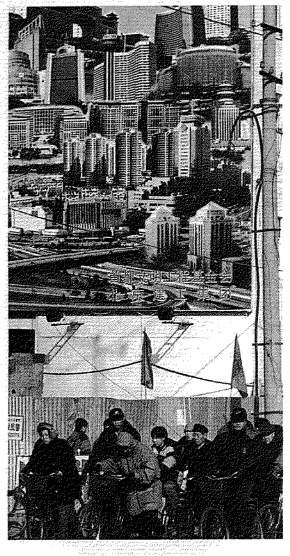
تطور الصين و نهضتها جاءت على حساب ١٥٠ مليون صيني كما تذكر منظمة العفو الدولية يرزحون تحت ظروف عمل ومعيشة صعبة للغاية. فالصين اليوم تعاني من الفجوة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء أكثر من أي وقت مضى.

فبينما يستهلك الـ٢٠٪ الأغنى من السكان ٥٠٪ من الموارد يصارع الـ٢٠٪ الأفقر من السكان من أجل ٥٪ من الموارد.

وجميع الأرقام تؤكد أن الفقراء يزدادون فقرًا. فبين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٣ زاد اقتصاد الصين حوالي ١٠٪ في العام بينما انحدر معدل الدخل للـ١٠٪ الأفقر في الصين بمقدار ٢,٥٪ وذلك وفقًا لتحليل من البنك الدولي قدم للحكومة الصينية. فهؤلاء المئة و ثلاثون مليون صيني لا يحصلون سوى على دولار واحد أو أقل في اليوم.

كما أن عدم المساواة بين الناس زادت بنسبة ٥٠٪ منذ نهايات السبعينيات مما جعل الصين أحد أكثر المجتمعات غير المتساوية في آسيا. فواحد بالمئة فقط من الصينيين يتحكمون بحوالي ٦٠٪ من ثروة الدولة.

وبسبب توفر فرص العمل في المدن شهدت المدن الكبرى في الصين هجرات جماعية من أهل الريف والقرى من أجل الحصول على فرص عمل مناسبة. ولكن هؤلاء العمال المهاجرين لا يحصلون على أبسط حقوقهم إذ يعمل هؤلاء العمال يوميًا لمدة أكثر من اثني عشر ساعة متواصلة حتى إن البعض منهم يغمى عليه من الإعياء و لا يحصلون على إجازة الا مرة واحدة في الشهر. أما مرتباتهم الضئيلة



فلا يحصلون عليها إلا بعد شهور عدة. و هم محرمون حتى من التأمين الصحي والتعليم و السكن بسبب نظام الإقامة الذي تفرضه الصين على مواطنيها.

وبسبب هذه الفجوة الكبيرة بين الريف والمدينة ينتشر في الصين بين الأهالي شعور عدم الرضا مما سبب اندلاع كثير من المظاهرات.

ففي عام ٢٠٠٥ وحده كان هناك حوالي ٨٧,٠٠٠ مظاهرة وفقًا للأرقام الرسمية. وكل عام يسافر عشرات الآلاف من الناس إلى بيكين لتقديم شكاوى ضد الفساد واغتصاب الأراضي والطرد.

إذا كنت في الصين فلا تمرض..

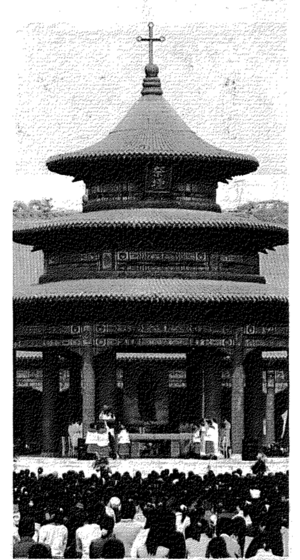
ومؤخرًا وضعت منظمة الصحة العالمية الصين في المرتبة ١٨٧ من أصل ١٩١ في عدم المساواة في توزيع الرعاية الصحية. فثلثا الشعب الصيني محروم من أي نوع من التأمين الصحي ونصف المرضى لا يسعون وراء أي علاج طبي. بل إن البعض ينتحر بسبب عدم قدرته

«دع الصين نائمة لأنها عندما تستيقظ فسيندم العالم»

على توفير النفقات الطبية بينما يضطر البعض لأن يجري عمليات جراحية على نفسه. فالخدمات الصحية في الصين من أسوأ الخدمات على الإطلاق. حتى إن البعض أصبح يترحم على أيام ماو حيث كانت الرعاية الطبية توفر للجميع بالمجان. ولأن الدعم الحكومي للمستشفيات هبط بشكل كبير لم يعد للمستشفيات طريقة لتمويل نفسها سوى استحلاب هذه الأموال من جيوب المرضى وذلك عن طريق المبالغة في وصف الأدوية والتنويم في المستشفى وإجراء تحاليل لا داعي لها.

الأباطرة الصغار

متلازمة «الإمبراطور الصغير» هو الاسم الذي يطلق على الوضع النفسي الذي يعيشه كل من الوالدين و الطفل الوحيد وهو ما يحدث اليوم في الصين حيث تفرض الدولة على الشعب طفلاً واحدًا فقط من أجل الحد من الزيادة السكانية المفرطة التي تعانيها الصين. ولكن هذا الوضع



أفرز عددًا من السلبيات التي من أهمها كما ذكرنا في السطور السابقة متلازمة «الإمبراطور الصغير» حيث يفرط الوالدان في تدليل الابن الوحيد ويجعلانه مدار حياتهما بل يحملان عنه الحقيبة المدرسية وهو ما أدى إلى ظهور جيل أناني اتكالي كما أدى هذا الأمر إلى انتشار السمنة بين طلاب المدارس بعد أن أصبح الأهالي يفرطون في إطعام أبنائهم، خاصة والكثير من أولئك الآباء ما زال يتذكر أيام المجاعات التي مرت بها الصين أثناء حكم ماو. ولكن يظل الجانب السلبي الأكبر من عملية تحديد النسل هو زيادة الأولاد على حساب الفتيات. تلك الزيادة التي بدأت تلقي بظلالها على أهل الصين حيث أصبحت الصين تعاني قلة عدد الفتيات مقابل الصبيان حيث يوجد اليوم حوالي ١١٨ ولدًا مقابل كل مئة فتاة وفي بعض المناطق وصل الرقم إلى ١٣٠ ولدًا مقابل كل مئة فتاة. الأمر الذي يعني أن العديد من الصينيين الذين يقدر عددهم بأربعين مليون فتى لن يجدوا لهم زوجات في المستقبل خصوصًا في ضوء عمليات الإجهاض التي تقدم عليها الكثير من الأسر الصينية متى ما عرفت أن الجنين أنثى خاصة في القرى. مما حدا بالحكومة إلى منع عمليات التصوير بأشعة الألترا ساوند وعدت القيام بذلك جريمة ولكن الكثير من العيادات مازالت تقوم بممارسة هذا الدور بطريقة سرية.

إنها تختنق:

مؤخرًا أصدر البنك الدولي تقريرًا عن أكثر عشرين مدينة تلوثًا في العالم ولم يكن من المستغرب أن تكون الصين موطنًا لست عشرة مدينة من هذه المدن. إذ تدفع الصين ثمنًا بيئيًا عاليًا لهذا النجاح فالتلوث وخسارة الأرض وتدمير الحياة الفطرية تختبئ خلف هذا التطور.

وفي فنادق الخمس نجوم ستجد في كل غرفة إلى جانب غلاية الماء تحذيرًا بعدم استخدام ماء الصنابير الذي عادة لونه أصفر ورائحته غير طبيعية والاستعاضة عنه بالماء المعبأ في قوارير وذلك بسبب تلوث المياه الشديد في الصين. وتلوث الماء ليس إلا جزءًا من المشكلة.

إذ قد تملك الصين كل شيء إلا السماء الصافية الزرقاء والماء العذب النقي.

وإذا كانت الصين تصدر لنا البضائع فهي أيضًا تصدر لنا التلوث الذي يعد اليوم أكبر المشاكل التي تواجهها الصين وهو من نتاج الغازات التي تطلقها المصانع التي تنتشر في كل مكان والمواد الكيميائية السامة

التي تتخلص منها تلك المصانع في الأنهار. فعشرات من المصانع المحلية الكيميائية تتخلص اليوم من النفايات في نهر فينغ شان الذي هو اليوم أسود مثل الحبر وممتلئ بالمخلفات. المشكلة أن هذه السموم الصناعية تسربت حتى إلى المياه الجوفية ملوثة مياه الشرب ومسببة انتشار السرطان وعددًا من الأمراض الأخرى مما يعني حرمان حتى الأجيال القادمة من نعمة المياه الصافية. بل يعد السكان شرب هذه المياه نوعًا من الانتحار إلا أنهم لا يملكون خيارًا آخر خاصة في المناطق الريفية الفقيرة فهم يشترون المياه النقية المعبأة في قوارير لأبنائهم ويشربون هم هذا السم المائي. وكل عام يموت ٤٠٠,٠٠٠ صيني في سن مبكرة بسبب أمراض تنفسية. كما أن ٥٠,٠٠٠ طفل حديث الولادة يموتون سنويًا بسبب تلوث الجو.

وهذه الصناعات أدت إلى استهلاك عال لمصادر الطاقة خاصة البترول والفحم حتى إن الصين اليوم هي ثاني أكبر مستهلك للبترول بعد الولايات المتحدة مما دفعها للبحث عن مصادر أخرى للطاقة في أفريقيا حيث بدأت الصين تلعب دورًا متزايدًا.

وهذا التدمير للبيئة يستولي على ١٢٪ من معدل الناتج القومي وفقًا للبنك الدولي وثلث أراضي الصين تتعرض للمطر الحمضي وهو أحد الآثار الجانبية للاثني بليون طن من الفحم الذي ينتج ويحرق كل عام.

المشكلة أن الأمر يتعدى الصين ليؤثر على الدول الأخرى. فالمحاصيل في اليابان وجنوب كوريا أخذت تذبل بسبب أمطار الصين الحامضية التي تسمم ربع الأراضي بل إن الغبار السام الذي يأتي مع عواصف الصين الرملية وصل حتى شواطئ الولايات المتحدة حاجبًا الرؤية في الحدائق الوطنية ورافعًا من معدل الزئبق في الأسماك.

ورغم أن الحكومة تبذل محاولات للحد من التلوث وتفرض عددًا من القوانين على المصانع إلا أن أصحاب هذه المصانع الذين أعماهم الجشع يدفعون للموظفين المحليين الرشا ليستمروا في ممارساتهم والبعض منها غير وقت العمل ليصبح في الليل بدلاً من النهار.

ومشكلة التلوث هذه قد تسبب إحراجا كبيرا للصين إذا لم تسارع بحل هذه المشكلة قبل أولمبياد ٢٠٠٨. إذ إن الخبراء أضحوا يتساءلون فيما إذا كان من الصالح للعدائين أن يركضوا في شوارع ذات مستوى عال من التلوث. فالخطر حقيقي إذ مؤخرا نقل ٢٢ عداء للمستشفى. اثنان منهم في حالة خطيرة بعد المشاركة في أكبر ماراثون سنوي في الصين.

«الأرض الطيبة» تندثر

في رائعتها الأرض الطيبة تنهي الروائية الأمريكية بيرل بك الرواية بمشهد الأب الذي يتوسل إلى أبنائه ألا يبيعوا الأرض مصدر الخير والتي سيعني فقدانها نهاية كل شيء. ولكن الولدين اللذين أعماهما الجشع يهدآن من روع والدهما بينما يبتسمان لبعضهما من وراء ظهره في إشارة واضحة لما سيقدمان عليه. وهذا بالضبط ما يحدث في الصين اليوم.

حيث تغتصب في الوقت الحالي آلاف الهكتارات من الأراضي الصينية الزراعية الخصبة من الريفيين الفقراء لتبنى عليها المصانع والبيوت الفاخرة ذات الطراز الأمريكي. مما أدى إلى قلق الحكومة التي بدأت ترى في ذلك تهديدًا للثروة الزراعية وإنذارًا بعجز غذائي في المستقبل.

الفساد.. الفساد

وأصبحت القوة السياسية مطلوبة أكثر لأنه يمكن تحويلها إلى ثروة ومميزات غير متخيلة.

في الماضي وفي التسعينيات مثلاً تم الإمساك بحوالي ١٤٠,٠٠٠ ضابط بتهمة الفساد وفي عام ٢٠٠٤ تم ضبط حوالي ١٧٠,٨٥٠ مسؤولاً في الحزب الشيوعي ولكن لم يحاسب منهم سوى ٤,٩١٥

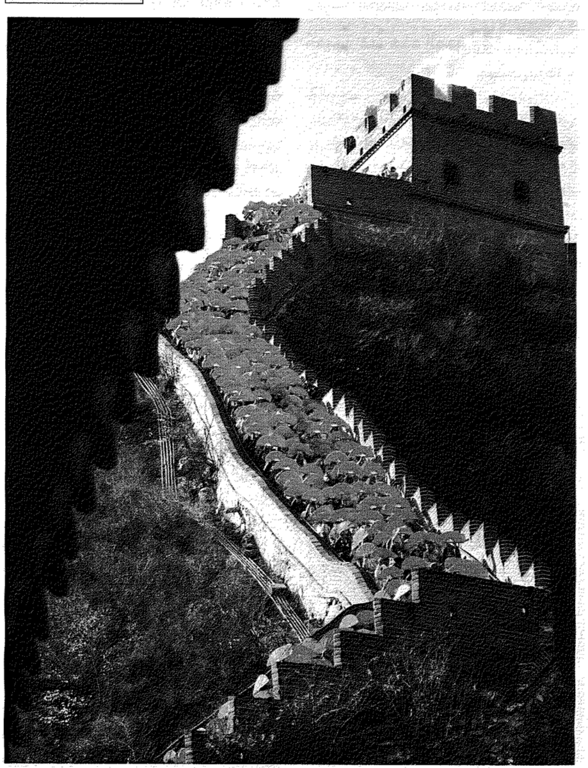
ولكن هل ما وصلت إليه الصين في الوقت الحالي والثمن الباهظ الذي تدفعه كل يوم سواء على مستوى شعبها أو مستوى بيئتها أو أرضها يضمن لها الوصول في النهاية إلى قمة العالم. لا أعتقد. أو على الأقل هذا ما يقوله بان يو، نائب مدير إدارة حماية البيئة في بكين:

«المعجزة ستنتهي سريعًا لأن البيئة لن تستطيع أن تجاريها طويلاً». ■

> **مؤخرًا أصدر البنك الدولي تقريرًا عن أكثر عشرين مدينة تلوثًا في العالم ولم يكن من المستغرب أن تكون الصين موطنًا لست عشرة مدينة من هذه المدن**

رحلة إلى الصين

نيتر شايديت - بروكسل



يمكنك السفر ساعات طوال، لتصل إلى الصين، والانتقال بين أرجائها لأيام وأسابيع، ويمكنك السعي للحصول على مواعيد لدى المسؤولين الصينيين، واللقاء بالواحد تلو الآخر، وتسجيل تصريحاتهم، والتفكير فيها طويلاً، كما يمكنك دراسة تاريخ الصين، بدءًا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، وتستطيع أن تبحث في تاريخ الإسلام والمسلمين في الصين، وتدرس أوضاعهم، وتستمع إلى رغباتهم، ويمكنك متابعة آخر التطورات المتعلقة بالدور الصيني المتنامي في محيطها الآسيوي وفي المنظمات الدولية، وأخيرًا يمكنك البحث عن سر التقدم الصيني، من خلال دراسة الديانة الكونفوشية، فإذا عجزت عن القيام بكل ذلك، فيكفيك قراءة سبعة عشر فصلاً، في ٢٣٥ صفحة صغيرة الحجم، هي صفحات كتاب (رحلة إلى الصين) ليغنيك عن القيام بكل ذلك.

يحتوى الكتاب على الكثير جدا من المعلومات التي ترسخ «التقدم الهائل»، «المعجزة» «الثورة الحضارية» «التجربة النادرة»، التي تحققت في الصين، والتي تتمثل في أنها الدولة الوحيدة في التاريخ الحديث التي استطاعت الانتقال في خلال عشرين عامًا فقط من دولة نامية من دول العالم الثالث إلى دولة تنافس الدول الكبرى في العالم الأول، والتي بدأت نهضتها من نقطة الصفر وتعداد شعبها ٨٠٠ مليون نسمة، وبنسبة أمية تزيد على ٩٠٪ ومثل هذه النسبة من شعبها تحت خط الفقر وعند خط الفقر، ووصل تعدادها اليوم إلى ١٣٠٠ مليون نسمة، أي خمس سكان الأرض، ومع هذا العدد الضخم من البشر لم تعد فيها مشكلة الغذاء أو الكساء.

وهذا التطور الهائل هو الذي دفع بعض الباحثين في الولايات المتحدة للحديث عن (الخطر الصيني) الذي ينبغي عليهم الاستعداد لمواجهته واحتوائه. ودليلهم على ذلك أن حجم التجارة بين الصين والولايات المتحدة يزيد على ألف مليار دولار سنويًا، والعجز في الميزان التجاري بينهما لصالح الصين يبلغ ستين مليار دولار سنويًا، بل إن المؤلف (رجب البنا) يذكر أن الولايات المتحدة لا تخفي أنها تعتبر الصين العدو المحتمل وتسعى إلى تحجيم قوتها ودورها الإقليمي والعالمي والحد من سرعة انطلاقها التجاري والاقتصادي والعسكري.

ويرى البنا ميزة كبيرة يتمتع بها الاقتصاد الصيني، تقوم على أن العملة الصينية ليست مرتبطة بأي عملة أجنبية، وليست قابلة للتحويل حتى الآن إلا وفق قواعد وشروط، وبالتالي لا تستطيع أية قوة أجنبية التلاعب بسعر العملة الصينية، فهي في مأمن من تأثير الضغوط الخارجية على اقتصادها وعملتها، وهذا هو السر في قدرتها على النجاة فيما وقعت فيه دول مثل إندونيسيا أو ماليزيا أو حتى اليابان.

ويعدد المؤلف الميزات الكبرى التي تتمتع بها الصين ومنها أن تكلفة العمالة منخفضة جدًا، وأن مهارة ودقة العامل الصيني طوال الوقت دون كلل أو محاولة للتهرب أو التمارض والتزامه بالعمل صفات ليس لها مثيل في أية دولة أخرى -حسب قول البنا-.

كما تعجبه قدرة الصين الفائقة على الوصول إلى الهدف، مهما طال الزمن، وبشروطها هي، كما فعلت في مسألة العضوية في منظمة التجارة العالمية، حيث استمرت المفاوضات خمسة عشر عاما إلى أن سلمت المنظمة الدولية وقبلت شروط الصين بالكامل

وحصلت الصين على عضوية المنظمة في أواخر عام ٢٠٠١م.

مظاهر التطور وأسبابه

ويعدد المؤلف الكثير من مظاهر هذه المعجزة، فيذكر أن الصين كانت فيها شركة واحدة للطيران، وأصبح فيها اليوم ٢٣ شركة طيران، وتمتلك شركات الطيران الصينية ٤٥٠ طائرة بوينج وإيرباص وغيرها من طائرات المسافات الطويلة، وأن الدولة شجعت السياحة من منطلق سياسي، حيث اعتبرت السياحة نافذة للانفتاح على الخارج، لكي يعرف العالم الصين بصورة أفضل، وربط الصينيين بوطنهم الأم، ويذكر أن قصة السياحة في الصين، بدأت من الصفر وسارت خطوة خطوة حتى وصل عدد السياح اليوم إلى ٦٧ مليون سائح، وأصبح دخل الصين من السياحة ١٥ مليار دولار سنويًا.

ويرى البنا أن من الأسباب التي تكمن وراء المعجزة، هي أولاً أن كل إنسان يعمل، ويؤمن أن بلاده في معركة للحاق بالدول التي سبقت إلى التقدم، وثانيًا حرص الصينيين على ألا يكون هناك فاقد أو عادم أو ضائع فيستفيدون من كل شيء، وثالثًا التزامهم بالتنظيم الدقيق.

وينسب المؤلف إلى الصينيين قولهم إن كل هذا النجاح في جذب الاستثمارات الأجنبية، والتي بلغت في السنوات الثلاث الأخيرة من القرن العشرين أكثر من ١٢٠٠ مليار دولار، يرجع إلى الاستقرار السياسي، والسوق الواعدة، ووجود إمكانية كبيرة جدًا لتطوير العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد، والتحسن المستمر في الخدمات والبنية الأساسية، واستقرار العملة، وتزايد احتياطي النقد الأجنبي، وانخفاض تكاليف الإنتاج نسبيًا.

ويضرب مثالاً على النمط الصيني من الحياة، والذي يظهر في أن المدير لابد أن يكون مستعدًا لقيادة سيارته بنفسه بدون سائق، ولاستخدام الكمبيوتر بنفسه، وعليه أن يجيد لغة أجنبية واحدة على الأقل، وأن شركة جيندي الصينية تقوم بفصل العمال الثلاثة الذين يحتلون المراكز الأخيرة في التقييم، وهم الذين لا يسايرون التطور أو يهملون في عملهم، أو يقل إنتاجهم عن المعدلات الموضوعة لكل منهم.

ويشير إلى أن الصين لا تكتفي بالمعجزة التي حققتها، ولكنها تعمل بقوة أكبر استعدادا لدورة الألعاب الأولمبية التي ستعقد فيها عام ٢٠٠٨، لتكون صورة الصين كما سيراها العالم فيها من الإبهار ما يكفي ليكون إيذانًا بدخول الصين إلى نادي الدول العظمى.

ولعل من أبرز ما يميز الصين الحديثة، هو قدرتها على الجمع بين الاندماج والعولمة والاحتفاظ بالهوية القومية في نفس الوقت، وذلك لأن نظرية الانفتاح في الصين قائمة على مبدأ «الإصلاح المتدرج في كل الاتجاهات وكل المجالات»، إصلاح النظم الإدارية وتطوير عقلية الموظفين والأخذ بسياسة الحساب والثواب والعقاب، وإصلاح التشريعات الاقتصادية،



وإصدار قوانين تحدد بوضوح الإطار الذي يعمل فيه الاستثمار الأجنبي، بحيث نفذوا سياسة الانفتاح بالتدريج، وكلما تأكدوا من نجاح تنفيذ مرحلة انتقلوا إلى المرحلة التالية، تطبيقًا للحكمة الصينية التي تقول «وأنت تعبر النهر يجب أن تتأكد أن قدميك تلمسان الأحجار في القاع».

من الأمية إلى التفوق العلمي

إذا كانت الثورة الثقافية التي بدأت في عام ١٩٦٦ واستمرت حتى ١٩٧٦م، قد استطاعت أن تقضي على الحياة الثقافية في البلاد، فبقيت المدارس والجامعات مغلقة لسنوات طوال، وتعرض المعلمون والمثقفون وصفوة المفكرين إلى الملاحقة والمطاردة، الأمر الذي نجم عنه حرمان جيل بأكمله من التعليم، فإن الصين اليوم مختلفة تمامًا.

ويعدد البنا معالم الحياة التعليمية في الصين، فيذكر أن الحكومة الصينية قد وضعت استراتيجية جديدة للنهوض بالتعليم والبحث العلمي في سنة ١٩٩٥، وتقرر اعتبار تطوير التعليم هدفًا قوميًا أساسيًا، لرفع كفاءة الاستعداد القومي، وتربية الكوادر.

ويشير إلى أن نسبة الأمية أصبحت ٥٪ فقط لمن هم أقل من ٤٥ سنة، و١٣٪ في كل الأعمار، وأن ربع سكان الصين يتلقون التعليم والتدريب –وهذا الربع يعني ٣٠٦ ملايين مواطن– وبذلك فهو أكبر نظام تربوي في العالم، وأن مشاكل التعليم في الصين هي أكبر مشاكل من نوعها في العالم من حيث الحجم والنوعية.

ويذكر أن التعليم إجباري لكل طفل وطفلة في الصين لمدة ٩ سنوات، وأن مشروع محو الأمية ينفذ إجباريًا، وهناك ٨٢٦ ألف مدرسة في مراحل التعليم العام، و١٧٦ ألف مدرسة رياض الأطفال، وأن عدد التلاميذ في الصين يبلغ ٢٣٣ مليون تلميذ، منهم ٢٢ مليون طفل، وأن الفصل في المرحلة الابتدائية يتسع إلى ١٨ تلميذًا، وفي الإعدادية إلى ١٦ تلميذًا.

وقال البنا إن الدولة قررت أن تكون الواجبات المنزلية لتلميذ الابتدائي في حدود نصف ساعة يوميًا، ومن الصف الرابع إلى السادس تصل إلى ساعة كاملة، وفي الإعدادية تكون الواجبات المنزلية في حدود ساعة ونصف يوميًا، وحددت الدولة أن

قصة السياحة في الصين، بدأت من الصفر وسارت خطوة خطوة حتى وصل عدد السياح اليوم إلى ٦٧ مليون سائح، وأصبح دخل الصين من السياحة ١٥ مليار دولار سنويًا

يحصل الطالب على ٩ ساعات نوم يوميًا.

ولكنه يعترف بأن التعليم في الصين – كما في كل الدول– يواجه مشكلات أولها انخفاض مستوى التعليم عموما، فالأرقام كبيرة ولكن المسألة ليست بالكم، لأن التقدم لا يتحقق إلا بتحسن نوعية التعليم، وتحسين نوعية الخريجين ومدى صلاحيتهم للتعامل مع التكنولوجيا الحديثة واحتياجات السوق، ويذكر أن الإصلاح في التعليم شمل إصلاح المناهج لتناسب التطورات العلمية في العالم، وإصلاح نظام الامتحانات، وشمل إدخال نظم تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها، وإصلاح الإدارة التعليمية وهذه مسألة مهمة جدًا في هذه المرحلة، وقال إن وزارة التعليم قامت بتصفية الكتب وإلغاء ٣٩ كتابًا، وقررت أن يقوم التلميذ بالانتهاء من الواجبات في داخل المدرسة، وذكر أن علماء الاجتماع والتربية قالوا إن كثرة الواجبات والمذاكرة سوف تظل مادام نظام التعليم موجها للامتحانات فقط.

ويذكر أن الطالب يدفع في الجامعة بين ٢٥٪ و٤٠٪ من تكلفة التعليم بما يساوي مبلغًا يتراوح بين ٤ آلاف يوان (٥٠٠ دولار) و١٠ آلاف يوان (١٢٥٠ دولارًا) سنويًا، أما في الجامعات الأهلية فإنه يتحمل التكلفة بالكامل، علما بأنه توجد في الصين الآن أكثر من ١٠٠٠ جامعة رسمية و٨٠٠ جامعة أهلية وهناك اهتمام كبير بالمكتبات والمعامل وتوفير أجهزة الكمبيوتر في المدارس والجامعات بأعداد كافية، وأن عدد المقبولين في الجامعات بلغ هذا العام مليونين و٥٠٠ ألف طالب، وعدد الذين يعملون في مجال التعليم في الصين الآن ١٤ مليونًا بين معلم وموظف إداري.

أما في مجال العلوم والتكنولوجيا فيذكر رجب البنا أن عدد العاملين فيها وصل الآن إلى ما يزيد على مليونين و٠٠١ ألف، منهم مليون ونصف مليون من العلماء والمهندسين. ويزيد الإنفاق الحكومي على هذه المراكز العلمية والتكنولوجية على ١٦ مليار دولار سنويًا.

ونتيجة لذلك نجحت الصين في عام ١٩٩٩ في إطلاق أربعة أقمار صناعية وتصنيع الصواريخ من مختلف الأنواع، كما نجحت في إطلاق أول سفينة فضاء صينية ١٠٠٪ أطلقت عليها اسم «شين تشو».

ويعتبر البنا أن البحث العلمي هو سر التقدم في الصين، فقد نجح الصينيون في تنظيم مؤسسات ومراكز البحث العلمي، ووضعوا لكل منها أهدافًا محددة وبرنامجًا زمنيًا، وتوسعوا جدًا في إرسال بعثات للدراسة في الدول الكبرى، والملاحظ أن الدارسين الصينيين في الخارج يعودون إلى بلدهم فور انتهاء دراستهم، وكثير من العلماء الكبار الذين عاشوا في الخارج فترة عادوا الآن للعمل في الصين بعد أن تحسنت المستويات المالية للعلماء والباحثين.

الصين والإسلام

يشير البنا إلى أن هناك ٥٥ قومية في الصين، وأن الأغلبية العظمى من الشعب الصيني من قومية «الهان»، والتي تمثل ٩٢٪ من السكان، وأن هناك ٥٤ قومية من الأقليات من بينهم المسلمون، وأن الدولة تحترم حرية المعتقدات الدينية للأقليات، وأنه يوجد حاليا في الصين حوالي ٢٠ مليونًا يؤمنون بالإسلام، وحوالي ٣٠ ألف مسجد، و٤٠ ألف إمام وخطيب، وأن منطقة سينكيانج فيها ٢٠ ألف مسجد، و٢٩ ألف خطيب، و٨٠ جمعية دينية إسلامية، وأنه توجد في عموم الصين ٤٣٠ جمعية إسلامية محلية

الكنفوشية فيها نزعة للزهد، والدعوة إلى خدمة الآخرين، ولذلك يقولون في الصين: «ليس المهم أن تكون الكعكة كبيرة، المهم أن تقسم الكعكة على الجميع بالعدل»

تحت إشراف الجمعية الأم «الجمعية الإسلامية»، التي أنشئت سنة ١٩٥٣، وهي جمعية مستقلة ليست حكومية، وأن عدد الحجاج قبل سياسة الانفتاح كان يتراوح سنويًا بين ١٠ و٢٠ فردًا فقط، ولكن بعد الإصلاح والانفتاح أصبح العدد بالآلاف.

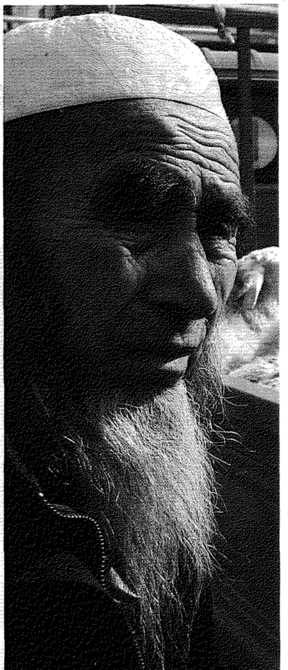
وذكر البنا أن هناك حيًا إسلاميًا في العاصمة الصينية بكين، وفيه جامعة كبيرة مشهورة، وسكان هذا الحي مسلمون، وفي وسط الحي الإسلامي جامع تاريخي في شارع «أوكس» أقيم عام ٩٩٦م، وهو أقدم وأكبر جامع في بكين يتميز بالطراز الصيني للمباني، ويزين البوابة الأمامية سطح مكسو بالآجر يعكس الطابع الصيني، وفي صحن الجامع نقشت الآيات القرآنية باللغة العربية، ويعلوه برج يصعد إليه أئمة الجامع لرؤية هلال رمضان، ومحظور دخول الجامع إلا بعد الوضوء، وفيه قاعة خلفية مخصصة للسيدات، ولا تدخل الجامع إلا السيدة التي ترتدي ملابس طويلة.

وأوضح أن الجمعية الإسلامية تتفاوض حاليًا مع الحكومات المحلية لاسترداد المساجد والعقارات والأراضي التي تمت مصادرتها خلال الثورة الثقافية التي استمرت عشر سنوات وخربت كل ما كان في الصين من إيجابيات.

وقال البنا إن الجمعية الإسلامية لديها إدارة لتحرير وإصدار مجلة «المسلم الصيني» باللغة الصينية ولغة «الويجور» وهي لغة المسلمين الذين يمثلون الأغلبية في إقليم سيكيانج الذي يتمتع بالحكم الذاتي، وهناك إقليم ثان يتمتع بالحكم الذاتي وفيه أغلبية مسلمة هو إقليم «نيسن سيا». وهناك أيضًا في هذه الجمعية إدارة للدراسات والبحوث الإسلامية، وتشرف على مناهج الدراسة في الشريعة الإسلامية، وتتولى طبع وإصدار الكتب الإسلامية باللغة الصينية، وقد أصدرت مؤخرًا ترجمة «لتفسير الجلالين» وكتاب «اللؤلؤ والمرجان» في الحديث.

وذكر البنا أن الصينيين يتبعون المذهب الحنفي، وأنه غير مسموح لهم بالزواج بأكثر من زوجة واحدة، تبعًا لقانون الزواج الذي صدر في عام ١٩٥٠م.

ونقل عن كتاب «المسلمون في الصين» لفهمي هويدي: أنه حين أراد إمبراطور الصين —الذي كان يحكم في مطلع النصف الثاني من القرن السابع



الميلادي- إخماد حركة تمرد واسعة استعان بالخليفة أبو جعفر المنصور العباسي، فلم يتردد الخليفة وأرسل ٤ آلاف رجل من جيش المسلمين استطاعوا مساعدة الإمبراطور في استرجاع عرشه، وبقي هناك هؤلاء الجنود وتزوجوا صينيات، وساهموا في إيجاد سلالة من الصينيين المسلمين.

وبعد عام ١٠٦٣م زاد حجم التجارة بين الصين والعرب والفرس، مما شجع كثيرًا من التجار العرب على الرحيل إلى الصين، وتروي قصص كثيرة عن التكريم الذي لقيه هؤلاء التجار من الإمبراطور في ذلك الوقت.

وخلص المؤلف من خلال بحثه عن حقيقة أوضاع المسلمين في الصين إلى أن تاريخهم مليء بمراحل من الاضطهاد ومراحل أخرى تمتعوا فيها بالحرية الدينية، وأنهم في النهاية أقلية يسري عليهم ما يسري على الأقليات، وأنهم يتمتعون بقدر معقول من الحرية الدينية، وتظهر في إقليم «سنكيانج» دعوات ومحاولات للانفصال تقابل بالشدة من جانب الحكومة الصينية التي تقاوم بكل قوة أية دعوة للانفصال، وتتفجر من حين لآخر أحداث عنف نتيجة احتكاك الطوائف الأخرى بالمسلمين، ولكنهم في النهاية جزء لا يتجزأ من الصين.

ثم يتساءل البنا: هل قدمت الدول الإسلامية ما يكفي من معونة ودعم لمسلمي الصين؟ ويرد على السؤال بأنهم يحتاجون إلى مساعدات كبيرة في مجال التعليم الديني بالذات لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية من مصادرها الأصلية، ولكي يتخلصوا من الأفكار والشوائب والأساطير التي تسربت إلى المفاهيم الإسلامية من عقائد وأفكار غريبة عليه، كما يحتاجون إلى مساعدات كبيرة لترجمة المراجع الإسلامية الأساسية إلى اللغة الصينية، وهذه عملية كبيرة تحتاج إلى جهود وأموال فوق طاقتهم.

تقسيم الكعكة

ويتوصل البنا إلى أن رياح العولمة لن تستطيع اقتلاع جذور الكنفوشية من الصين، التي يعتبرونها جوهر الروح والشخصية الصينية، ويوضح أن مبادئ الكنفوشية قائمة على الطاعة، واحترام الكبير للصغير، والالتزام بالتعليم، وتقديس الأسرة، وإدارة الأمراء لشؤون الحكم وفقا للأخلاق والعدل والاستقامة، وأن الكنفوشية فيها نزعة للزهد، والدعوة إلى خدمة الآخرين، ولذلك يقولون في الصين: «ليس المهم أن تكون الكعكة كبيرة، المهم أن تقسم الكعكة على الجميع بالعدل»■

المصدر

رجب البنا: رحلة إلى الصين، دار المعارف، القاهرة، رقم الإيداع ٢٠٠٢/٢٣٦٧



الحرية والإعلام والثقافة في الصين

أسامة أمين* - بون

* باحث إعلامي.

من غير المقبول أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة أو بدون مناسبة بانتقاد وضع الحريات في الصين، وإذا صدقنا ما نشره في ألمانيا مراد كورناتس الذي قضى خمس سنوات في جوانتنامو، في كتابه الصادر هذه الأيام، فإن الأطباء الأمريكيين قاموا ببتر ساقي سجين ربما بدون أي حاجة لذلك، وتركوه بأربطة متقيحة، في حين يتعرض للتعذيب على يد السجانين كلما حاول قضاء الحاجة لأنه لا يستطيع الجلوس على دلو قضاء الحاجة دون أن يمس الأسلاك المجاورة للدلو، ليستند عليه، وهو الأمر الذي يخالف التعليمات الأمريكية.

لذلك لن أتوقف كثيرًا في هذا المقال على ما تذكره الحكومات الغربية من حرصها على التنديد بانتهاكات حقوق الإنسان في الصين في كافة الاجتماعات الرسمية، ويمكننا أن نتصور أن يقوم الزعيم الغربي بلقاء المسؤولين الصينيين، فيكرر على مسامعهم الانتقادات، ثم يتناولون الطعام، ويوقعون الاتفاقيات الاقتصادية، ثم يشربون على نخب العلاقات الثنائية المتميزة. ويعود بعدها المواطنون الغربيون لشراء البضائع الصينية الرخيصة، وقد عادت الراحة إلى ضمائرهم، ويعود الصينيون للعمل من جديد، بأجور زهيدة للغاية، وبأبدان لا تعرف الراحة، وبمستوى معيشي لا يزيد عن نظرائهم في دول أفريقيا الفقيرة، حيث يعيش ٤٧٪ من الصينيين بأقل من دولارين في اليوم.

١٩٠٠ صحيفة و٩٠٠٠ مجلة في الصين

رغم أن الصين دولة شيوعية، فإنها استوعبت الكثير من دروس التاريخ الحديث، فأصبحت تنأى بنفسها عن الدعاية الإعلامية السطحية التي مازالت للأسف تنتشر في بعض الدول العربية، التي تتحدث عن رئيسها باعتباره أهم زعيم في العالم، وبدلاً من ذلك تعترف الجهات الرسمية الصينية باستمرار وجود العديد من جوانب القصور في البيئة الإعلامية.

ويشير تقرير للخارجية الصينية، إلى أن الصحف والمجلات هي أهم وسائل الإعلام في الصين، وليس التلفزيون الذي لا يستطيع الكثير من العرب الحياة بدونه، وأن هناك ما يربو على ١٩٠٠ صحيفة و٩٠٠٠ مجلة هناك، وأنها تنقسم إلى مطبوعات حكومية، أكبرها صحيفة (رينمين ريباو) الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الحاكم، وهي أكثر الصحف توزيعًا في البلاد، وهناك صحف ومجلات محلية خاصة بكل مدينة، ومطبوعات متخصصة موجهة لمجموعة معينة من جمهور القراء.

انتقادات حكومية للإعلام الصيني

وينسب تقرير الخارجية الصينية للسيدة/ فانج جوكينج، نائبة رئيس الوكالة الصينية المركزية للإعلام وشؤون المطابع، القول إن الصحف والمجلات الصينية تغطي احتياجات كافة

شرائح المجتمع، إلا أن المسؤولة الصينية انتقدت في الوقت ذاته اعتماد هذا السيل من الصحف والمجلات سياسة الكم وليس الكيف، فالحرص الشديد على التوسع والانتشار، يجعلها تخفض من سعرها بدرجة تجعلها عاجزة عن تغطية تكاليف إصدارها، فتلجأ للدعاية وتفقد استقلاليتها، وتصبح معرضة للانهيار في أي وقت، حين تفقد أصحاب الإعلانات فيها، وتتوصل جوكيبنج إلى أن الهياكل السائدة حاليا في قطاع الصحف الصينية غير قادرة على المنافسة، وليست مؤهلة للبقاء في المستقبل.

ولا تتردد المسؤولة الصينية الرفيعة عن الاعتراف بأن قبول الصين لشروط العضوية في منظمة التجارة العالمية (دبليو تي أو)، تقضي بالسماح للصحافة العالمية بالدخول إلى الصين، ليس لبيع إصداراتها فحسب، بل للطباعة والنشر والتوزيع في السوق الصينية، وهو الأمر الذي قامت به بالفعل بعض دور النشر العالمية، وتؤكد جوكيبنج أن احترام المؤسسات الصحفية الصينية لحقوق الملكية الفكرية، ساهم في تعزيز التعاون بينها وبين نظيراتها الأجنبية، وتشير إلى أن وسائل الإعلام الصينية هي الأخرى بدأت تشق طريقها إلى السوق العالمي، فقد تمكنت صحيفة (رينمين ريباو)، وكذلك صحيفة (شاينا ديلي) الصادرة باللغة الإنجليزية من تحقيق مبيعات جيدة في الخارج.

الوجه الآخر للصورة

ولكن منظمة العفو الدولية تنشر واقعًا مخالفًا تمامًا لتلك الصورة الوردية، فتذكر في بيان لها بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة الموافق ٣ مايو، أن «حرية الصحافة والمعلومات مازالت تداس بالأقدام في الصين»، وتذكر أن من يتجرأ على المطالبة بالإصلاحات السياسية، فإن مصيره السجن لسنوات طويلة، كما يكفي نشر وجهة نظر ناقدة للأوضاع على شبكة الإنترنت، ليكون مصير صاحبها الاحتجاز، وتشير إلى أن هناك زيادة بنسبة ٦٠٪ في معدلات الاعتقالات بسبب استخدام الإنترنت بصورة لا تتفق مع رغبات السلطات الصينية.

المسلمون الصينيون بين الانتماء الديني والولاء الوطني

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بشهر واحد، شعرت القيادة الصينية بالخوف من انتقال عدوى اللجوء إلى العنف إلى الأقلية المسلمة البالغ تعداد أفرادها ١٨ مليون شخص، والتي أعلن بعض قادتها صراحة أنهم لا يوافقون على دعم الصين لما يسمى بالحرب ضد الإرهاب، ولا للهجوم الأمريكي على أفغانستان، ولذلك أعلنت القيادة الصينية أنها لا تحول بين المسلمين وبين ممارسة شعائر دينهم في الإطار القانوني المسموح به، وشددت على أنها «لن تسمح باتخاذ الدين غطاء للنيل من الحزب الشيوعي، أو من الاشتراكية، أو من الأمن القومي».

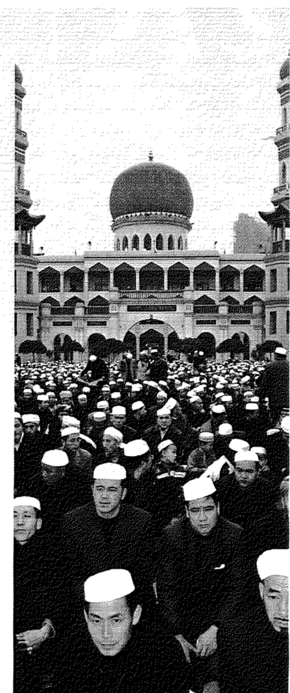
وصرحت القيادة الصينية بأن مطالبتها للطائفة المسلمة بأن تندمج في الاشتراكية، لا يعني بحال أن يتخلى المسلمون الصينيون عن عقيدتهم، وناقضت القيادة بذلك المزاعم الأيدلوجية الشيوعية السابقة بأن الأديان تذوب داخل البوتقة الاشتراكية.

وفي حين تحظى الديانة الإسلامية باعتراف الدولة فإن العديد من الطوائف الدينية تتعرض للاضطهاد بسبب عدم حصولها على ذلك الاعتراف، ومن بين هذه الطوائف الكاثوليك التابعين لبابا روما، وغيرها كثير. وتعرب الدولة الصينية عن رفضها لأي تدخل من الخارج، معتبرة أي تأثير من هذا النوع «نشاطًا عدائيًا خارجيًا»، ومن أمثلة هذا التدخل حسب السلطات الصينية، الدعم الأفغاني السابق لجزء من الطائفة المسلمة، أو دعم روما للكاثوليك، أو دعم الزعيم الروحي الدالاي لاما لأتباعه في إقليم التبت.

وقد رأت القيادة الصينية أن المخرج الوحيد من هذا المأزق المتمثل في احتمال نشأة أو تنامي تيارات دينية متشددة، تثير القلاقل وتطالب بالانفصال، هو التأكيد على المواطنة، والولاء للوطن الصيني الكبير، بما له من تراث وتاريخ وقيم وعادات وتقاليد.

العودة إلى الجذور

لعل ما يثير إعجابنا في العالم العربي بالصين



أنها استطاعت أن تربط الحداثة بالتراث، أنها لم تصبح مسخًا من الغرب، ترتدي ثيابه، تأكل طعامه، تشاهد برامجه، وبقيت الصين وفية لنفسها ولجذورها، حيث تحقق أعمال الأدباء الصينيين القدامى أكبر المبيعات، وتبث وسائل الإعلام تقارير إذاعية وتلفزيونية عن الثقافة الصينية التقليدية، وفي معرض الكتاب الدولي في الصين لهذا العام كان هناك إقبال منقطع النظير على كتب التاريخ، وعلى مؤلفات كونفوشيوس، وكتب السيرة الذاتية لأعلام الثقافة الصينية القديمة.

ويقول السيد سونج زوده مدير دار نشر العالم: «إن الدراسات التي أجريناها توصلت إلى أن الثقافة التقليدية تحظى باهتمام متزايد، وأعداد الباحثين والمهتمين بذلك آخذة في النمو بصورة كبيرة، فالصين لها حضارة عمرها أكثر من ٥٠٠٠ سنة، ولذلك فمن المنطقي أن يفتش الناس عن جذورهم، وهذا الاتجاه يغلب على أي اتجاه سواه».

ويوضح المحلل الصيني زوو ليونج هذا الاهتمام بالتراث، بأن الانفتاح الصيني على العالم وتعلم اللغات الأجنبية والاتصال بالأجانب، عمّق الإحساس لدى الصينيين بأهمية معرفتهم بحضارتهم، فالجميع ينتظر منهم أن ينقلوا لهم المعارف عن الحضارة الصينية، لا أن يتعلقوا بتلابيب الغرب، ولا أن يحاكوا النماذج الغربية، فلا ضير من فهم الغرب، ولكن لا ينبغي أن يؤدي ذلك إلى التخلي عن الهوية الصينية».

وقد ساهمت وسائل الإعلام الصينية في دعم هذا التوجه، فاختارت نخبة من كبار العلماء والأدباء الصينيين، وخصصت لهم برامج في أوقات مناسبة للمشاهدين، وطلبت منهم استعراض الأعمال التراثية الصينية، بأسلوب شيق وغير معقد، بحيث يفهمه الجميع.

ومن أنجح التجارب في هذا الشأن ما قامت به الأستاذة الجامعية يو دان، المتخصصة في الدراسات الإعلامية، والتي تقوم بإخراج الأفلام أيضًا، حيث اختارت كتاب (أحاديث) لكونفوشيوس، الذي كتبه قبل ألفي سنة، وبدأت في التعليق عليه وشرحه بأسلوب محبب للمشاهدين، وحظي برنامجها بإقبال شديد، جعلها تنشر كتابًا توثيقيًا لبرنامجها، فبلغت عدد النسخ المباعة من هذا الكتاب مليون ونصف مليون نسخة خلال ٤٠ يومًا فقط.

وصرحت يو دان تعليقا على ذلك قائلة: «إننا نعيش عصرًا سريع التقلب والتغير، والناس يشعرون باضطراب وقلق، ولذلك يفتشون عن البساطة والعظمة والدفء الإنساني، وهي عناصر كلها موجودة في التراث، وما ينبغي علينا اليوم القيام به

هو إعادة اكتشاف المغزى والقيمة الأصلية للأعمال الكلاسيكية، وإذا كان القرن الحادي والعشرون، هو عصر التنوع الثقافي، وإذا كانت الثقافة الغربية تشق طريقها إلى كل بقاع الدنيا، فمهمتنا هي بعث الحياة من جديد في أوصال الأدب والثقافة الصينية».

ويقول البروفيسور يوان كينجفينج أستاذ الأدب القديم في جامعة الاتصالات الصينية: «إن العودة بالأنظار دومًا إلى التاريخ، والبحث عن جذور الثقافة التقليدية الذاتية، هما ركيزتان ضروريتان للفرد وللأمة، وهما منبع القوة عندما نشق طريقنا إلى المستقبل».

من معالم الثقافة الصينية

كما تزخر المعالم الأثرية العربية والإسلامية بالخطوط البديعة، فإن الحضارة الصينية أولت الخطوط وجمالها مكانة كبيرة، نجدها في القصور القيصرية، وعلى جدران المباني التي تأسست في عهد الاستعمار في شنغهاي، وحتى في القرى النائية، وفي المعابد البوذية والكنفوشية.

والحضارة الصينية من أقدم الحضارات الإنسانية على الإطلاق، ففي الفترة من ٩٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ قبل الميلاد، كانت القبور تزخر بالعطايا التي يأخذها الميت معه، من أوان وأسلحة وتماثيل لأشخاص، واحتياجات الصيد، وقد ظهر الفخار في فجر التاريخ هناك، وفي القرن السادس الميلادي أنتج الصينيون الأوائل الأواني المصنوعة من الخزف، وبلغت صناعة الخزف أوجها في فترة حكم أسرة سونج.

ورغم التراث الأدبي الصيني الذي لا أول له ولا آخر، فإن العالم لا يعرف عنه الكثير لضعف نشاط الترجمة، باستثناء بعض أعمال كونفوشيوس، وهي عبارة عن قصائد ملحمية طويلة. والمسرحيات الصينية لا تقتصر على النصوص، بل تشبه الأوبرا، ففيها مختلف الفنون من الأكروبات إلى ممارسة رياضات الحرب إلى الرقص التقليدي. إلا أن الأفلام الصينية بدأت تجد لها شعبية خارج الحدود على يد مجموعة موهوبة من صناع السينما، معروفين باسم «الجيل الخامس».

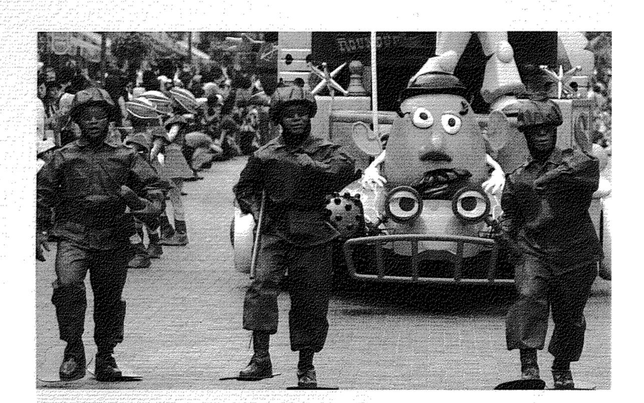
عيد الربيع

وأهم احتفالات الصينيين هو عيد الربيع، ويمكن مقارنة أهميته بعيدي الفطر والأضحى عند المسلمين، وبأعياد ميلاد السيد المسيح عند الغرب، ويتم تحديد موعد عيد الربيع تبعًا للسنة القمرية الصينية، وهو غالبا ما يصادف نهاية يناير ومطلع فبراير، ويستمر الاحتفال به لمدة سبعة أيام، ويشمل الاحتفال به القيام بالعديد من الأنشطة الثقافية، على رأسها رقصة التنين الشهيرة، وكذلك رقصة الأسد، وعروض الزهور، ويعود تاريخ هذا الاحتفال إلى حوالي ٣٠٠٠ سنة، ويرتبط بتقديم القرابين، للحصول على المحاصيل الوفيرة في العام الجديد، وفيه يحتفل الصينيون بوداع العام المنصرم، وبقدوم العام الجديد.

وفي عيد الربيع يطبخ السكان الأرز مخلوطًا بالكثير من المكونات التي تجعله يلصق في الحلق، ويعود ذلك إلى اعتقاد قديم بأن «إله المطبخ» يصعد إلى السماء في اليوم الثالث والعشرين من آخر شهور السنة، وينبئ «قيصر السماء» بأفعال الناس على الأرض، فإذا تناول هذا الأرز أصبح عاجزا عن الحديث عنهم، أو يقتصر كلامه على الأعمال الطيبة، خاصة إذا قدم له الناس الحلويات، فيبقى الطعم في فمه، فلا يتحدث عنهم إلا بالخير.

سر التقدم الصيني

في دراسة متعمقة للعالم الصيني لي شنزهي وهو النائب السابق لرئيس الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية بعنوان (العولمة والثقافة الصينية)، أوضح شنزهي أن العولمة هيمنت على كافة جوانب الحياة، دولة واحدة تتحكم في عصب الحياة في العالم أجمع، اقتصاد السوق أصبح كتابًا مقدسًا مفروضًا على الجميع دون مراعاة لخصوصية حضارية أو ثقافية أو دينية، وثورة الاتصالات جعلت الفرد بلا خصوصية، فكل مكالماته الهاتفية وبريده الإلكتروني، ومشترياته ببطاقة الائتمان، مفضوحة لمن يملك التقنية لذلك. وانتقل العالم من الثورة الصناعية إلى الثورة المعلوماتية، وأصبح التلوث البيئي عابرا للقارات والحدود، والتضخم السكاني والفقر لا يقفان عن حدود الدول، بل جعلت موجات الهجرة الشرعية وغير الشرعية تزحف على الدول الأكثر غنى،



وأسلحة الدمار الشامل لم تعد تهدد منطقة أو إقليما دون غيره، بل أصبحت خطرًا يهدد البشرية جمعاء، وتجارة المخدرات والأنشطة الإجرامية لم تعد تديرها عصابات محلية، بل عصابات إجرامية منظمة على مستوى العالم.

ويعدد ما خسره العالم من فقدان للقيم والمبادئ، من انهيار للآداب والفنون، التي قامت في سعيها للشعبية ولقبول الشارع لها، بالتخلي عن قيم الجمال والذوق الرفيع، ويقتبس ما قاله الرئيس الأمريكي نيكسون : «إن الولايات المتحدة الأمريكية هي اليوم القوة العظمى الوحيدة في العالم، وهي أقوى وأغنى دولة على سطح الأرض، وبرغم أننا أغنياء ماديًا، فإننا فقراء من الناحية الروحية»، كما ينقل ما كتبته مجلة (The Futurist) في عددها بتاريخ ١٢/١١/١٩٩٣، من أن «المجتمع الغربي الحالي مجتمع مريض، والثقافة الغربية المعاصرة تهدد صحتنا الفكرية، مما يجعلنا مضطرين إلى وضع معايير جديدة للقيم وللأنظمة العقائدية».

ويخلص إلى أن الصين لا ينبغي لها أن تصبح مقلدة لغيرها، بل أن تستمر في التمسك بثقافتها، وبتعاليم كونفوشيوس، وبالفلسفة السياسية والأخلاقية النابعة من جذورها الصينية، وأن تعتمد على نظامها الأخلاقي، وأن تحافظ على مبدأ «الانسجام» بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان، وأن يضع الفرد مسؤوليته عن المجتمع فوق مصلحته الذاتية.

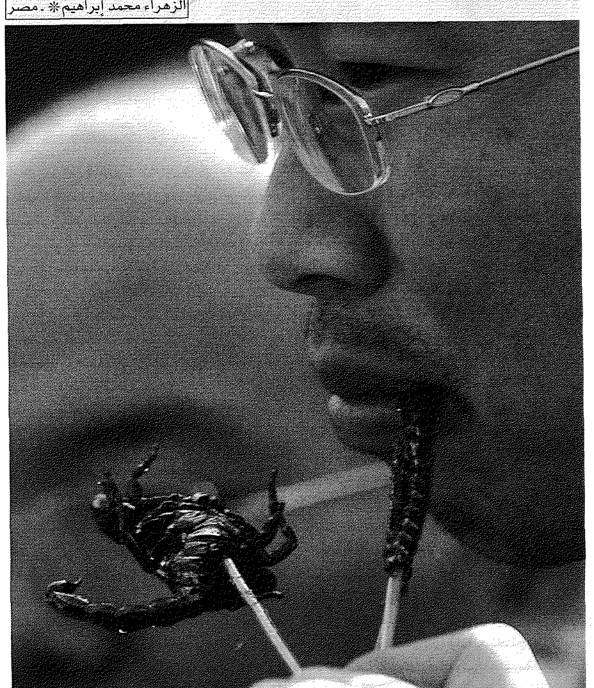
هذا هو سر التفوق الصيني، رفض تقديم المصلحة الفردية على مصلحة المجتمع، وإدراك أن نجاة الفرد لا تكون بالتسلق فوق رقاب الآخرين، بل بالإمساك بأيديهم، ليرتقوا كلهم. ولذلك سيستمر الغرب في انتقاد انخفاض أجور العمال الصينيين، وعدم توفر وسائل الرفاهية لهم، وقلة حظوظهم من الرعاية الصحية والاجتماعية، لا حبًا فيهم، بل رغبة في التخلص من هذه الهيمنة الصينية.

أليس في ديننا ما يفوق هذه القيم الصينية؟ أليس الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قالوا من يا رسول الله، قال من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع». وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». هل رأيتم أن سر التفوق الصيني، موجود لدينا، ولكننا نحتاج إلى العمل به فحسب، لعل القوة العظمى القادمة تأتي من أراضينا.■

الطعام الصيني

يأكلون كل ما يقف على أربع إلا طاولة الطعام !

الزهراء محمد إبراهيم* - مصر



* جامعة أسيوط .

هناك اجتهاد صيني يقول: إنه حينما كانت الصين إمبراطورية كان الطباخون الذين يعدون الطعام لجلالة الإمبراطور وآل قصره يتفننون في إبداع أنواع وأشكال الطعام، حتى استنفدوا كل المواد والطرق المألوفة في الطهي والخلط والعجن والخبز... ولكن الإمبراطور كان مصرًا على التنويع وطلب التجديد، فما كان منهم إلا أن بدءوا في تجريب غير المألوف من النباتات والحيوانات والحشرات أيضًا، في محاولة منهم لإشباع رغبات الإمبراطور، وبمرور الوقت ظهرت قوائم لأطعمة جديدة، ثم انتقلت هذه القوائم من البلاط الإمبراطوري إلى العامة، ومن هنا ظهرت وانتشرت كل هذه الأنواع من الأطعمة الصينية، حتى أصبح يقال: «إن الصينيين يأكلون كل ما يقف على أربع إلا طاولة الطعام، وكل ما يطير في السماء إلا الطائرة»!!

وهناك اجتهاد آخر يرى أن سر هذا التنوع - المثير للانتباه - في الطعام الصيني هو أن الصينيين كانوا في العهود القديمة يحصلون على العقاقير من الطبيعة، وهو ما كوّن علم الطب الصيني التقليدي وأدويته ذات الميزات الفريدة، وأن هذه الأدوية كانت ترتبط دائمًا بمأكولات الناس ومشروباتهم بصورة وثيقة، وأن الناس اعتادوا تناول الأدوية في الأطعمة، كما أن بعض الأطعمة كانت تؤدي دورًا مماثلاً للأدوية، وأن ذلك أدى إلى ظهور ما يعرف بالعلاج الغذائي والأطعمة الطبية، وأن الأطعمة تنوعت لتلبي الاحتياجات العلاجية المتعددة، وأصحاب هذا الاجتهاد يستشهدون بالمثل الصيني الذي يقول: «إن أساس صحة الفرد هو النظام الغذائي وليس الدواء، وإن العلاج الغذائي أفضل من العلاج الطبي»، ويذكرون أيضًا أن العلاج الغذائي كان شائعًا جدًا بين عامة الصينيين في العهود القديمة، ومازال شائعًا بينهم في الوقت الحاضر.

وكانت عادة الدمج بين الأدوية والأطعمة وتبادل الخبرات بين الأطباء والطباخين قد ظهرت وتطورت في النظام الغذائي الطبي الصيني خلال عهد أسرة «تشو» (١٠٤٦قبل الميلاد ٢٥٦ قبل الميلاد)، ويوجد في الكتب والسجلات الصينية القديمة أطروحات كثيرة عن العلاج الغذائي، ومن هذه الكتب كتابا «ألف وصفة طبية أساسية» و«ألف وصفة طبية ثانوية» للطبيب الصيني الكبير «سون سي مياو» الذي عاش في عهد أسرة تانغ الملكية (٦١٨ م -٩٠٧م) وقد تضمن هذان الكتابان فصولاً حول العلاج الغذائي تركت تأثيرات عميقة وبعيدة المدى في تطور علم العلاج الغذائي خلال العهود القديمة، حتى قيل إن جميع سبل العلاج الغذائي وإعداد الأطعمة الطبية المتداولة بين عامة

الصينيين تطورت على ضوء وجهات نظر سون سي مياو.

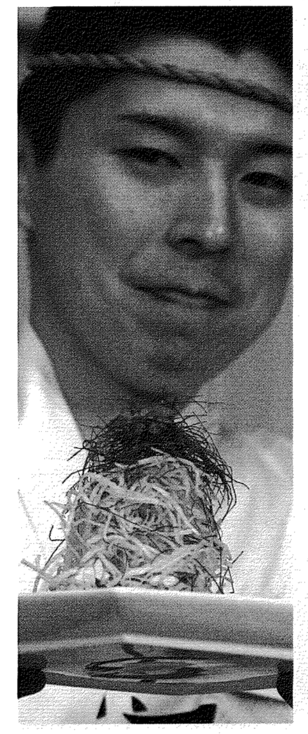
و من آراء «مياو» المشهورة: أن صحة الإنسان تقام على أساس النظام الغذائي المعقول، ولا يسمح لأي شخص بتناول الأدوية دون استشارة، وأنه يجب أن يلتزم كل طبيب بتوضيح أسباب المرض قبل كل شيء ومحاولة إنقاذ المريض بالعلاج الغذائي أولاً، وإذا لم يحقق ذلك نتائج جيدة، فما زال هناك وقت لعلاجه بالأدوية، وقد تجاوز عمر «مياو» مائة سنة، ونظرًا لهذه الحقيقة، قبل الناس باقتناع تام نظرياته حول العلاج الغذائي والرعاية الصحية منذ عصره وحتى الآن. وقد توارث الشعب الصيني ثقافة العلاج الغذائي والأطعمة الطبية وأصبحت وسائله شائعة جدًا بين الجماهير الصينية حتى وقتنا الحاضر.

وعلى ذلك فإن تنوع المأكولات الصينية لم يكن من أجل ملء البطون، وإنما كان نتيجة طبيعية لتنوع فوائدها العلاجية، وعلى الرغم من هذا التنوع فإنها تصنف تحت مذاقات خمسة هي:

اللاذع، والحلو، والمر، والحريف، والمالح، كما أنها تقسم من حيث التقديم إلى: باردة، وساخنة، ودافئة باردة. وهذه المذاقات تحدد كيف يؤثر الطعام في نظام الجسم؛ على سبيل المثال: يعزز الطعام الحريف دوران وتبخر الطاقة الحيوية «تشي»، والطعام ذو المذاق المر يفتح المراكز المسدودة ويعزز الحركة السليمة للأمعاء، وتناول الطعام اللاذع يعمل على تراكم وتركيز الطاقة الحيوية، بينما يخفف الطعام المالح الشعور بالثقل والكسل. ويعتقد الصينيون أن هذه الخصائص فعالة في معالجة الأمراض من خلال تناقضها مع طبيعة كل مرض.

ويربط الصينيون بين فصول السنة والعناية بأعضاء الجسم من ناحية ونوعية الغذاء المناسب لكل فصل من ناحية أخرى؛ فالصيف فصل العناية بالقلب، والخريف فصل العناية بالرئتين، والشتاء هو وقت تغذية الكليتين، والربيع هو أفضل فصل لإنعاش الكبد.

ولما كان القلب دافئًا بطبيعته يُنصح بتناول الأطعمة المرة في الصيف، وبالنظر إلى الوقت اللازم لتراكم الطاقة الحيوية ينصح بتناول أكلات لاذعة وحلوة مغذية أكثر في الخريف، نظرًا لأن أكثر الأمراض التي قد تصيب الناس في هذا الفصل هي الالتهابات الرئوية، وأن الأكل السليم وشرب الكثير من الماء يساعد في التخلص من هذه الأمراض، ومن الأطعمة اللاذعة الفجل الذي يزيد إفراز اللعاب ويخفف الجفاف في الجسم، كما أنه ييسر الهضم ويقلل الحرارة (شانغهوه)، ويساعد



في دوران الطاقة الحيوية «تشي» ويزيل البلغم، كما أن «الزعرور» المغلف بالحلوى على عصا من أشهر المأكولات الخفيفة التي تباع في كافة أرجاء الصين من الخريف إلى الربيع، ويتم حاليًا عمله من فواكه البرتقال، الفراولة، أو الكيوي، غير أن ما يعرف بـ«بينغتانغ هولو» التقليدي هو النسخة الأصلية لهذا النوع من الأطعمة، وأفضل وقت لتذوقه هو بداية العام الصيني الجديد- وقت شيوع إسهال المعدة- لأن قدرة هذه الفاكهة معترف بها في تحسين الهضم، والمكونات الصحية في الزعرور عرفها الطبيب المشهور لي شي تشن (١٥١٨-١٥٩٣)، مصادفة قبل قرون.

وفي فصل الشتاء فإن الجوز الذي هو بطبيعته حلو ودافئ قليلاً، مفيد للرئتين والكليتين. ويوفر أيضًا طاقة أساسية للأيض ودوران الدم.كما أن تناول الجوز بانتظام يحسن البشرة ويوقف شيب الشعر ويدفئ الرئتين ويمنع الكحة. وهناك قصة قديمه توضح الأثر الصحي للجوز، تقول: إن مسؤولاً عجوزًا في البلاط الإمبراطوري عانى من الكحة وقتًا طويلاً ووهنت صحته حتى بات غير قادر على تناول الدواء، وعندما وصف له طبيب البلاط ثلاث حبات من الجوز، وثلاث قطع من الزنجبيل النيء وكوبًا من الماء الساخن، يشربه قبل النوم كل ليلة، شفي الرجل بسرعة. ومن الأطعمة التي ينصح بها في فصل الشتاء السمسم الأسود وهو مفيد جدًا، حيث يغذي أجهزة الجسم المختلفة (القلب، الكبد، الطحال، الرئتين، والكليتين)، ويقوي العضلات أيضًا. ويُعتقد بشكل كبير أن الأطعمة السوداء مفيدة لضعاف الصحة والمرضى والمسنين ولمن بدأ شعرهم يشيب أو يتساقط.

والكستناء مثال آخر للأطعمة التي لها شهرة في الصين، حيث يتم تناولها مقلية في الفترة من أواخر الخريف إلى بدايات الربيع منذ قديم الزمان، وقد أكد الطبيب «سون سي مياو» أنها جيدة للكليتين لأنها مالحة ودافئة، وهي مفيدة للمصابين بالتهاب المفاصل، ذلك أن الكلى السليمة تزيد قوة العظم والأوتار.

وفي الخريف يشتد جفاف الجو، ويعاني الناس جفاف البشرة والأنف وتشقق الشفتين والكحة

يربط الصينيون بين فصول السنة والعناية بأعضاء الجسم من ناحية ونوعية الغذاء المناسب لكل فصل من ناحية أخرى؛ فالصيف فصل العناية بالقلب، والخريف فصل العناية بالرئتين، والشتاء هو وقت تغذية الكليتين، والربيع هو أفضل فصل لإنعاش الكبد

وألم الرأس، وحرارة الكفين والقدمين، ولذلك ينصح بترطيب وتغذية الرئتين في هذا الموسم، ويمكن ترطيب وتغذية الرئتين عن طريق تعديل نظام التغذية، وتنظيم عادات الحياة لتعديل الطاقة الحيوية «تشي» للرئة، ومن ذلك النوم مبكرًا والاستيقاظ مبكرًا.

وتتم تغذية الرئتين بأنواع كثيرة من الأطعمة منها: الفجل، والسمسم، وجبن فول الصويا، وفطر الكبد الأبيض، والجوز. أيضًا يمكن تناول حساء الزنبق الطازج والعسل، بمعدل ٥٠ جرامًا من الزنبق مقابل ٣٠ جرامًا من العسل، أو الحساء المغلي من كمثرى شيويهلي، وبصل عرار سيتشوان، بحيث يكون كل إناء من الكمثرى مقابل ١٠ جرامات من بصل عرار سيتشوان. وهاتان الوصفتان مفيدتان للغاية لعلاج الكحة المزمنة من حرارة الرئتين، ولعلاج مرض الالتهاب الرئوي الشعبي.

هذا إضافة إلى «تشحيم» الرئتين بمعجون مقاومة الجفاف، وهناك وصفتان لصنع هذا المعجون ؛ الأولى: معجون بيلي المستحضر من ١٠ جرامات من مسحوق بصل عرار سيتشوان، كيلوجرام من عصير كمثرى شيويهلي، نصف كيلو من غراء جلد البقر، وطبخ هذه الأشياء وتبخيرها لتكون معجونًا، ويتم تعاطيها مرتين يوميًا، بمعدل ١٠ جرامات كل مرة، وهي

مفيدة لرعاية الرئتين إضافة لعلاج الربو المزمن ونزف الدم في الأنف، والوصفة الثانية: معجون بآشيان، وهو يصنع من عصير جذور اللوتس، وعصير الزنجبيل الطازج، وعصير جنكو، وعصير قصب السكر، وعصير الكمثرى، وعصير الفجل والعسل، ويتم خلط هذه المكونات بكميات متساوية وتبخيرها، ثم تخزينها في داخل زجاجة وشرب كمية مناسبة في أي وقت، وهو مفيد لإزالة البصق والحرارة إضافة لتغذية الرئتين.

وهناك وسادة لعلاج الالتهاب الرئوي الشعبي والربو المزمن وتصنع هذه الوسادة من الأعشاب الطبية التالية: العلد الصيني، بانشيا (نوع من العقاقير الصينية)، زهور صريمة الجدي اليابانية، عرق السوس، قشر البرتقال المجفف، أوراق المشملة، براعم حشيشة السعال، شيافوهوا (نوع من العقاقير الصينية)، جذور الزرنباد الصيني، بذر المشمش، جذور أسطراغالوس.

ومن الأطعمة الصينية ذات الفائدة الكبيرة صلصة الصويا ذات المذاق المالح بعض الشيء، وتحتوي هذه الصلصة مادة تسمى (Monosodium Glutamate). وهذه المادة تعد المفتاح الرئيسي في مكافحة أحد أشد آفات العصر التي تصيب البشر وهي السرطان والصلع عند الرجال، وقد بينت دراسة أمريكية أن الصويا تقوم بإفراز مركب غامض في داخل الأمعاء بحيث

قد لاحظ العلماء أن نسبة الصلع منخفضة جدًا لدى الرجال الصينيين مما يعطي مؤشرًا قويًا على أن هناك علاقة مباشرة بين ما يقومون بتناوله من أطعمه وبين إصابتهم بالصلع

يقوم هذا المركب بوقف عمل الهرمون المعروف باسم (DHT) وهو المسؤول عن الصلع كما يعتقد العلماء أن هذا الهرمون مسؤول أيضًا عن رفع نسب إصابة الرجال في الإصابة بالنوبات القلبية.

وتوصل العلماء إلى أن هذا المركب والمسمى (equol) لا يقوم بوقف إفراز هرمون (DHT) بل إنه يقوم بوقف عمله فقط، وقد كانت هناك محاولات عديدة لصنع دواء يؤدي هذا الغرض إلا أن كل المحاولات كانت تنتج أدوية لها مضاعفات جانبية سيئة جدًا.

وقد لاحظ العلماء أن نسبة الصلع منخفضة جدًا لدى الرجال الصينيين مما يعطي مؤشرًا قويًا على أن هناك علاقة مباشرة بين ما يقومون بتناوله من أطعمه وبين إصابتهم بالصلع.

هذا وقد توصل باحثون في جامعة ميسوري كولومبيا الأمريكية، إلى أن مادة الأستروجين النباتية الموجودة في الصويا، قد تحمي من الإصابة بسرطان الأمعاء والقولون، كما قد يساعد البروتين الطبيعي الموجود فيها في تقليل عدد الأورام، التي تظهر، ويقلص حجمها.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن سرطان القولون ينتمي إلى الأورام الحساسة والمستجيبة هرمونيًا، الأمر الذي قد يساعد في توفير طرق جديدة لمعالجة هذا المرض، والوقاية منه، كما بينت الدراسة أن بروتين الصويا قد يؤثر إيجابيًا على عدد وحجم الأورام، التي قد تظهر فيقللها ويقلصها.

وتوجد سلسلة من أطعمة الزهور الصينية، أي الأطعمة المصنوعة من الزهور. وكانت أطعمة الزهور قد ظهرت خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد أثناء عهد أسرة تانغ الملكية. وتجاوز عدد أنواع الزهور التي تطبخ وتؤكل أكثر من ألف نوع. وينتشر في إقليم شمال الصين وحده أكثر من مائة نوع من الزهور المأكولة. أما في مقاطعة يوننان المسماة بـ«مملكة النباتات» في جنوب غربي الصين، فقيل إن أنواع الزهور المأكولة كثيرة جدًا حتى يتجاوز عددها مائتين وستين نوعًا.

وتعالج أطعمة الزهور الكثير من الأمراض. كما أن كثرة أكل أطعمة الزهور مفيدة جدًا لصحة

الناس وخصوصًا للنساء. وعلى سبيل المثال هناك نوع من الزهور يؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية وتنظيم الطمث والعناية ببشرة الوجه والرعاية الصحية للنساء.كما أن طبق السمك والجميري الطازجين المطبوخين مع زهور الخوخ ينشط الطاقة الحيوية والدم ويقوي الطحال والمعدة بالإضافة إلى العناية ببشرة الوجه بصورة جيدة جدًا.

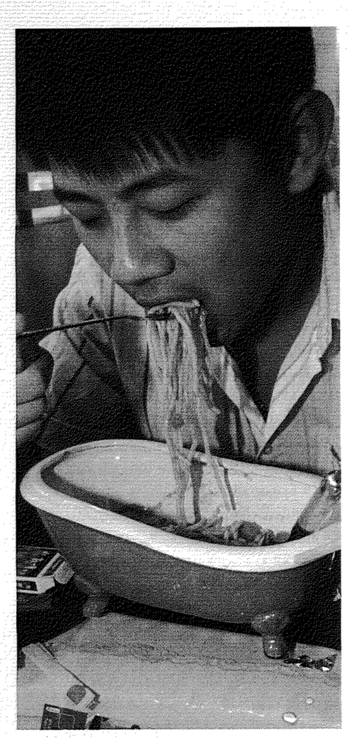
ومن بين الأطعمة الصينية الشائعة والمشهورة بفوائدها الصحية: الحساء والمعجنات والمرق، وقد أنشئت مطاعم خاصة بهذه الأطعمة في جميع أنحاء العالم. وأنواع هذه الأطعمة الطبية عديدة وفاعلياتها مختلفة. وهناك حساء يسمى «حساء الأطفال» ومسلوق باليام الصيني وبزور دموع الأيوب والكاكي المجفف مع الأرز، ويستطيع أن يعالج مرض ضعف الطحال والمعدة للأطفال.

وقد صدر مؤخرًا قانون سلامة الأطعمة الصيني الذي يمنع بحزم إضافة الأدوية إلى الأطعمة، ولما كان ذلك يتعارض مع الطرق الشعبية لإعداد الأطعمة الطبية، أعلنت الهيئة الحكومية المعنية أسماء لعشرات الأنواع من العقاقير الصينية التى يمكن إضافتها إلى الأطعمة، مثل التمر الكبير الصيني والزنجبيل المجفف والزعرور الصيني والنعناع وغيرها.

ولا تشيع الأطعمة الطبية داخل الصين وحدها، بل دخلت معظم الأسواق الدولية أيضًا. مثلاً، إن شراب زهر الأقحوان وشاي قشر اليوسفي وخبز الكمأة الصينية والزيتون ذا الفاعلية الطبية وغيرها من المأكولات والمشروبات الطبية الصينية تلقى الآن إقبالاً متزايدًا لدى الأجانب في جميع وجباتهم الغذائية.

وبالرغم من أن الحالة المالية لبعض الصينيين ليست جيدة أو متيسرة، لكنهم يبذلون ما في وسعهم لتحسين مكوناتهم الغذائية. أما ميسورو المعيشة فيبذلون جهودًا أكبر في رفع جودة غذائهم.

ويوجد في الصين الآن أربعة مطابخ كبيرة معترف بها هي: مطبخ سيتشوان ومطبخ قوانغدونغ ومطبخ هواييانغ ومطبخ شاندونغ. في مطبخ سيتشوان يستخدمون المواد العادية لإعداد أنواع



شتى من الأطباق تتغير هذه الأنواع في الوجبات الثلاث يوميًا طوال السنة، ولهذا يقولون «الأطعمة في الصين، والأذواق في سيتشوان». الطعم الحار هو أكثر ما يميز أطباق سيتشوان، وتفسير ذلك أن حوض سيتشوان ضبابه كثيف ومعظم أيام الصيف فيه ممطرة، والجو رطب معظم الأوقات، والطعم الحار يخفف الرطوبة في جسم الإنسان. أما مطبخ قوانغدونغ فتكثر فيه الغرائب التي تستخدم في الطهي ولا يكون

الطعام مالحًا؛ فحرارة الجوهناك لا تُحتمل، والناس في قوانغدونغ يحبون البحريات والحيوانات الحية والطازجة. وقوانغدونغ هذه هي التي ظهرت فيها أول حالة إصابة بالالتهاب الرئوي الحاد اللانمطي (سارس) الذي قيل إن الفيروس المسبب له انتقل إلى الإنسان من الحيوان.

والمطبخ الصيني الثالث هو هوايیانغ المتميز بالعمل الدقيق والطعم الخفيف واللذيذ والمظهر الجميل والألـوان المنسقة، ويشتهر بالكابوريا والأسماك النهرية والخضار. أما أطباق مطبخ شاندونغ، وهو الرابع في قائمة المطابخ الصينية، فمالحة، وتستخدم لها المواد العالية البروتين وذات القدرة العالية على تحمل الحرارة، وذلك لطول فترة البرد وقلة أنواع الخضار في شمال الصين، وهو مطبخ إمبراطوري بحق، وأشهر أطباقه بط بكين المشوي، وإن كان أصحاب الأوزان الثقيلة يمنعون منه. والكتب تتحدث عن أنواع أخرى من أنظمة الطعام في الصين ومن أشهرها مطاعم شينجيانغ، تلك المنطقة الإسلامية الواقعة شمال غربي الصين، ومن أبرز معالم طعامها الكباب والمشويات الأخرى الشبيهة بأطعمة آسيا الوسطى والمنطقة العربية، وهناك القدر المنغولي، نسبة إلى منغوليا، وهي منطقة ذاتية الحكم في الصين، وهو عبارة عن قدر يوضع على موقد يشعل بالكحول

يختلف حجم المأدبة لإكرام الضيوف باختلاف المناطق أيضًا. وأصغر حجم للمائدة في بكين هي مائدة مكونة من ثمانية أطباق باردة وثمانية أخرى ساخنة

ويوضع في القدر حساء تضاف إليه رقائق اللحوم، التي تكون في رقة ورق الكتابة، والخضار وكل ما شئت لتنضج المحتويات أمامك وتلتهمها ساخنة مع إضافة بعض المشهيات إليها.

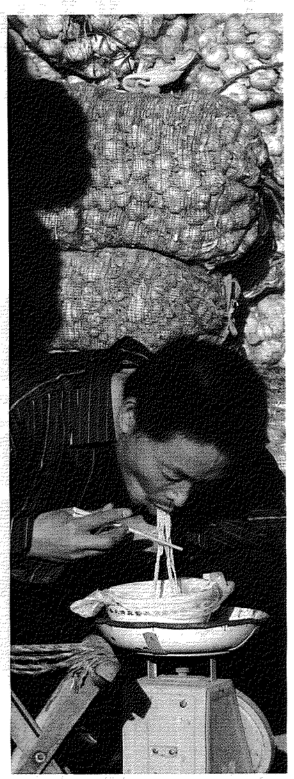
وبالإضـافة إلى ارتبـاط الطعام الصيني بالنواحي العلاجية، هناك عادات غذائية خاصة بالمناسبات الاجتماعية والأعياد التقليدية المهمة والمناسبات الدينية والـزفاف والجنـازة وعيد الميلاد وإنجاب الأطفال، وتتجلى العادات الغذائية للمناسبات الاجتماعية بصورة رئيسية في أنشطة الاتصالات بين الناس، وخصوصًا بين الأصدقاء والأقرباء. وكلما حل حدث هام لشخص معين، مثل إنجاب طفل أو الانتقال إلى بيت جديد أو غيرهما، غالبًا ما يهدي أصدقاؤه وأقرباؤه بعض الهدايا إلى أسرته. أما المضيف فيفكر أولاً: أي مأكولات ومشروبات سيعدّها لضيوفه؟ ويبذل أقصى جهوده لإعداد الأطباق الفخمة بقصد إرضاء ضيوفه. وكذلك، اعتاد التجار على الجلوس حول المائدة لإجراء المفاوضات التجارية. وبعد تناول الوجبة، يتفقون على صفقة.

وتختلف أطبـاق إكـرام الضيوف باختلاف العادات والتقاليد في كل أنحاء الصين. وكان أهل بكين في الزمن القديم يكرمون ضيوفهم بالمكرونة الصينية كناية عن دعوتهم للضيوف بالمبيت. وإذا بات الضيوف، دعاهم المضيف لتناول وجبة من الجياوتسي تعبيرًا عن حماستهم لإكرام الضيوف. وفي الـزيـارات لأقربائهم وأصدقائهم، كان من المتعين أن يهدوا إليهم ثمانية أنواع من المعجنات المحلية ببكين. وفي بعض الأرياف في جنوب الصين، عندما يجيء ضيف، يحضر المضيف الشاي له. ثم يذهب على الفور إلى المطبخ لإعداد المعجنات أو سلق عدة بيضات دجاج في الماء ويضيف السكر إليه أو يسلق في البداية عدة شرائح من كعكة رأس السنة ويضيف السكر إليها ثم يقدمها إلى ضيفه ليتذوق أولاً، وبعد ذلك، يبدأ إعداد الوجبة الرئيسية.

وفي مدينة تشيوانتشو بمقاطعة فوجيان في شرقي الصين، يتعين على المضيف أن يحضر لضيفه فواكه حلوة، وخصوصًا اليوسفي، لأن لفظ

«اليوسفي» يشبه لفظ «البركة» في اللهجة العامية، فيعتبر ذلك ترحيبًا مجازيًا بضيفه وتمنيًا له أن يعيش معيشة مبروكة وحلوة مثل اليوسفي.

ويختلف حجم المأدبة لإكرام الضيوف باختلاف المناطق أيضًا. وأصغر حجم للمائدة في بكين هي مائدة مكونة من ثمانية أطباق باردة



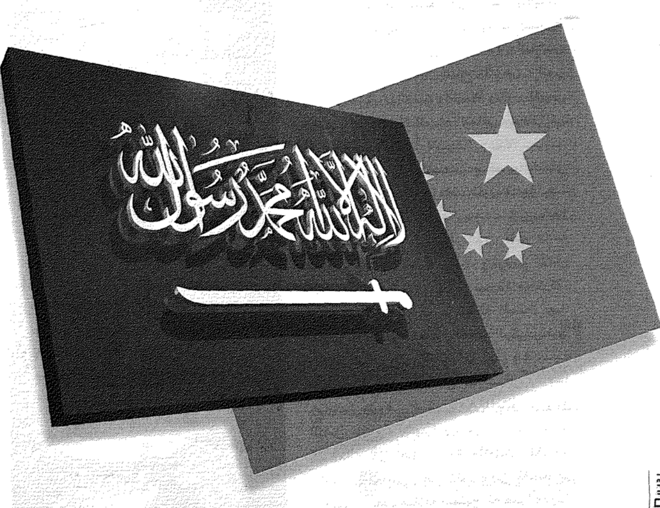
وثمانية أخرى ساخنة. وفي مقاطعة هيلونغجيانغ بشمال الصين، يلزم تحضير اثنين من كل طبق أو بأعداد زوجية. وبالإضافة إلى ذلك، في بعض المناطق، يلزم تحضير طبق سمك تعبيرًا عن الأمنيات بمعيشة ميسورة. وفي الحقيقة، إن كثيرًا من المآدب العادية في الحياة اليومية أنشطة غذائية متعددة ناتجة عن الزواج، مثل المآدب لعرض الزواج وتقييم الخاطب والمخطوبة والخطوبة والزفاف وبمناسبة أول عودة العروس إلى بيت والديها، وفي بعض المناطق في مقاطعة شنشي بغربي الصين، يمتاز كل طبق في مأدبة الزفاف بمعنى خاص. إن الطبق الأول هو اللحم الأحمر ويرمز إلى أن البيت مفعم بالسعادة، والطبق الثاني هو مسبحة الدرويش (تشكيلة من لحم وأصناف مختلفة من الخضر) ويرمز إلى لم شمل جميع أفراد الأسرة ومشاركتهم في السراء والضراء. والطبق الثالث هو أرز النفائس الثمانية المطبوخ بالأرز اللزج الأبيض والتمر الصيني الكبير والزنبق والجنكة وبذور اللوتس وغيرها من المواد الخام الثماني ويرمز إلى الزواج السعيد والعمر المديد.

وفي أرياف مقاطعة جيانغسو بشرقي الصين، فإن مأدبة الزفاف تكون فخمة جدًا ومعدة بستة عشر طبقًا أو أربعة وعشرين طبقًا أو ستة وثلاثين طبقًا. وفي المدن، تقام مأدبة الزفاف بصورة فخمة أيضًا. ويتوارث الناس هذه العادات متمنين معيشة سعيدة ومباركة. وتقام مأدبة العمر المديد لتهنئة المسنين بعيد ميلادهم. وغالبًا ما يكون الطعام الرئيسي فيها مكرونة تسمى مكرونة العمر المديد. وفي مدينة هانغتشو وبعض المناطق في شمال مقاطعة جيانغسو بشرقي الصين، من المعتاد أن يأكل الناس المكرونة ظهرًا ويقيموا مآدب مساء. وعندما يأكل أهل مدينة هانغتشو المكرونة، يلتقط كل شخص بعض المكرونة من طاسته إلى المحتفى به لعيد ميلاده متمنين له عمرًا مديدًا. ويتعين على كل شخص أن يأكل طاستين من المكرونة، ولكن الناس لا يسمحون بملئهما تمامًا معتقدين أن ذلك غير مبارك.■

تطور سريع خلال سنوات معدودة

العلاقات السعودية الصينية

راشد العثمان - الرياض



تعتمد سياسة المملكة العربية السعودية منذ تولي الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ومن تبعه من أبنائه الملوك حتى عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز على سياسة الانفتاح المنضبط على العالم الخارجي، وكسب الصداقات والاستفادة من العلاقات الدبلوماسية العالمية بما يتوافق مع سياستها النابعة من الدين الإسلامي الحنيف. وما يشهده العالم الآن من تطورات كبيرة ذات أبعاد عظيمة نظرًا للأحداث الجارية ووجود تغيير في استراتيجية السياسة الغربية تجاه الدول العربية ألزم الدبلوماسية السعودية بتوطيد علاقاتها مع دول الشرق الأقصى، والتنويع في العلاقات والتحرك دبلوماسيًا في كافة الاتجاهات والتركيز على الدول التي بدأت تبرز على محيط التطور التقني وأهمها دولة الصين التي تعد اليوم من أهم دول العالم في هذا المجال.

وتعتبر الصين واحدة من أكثر الدول نموًا في العالم، ففي حين تصارع الدول الأوروبية لنيل نسب نمو تتراوح بين ١ - ٣٪، تقوم الصين وحدها على نسبة نمو تقدر بـ٨,١٠٪، وتكفي نظرة واحدة على معدل الصادرات الصينية لكي يدرك المرء أن الصين باتت أحد أهم اللاعبين الاقتصاديين على المسرح الدولي، وقد باشرت الصين انفتاحها على العالم الخارجي وفرض وجودها لتفوقها في مجالات عدة أهمها التجارية.

وقد تم فتح أبواب الاستثمار لرجال الأعمال السعوديين في الصين، وسهلت لهم كافة الإجـراءات، وتجاوبت السعودية لهذه اللفتة وبدأ التعاون الصيني - السعودي، وتم تتويج هذا التعاون بقيام الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله- بزيارة إلى جمهورية الصين الشعبية في إطار علاقات التعاون والصداقة بين الدولتين، وكانت أهداف تلك الزيارة متعلقة بمناقشة العديد من القضايا التي تهم البلدين ومن أهمها القضايا التجارية، من خلال هذا الاستطلاع نسلط الضوء على هذه العلاقات التي باتت حديث العالم:

العلاقات السعودية الصينية

إن زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود التي قام بها إلى الصين تكتسب أهمية واضحة. فهي تعد هي أول زيارة يقوم بها ملك سعودي إلى الصين، واليوم تعتبر المملكة أكبر شريك تجاري للصين في منطقة الشرق الأوسط، والملك عبدالله حفظه الله أثبت منذ توليه الإشراف على شؤون الدولة حكمة سياسية بعيدة النظر، فهو الذي تصور أن توثيق العلاقات مع دول أخرى عظمى من شأنه تعزيز الدور السعودي دوليًا، وإقليميًا.

وقد قال الرئيس الصيني السابق جيانغ زيمين خلال زيارته للسعودية ١٩٩٩، (نحن نسعى للشراكة الاستراتيجية مع السعودية)، أما نائب رئيس بعثة سفارة جمهورية الصين الشعبية لدى المملكة وانج كي جيان فقد قال إنه منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية والصين عام ١٩٩٠م شهدت علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين تقدمًا سريعًا.. تعززت خلالها العلاقات السياسية.. وزاد التعاون في قطاعات الاقتصاد والتجارة والطاقة وقطاعات التعليم والثقافة والصحة والرياضة.

واعـرب في تصريح لوكالات الأنباء السعودية في حينه عن سروره بزيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود إلى الصين وذلك تلبية لدعوة تلقاها من فخامة الرئيس جينتاو رئيس جمهورية الصين الشعبية، وأوضح أن هذه الزيارة تعزز بشكل كبير العلاقات السعودية - الصينية التي أكدتها الزيارات المتبادلة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود للصين عام ١٩٩٨م حينما كان وليًا للعهد.. والرئيس الصيني السابق جيانغ زيمين الى المملكة عام ١٩٩٩م.. فضلاً عن الزيارة الناجحة التي قام بها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام إلى الصين عام ٢٠٠٠م.

حجم التبادل التجاري

وعن حجم التبادل التجاري السعودي الصيني أكد نائب رئيس بعثة سفارة جمهورية الصين الشعبية لدى المملكة وانج كي جيان أنه وصل إلى ١٤,٥ مليار دولار خلال الأحد عشر شهرًا الماضية من عام ٢٠٠٥م المنصرم.. أي بزيادة تقدر بنحو ٥٩٪ عن الفترة السابقة في عام ٢٠٠٤م.. حيث تصدر المملكة

العربية السعودية إلى الصين النفط والأسمدة الكيماوية والمواد الخام للصناعة الكيماوية، في حين تصدر الصين إلى المملكة المنسوجات والأزياء ومنتجات الصناعات الخفيفة والحبوب والزيوت، وبين أنه في عام ٢٠٠٤م استوردت الصين من المملكة العربية السعودية أكثر من ١٧ مليون طن من النفط الخام، وهو ما يعادل ١٣,٨٪ من مجموع واردات الصين من النفط الخام.

وأعرب عن أمله في مضاعفة حجم التبادل التجاري بين البلدين.. خاصة وأن كبرى الشركات والمؤسسات التجارية الصينية تسعى لفتح آفاق التعاون مع نظيراتها في المملكة خاصة في مجالات البتروكيماويات والغاز الطبيعي وتوليد الكهرباء وتحلية المياه والنقل والاتصالات والإلكترونيات.

الصين اليوم تتحدث

حملت مطبوعة (الصين اليوم) بين طياتها أن الصين احتفلت عام ٢٠٠٣ بمناسبة مرور (١٣) عامًا على العلاقات الصينية السعودية، وقد تحدث للمطبوعة سفير المملكة لدى الصين في ذلك الوقت عن هذه العلاقات الصينية السعودية التي بدأت عام ١٩٩٠، فقال: قد شهدت العلاقات بين البلدين خلال هذه الفترة تطورًا مستمرًا وبشكل طردي، أي أنها لم تشهد في أي فترة تراجعًا أو انخفاضًا أو حتى ثباتًا، وقد توج العلاقات خلال هذه الفترة التي تعتبر قصيرة بمقاييس العلاقات الدولية تلك الزيارة الكبيرة الهامة التي قام بها فخامة الرئيس (السابق) جيانغ تسه مين للمملكة العربية السعودية، وهي زيارة آتت أكلها بتوقيع بعض الاتفاقيات بين البلدين، وكذلك زيارة هامة أخرى بقدر أهمية الزيارة السابقة وهي زيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز (الملك عبدالله) إلى الصين، وتم خلالها توقيع عدد من الاتفاقيات الثقافية والاقتصادية والسياسية.

إشادة بالعلاقات بين البلدين

كما أشادت صحيفة الرياض في افتتاحيتها بالتطور الكبير الذي تشهده العلاقات السعودية الصينية في شتى المجالات لا سيما في المجالات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية، مستشهدة بالصفقة الكبرى التي وقعتها الصين مع السعودية في بكين للاستثمار في مدينة جازان جنوبي السعودية، وأثنت الصحيفة في افتتاحيتها بعنوان «الصين الشريك الأكبر في استثماراتنا» بالقفزة النوعية التي حققتها العلاقات السعودية الصينية حتى احتلت الصين الشريك الأول في التبادل التجاري والاقتصادي مع السعودية في العالم العربي رغم قصر مدة العلاقات السياسية وتبادل السفراء بين البلدين، وقالت إن التجربة الصينية الباهرة في النمو الاقتصادي تستحق الإشادة والتقدير، حيث سجل الاقتصاد الصيني نموًا سريعًا بهر العالم وجعلها تأتي بعد الولايات المتحدة الامريكية وتتجاوز ألمانيا فضلاً عن ارتفاع عدد السكان الذي يتجاوز ١,٣ مليار نسمة، مما يجعل الصين أحد أركان القوة القادمة بقوة في تغيير معالم الحضارة البشرية.

مشاريع طموحة إلى الصين

ودعت الصحيفة إلى الاستفادة من تجربة الصين التي ترتقي علميًا واقتصاديًا باستحداث مراكز بحوث علمية تضم العلوم والاقتصاد والتربية وقيم العمل في الانضباط والإنتاج، وكذلك المداخل والمخارج السياسية لاستشراف جميع الأسباب التي ترفع مستوى التعاون وخلق استراتيجيات تتصل بجميع الانشطة.

وأكدت أهمية دور الصين على الصعيد الدولي باعتبارها معادلة هائلة في كل الحسابات الدولية، موضحة أن إقدام السعودية على استغلال الفرص في بناء علاقات وطيدة مع دولة عظمى قادمة يجب أن يكون دون الإخلال بالعلاقات الأخرى مع دول صديقة، وإلى حاجة المشاريع السعودية الطموحة إلى الصين التي تمتلك قدرًا هائلاً من التطور الذي يتناسب واحتياجات رحلة القفزة القادمة في السعودية في مشروعات البنية التحتية





والمدن الصناعية والاستثمار في مجالات النفط والتعدين وسكك الحديد والتنمية البشرية.

أكبر استثمار صيني في العالم

أوضح محافظ الهيئة العامة للاستثمار عمرو الدباغ، الشهر الماضي أن الهيئة وقعت اتفاقية مع شركة وسترن وي الصينية للتنمية الصناعية المحدودة تقوم بموجبها الأخيرة بإنشاء مجمع للألمونيوم في مدينة جازان الاقتصادية باستثمارات مقدارها ١٥ مليار ريال، بالإضافة إلى توقيعها اتفاقيات تشغيل المجمع مع عدد من الشركات الصينية.

مضيفًا أن المشروع سيوفر أكثر من ٣٥٠٠ فرصة وظيفية مباشرة، و٨ آلاف فرصة وظيفية غير مباشرة للسعوديين، وسيكون المجمع المملوك بالكامل للقطاع الخاص مكونًا من مصفاة للبوكسايت بطاقة إنتاجية مقدارها ١,٦ مليون طن سنويًا من الالومنيا، تتكامل مع مصهر للألمنيوم بطاقة إنتاجية تبلغ ٧٠٠ ألف طن سنويًا من الألومنيوم الأولي.

وأكد الدباغ أنه سيعلن أيضًا عن مجموعة من الاستثمارات المشابهة لهذا الاستثمار العملاق في عدد من المدن الاقتصادية الكبرى بالسعودية.

لقاء ثقافي سعودي صيني

لم يقتصر التعاون السعودي الصيني على المجالات التجارية فقط، بل امتد ليشمل اللقاءات الثقافية، حيث قامت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بعقد فعاليات ثقافية متنوعة للمثقفين السعوديين - الصينيين، وتأتي هذه الفعاليات ترجمة للتوجيهات الكريمة لخادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - في تفعيل التواصل الثقافي والحضاري المبني على الصداقة بين الشعبين السعودي والصيني؛ وتقوية العلاقات بين البلدين.

ويعلق معالي الأستاذ فيصل بن عبد الرحمن بن معمر المشرف العام على المكتبة على هذه اللقاءات الثقافية بقوله:

«إن هذه الفعاليات الثقافية المتنوعة للمثقفين السعوديين - الصينيين تأتي ترجمة للتوجيهات الكريمة لخادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - في تفعيل التواصل الثقافي والحضاري المبني على الصداقة بين الشعبين السعودي والصيني؛ وتقوية العلاقات بين البلدين، بما يعزز في الوقت نفسه جسور التواصل التي توجت بزيارة خادم الحرمين الشريفين إلى جمهورية الصين الشعبية».

٥٧ مليارًا بنهاية ٢٠٠٦

لقد سجلت الصادرات السعودية غير النفطية للصين ارتفاعًا متطورًا خلال الفترة بين ٢٠٠٢م - ٢٠٠٦م، حيث ارتفعت من ١,٥ مليار ريال بنهاية ٢٠٠٢م إلى ٤,٨ مليارات ريال بنهاية ٢٠٠٥م، جاء ذلك وفقًا لدراسة حديثة أعدها مجلس الغرف التجارية السعودي.

وتؤكد الدراسة أنه يوجد مشاريع استثمارية مشتركة بلغ إجمالي استثمارها ١٧٩٩ مليون ريال (صناعية وغير صناعية) حيث يوجد ٧ مشاريع صناعية و٢٩ مشروعًا غير صناعي.

لقد شهدت العلاقات التجارية بين المملكة والصين تطورًا منتظمًا خلال السنوات الأخيرة، حيث ارتفع حجم التبادل التجاري إلى ٣٥ مليار ريال كصادرات و١٥ مليار كواردات في عام ٢٠٠٥م. علمًا أن الميزان التجاري يميل لصالح المملكة بسبب ارتفاع أسعار البترول في السنوات الأخيرة.

وفد سعودي للصين

ما إن بدأت العلاقات السعودية الصينية حتى بادرت الوفود من الجانبين بالزيارات المتبادلة، حيث قام وفد سعودي بزيارة جمهورية الصين الشعبية برئاسة الدكتور أبو بكر باقادر الذي أكد أن زيارة الوفد تهدف إلى إبراز المصالح الجوهرية بين البلدين مؤكدًا: أن الصين بزخمها الاقتصادي والصناعي المتنوع قوة آسيوية منافسة قادمة على العالم، وأن المملكة بما لديها من مصادر طبيعية وصناعية واقتصادية شريك مناسب للصين.

مضيفًا أن الزيارة تهدف إلى السعي لتصحيح الصورة الضبابية لدى الصينيين عن المملكة من خلال اللقاءات والنشاطات المتنوعة، وإعطاء صور ونماذج للأسرة السعودية المستنيرة ذات الطابع الحضاري المشرق من خلال تجربة أعضاء الوفد الشخصية، وان للسعوديين إسهامات في إثراء الحضارة الإنسانية. وكذلك إبراز العلاقات الاقتصادية الصينية السعودية وتوسيع تلك العلاقات وتنميتها وتسليط الضوء إيجابًا على التواصل التاريخي بين المملكة والصين من خلال الرحلات التي كان يقوم بها الحجاج الصينيون إلى المملكة، وقد كان بمعية الوفد عدد من السعوديات اللاتي كانت مهمتهن توضيح الصورة الواقعية عن أوضاع وأدوار المرأة السعودية.

وقد عقد الوفد في مستهل زيارته إلى الصين التي سبقت زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود لبكين لقاءً تعريفيًا مع مجموعة من الصحفيين والصحفيات يمثلون مجموعة من وسائل الإعلام ووكالة أنباء (شنخوا) وعدد من الصحف المحلية الصينية تم خلاله مناقشة عدد من الموضوعات المختلفة التي كانت تشغل أذهان الصينيين

والمفاهيم الخاطئة التي تكونت لديهم عبر وسائل الإعلام الغربية، وحرص الجانبان على ضرورة استقاء المعلومات وتبادل الافكار بشكل مباشر من مصادرها الأصلية.

كما قام الوفد بعدد من الزيارات لبعض الجهات الثقافية والاجتماعية والإعلامية والتجارية شملت مركز دراسات غرب اسيا وافريقيا التابع للأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية حيث التقى برئيس المركز يانغ جوان وعدد من اعضاء هيئة التدريس وناقش الطرفان الموضوعات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية التي تخص البلدين.

سابك وشراكة صينية

في وقت سابق كشف رئيس مجلس إدارة شركة سابك أن الشركة تعتزم الدخول في عقد شراكة مع عدد من الشركات الصينية يبلغ حجم الاستثمار به أكثر من ٥ مليارات دولار لإنشاء مدينة بتروكيماوية عملاقة ومصاف للتكرير.

أكد ذلك عقب قيام فخامة رئيس جمهورية الصين الشعبية هو جينتاو والوفد الرسمي المرافق له بزيارة للمركز الرئيسي للشركة السعودية للصناعات الأساسية سابك بالرياض في إطار زيارته الرسمية التي كان يقوم بها آنذاك للمملكة.

وأشار إلى أن هناك تعاوناً مع جمهورية الصين الشعبية موضحاً أن صادرات سابك إلى الصين تقدر بأكثر من ملياري دولار خلال عام وهو وقابل للزيادة بشكل كبير، ومما يشار إليه أن المملكة اتفقت مع دولة الصين خلال الفترة الماضية أثناء تبادل الزيارات المكثفة بين الجانبين على رفع حجم التبادل التجاري بينهما إلى ١٠ مليارات دولار، وزيادة فرص الاستثمار بين البلدين.

من جهة أخرى أوضح نائب رئيس مجلس إدارة سابك الرئيس التنفيذي المهندس محمد الماضي أن سابك تتطلع إلى تطوير آفاق العمل المشترك داخل السوق الصينية بزيادة مكاتب التسويق وإقامة مشاريع صناعية عملاقة لا سيما أن هذه السوق تعد من أهم أسواق سابك الاستراتيجية كونها أكبر سوق عالمية للمنتجات البتروكيماوية.

مضاعفة حجم التبادل التجاري

ويقول الأستاذ عبدالرحمن الجريسي رئيس مجلس الأعمال السعودي الصيني «إننا اتفقنا مع الصينيين على مضاعفة حجم التبادل التجاري ليصل إلى ١٠مليارات دولار، بعد أن كان ٦مليارات دولار»، موضحًا أن عوامل الشراكة أصبحت الآن مهيأة أكثر من السابق، في إشارة إلى أن السعودية بدأت تتجه إلى الأسواق الآسيوية وخصوصًا أسواق الصين، لتسويق المنتجات السعودية فيها، وجذب المستثمرين الصينيين إلى المملكة للاستثمار في مجالات البتروكيماويات والمعادن والصناعات التحويلية. من جهة ثانية تشير الإحصائيات أن الميزان التجاري بين المملكة وجمهورية الصين الشعبية قد حقق خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠٠٤م) فائضًا لصالح المملكة نتيجة لارتفاع معدل صادرات المملكة إلى جمهورية الصين الشعبية عن وارداتها منها خلال الفترة المذكورة أعلاه، حيث سجل الميزان قيمة فائض خلال عام ٢٠٠٠م تقدر بـ١,١مليار ريال، وقيمة تقدر بـ ٢.٨ مليار ريال خلال عام ٢٠٠١م بمعدل ارتفاع ١٤١٪ عن عام ٢٠٠٠م سببه انتعاش الصادرات السعودية إلى هذا البلد خلال عام ٢٠٠٠م، وفي عام ٢٠٠٢م استمر الفائض المسجل في ميزان تجارة المملكة مع جمهورية الصين بالارتفاع بمعدل ٥٩٪، ليسجل قيمة تقدر بـ٤،٤ مليارات ريال، أما فيما يتعلق بعام ٢٠٠٣م، فقد حقق ميزان تجارة المملكة مع جمهورية الصين قيمة فائض للمملكة تقدر بـ٧،٢ مليارات ريال بمعدل نمو عن عام ٢٠٠٢م يقدر ب ٦٤٪، وفي عام ٢٠٠٤م حقق الفائض المسجل للمملكة معدل نمو بلغ ٦٣٪.وفيما يتعلق بواردات وصادرات عام ٢٠٠٤م فإن الإحصاءات والبيانات الصادرة من مصلحة الإحصاءات العامة تشير إلى أن واردات المملكة من جمهورية الصين حققت قيمة تقارب الـ ١١ مليار ريال، بمعدل ارتفاع عن العام السابق مقداره ٣٦٪، حيث حققت جمهورية الصين الترتيب الرابع لأحد أكبر الشركاء التجاريين الرئيسيين المصدرين للمملكة خلال عام ٢٠٠٤م. في حين سجلت الصادرات السعودية إلى جمهورية الصين خلال عام ٢٠٠٤م قيمة مقدارها ٢٢،٧ مليار ريال، حيث حققت جمهورية الصين الترتيب الخامس لأحد أكبر الشركاء التجاريين الرئيسيين المستوردين من المملكة خلال عام ٢٠٠٤م، الأمر الذي يعكس كبر حجم التبادل التجاري بين البلدين والمقدر بـ ٣٤ مليار ريال (٩ مليارات دولار أمريكي)، ومتانة العلاقات السعودية - الصينية التجارية.

و بتسليط الضوء على واردات عام ٢٠٠٥م، فإن الإحصاءات والبيانات الصادرة والمتاحة من مصلحة الإحصاءات، تشير إلى أن واردات المملكة من جمهورية الصين الشعبية حققت خلال عام ٢٠٠٥م قيمة قدرت في الربع الأول بـ ٢,٩ مليار ريال، بينما حققت الصادرات السعودية غير البترولية خلال نفس الفترة قيمة تقدر بـ ١,١ مليار ريال. ■

الألعاب الالكترونية تعيد صياغة التعليم

المصدر: موقع إم إس إن بي سي بتاريخ ١٨ أكتوبر ٢٠٠٦م
الكاتب: بن فيلر
ترجمة: أحمد أبو زيد محمد

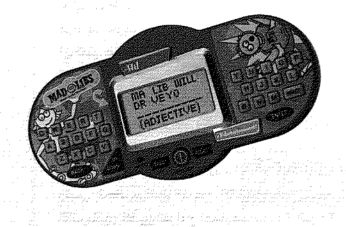


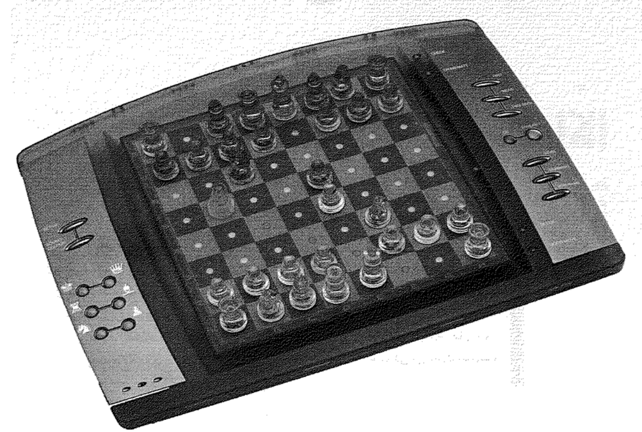
يصف العلماء هذه الطريقة بالاكتشاف العظيم باعتبارها الطريقة المثلى لجذب الطلاب إلى التعليم من خلال قضاء الساعات الطويلة في التعلم على طريقتهم الخاصة وذلك من خلال رؤية جديدة أدواتها ألعاب الكمبيوتر أو ما يسمى بالألعاب الإلكترونية. فقد أعلن اتحاد العلماء الأمريكيين، الذي يدلي برأيه في جميع المسائل الهامة حتى تلك المتعلقة بالتسلح النووي وأسرار الدولة، أن الألعاب الإلكترونية يمكن أن تعيد صياغة التعليم من جديد.

فبعد دراسة مستفيضة استمرت عامًا، دعا اتحاد العلماء إلى إجراء بحث اتحادي، أي على مستوى الولايات المتحدة بأكملها، حول كيفية تحويل إدمان ألعاب الكمبيوتر الإلكترونية إلى أداة تعليم هامة في المدارس. وترتكز نظرية العلماء على فكرة مؤداها أن الألعاب تعلم الأطفال المهارات التي يرغب المعلمون أن يتحلى بها الطلاب ويجيدوها، مثل التفكير التحليلي والبناء الجماعي بروح الفريق وحل المشكلات والمهام المتعددة في ظل ظروف إجبارية قاهرة، وعلى عكس البشر، نجد أن الألعاب الإلكترونية لا ينفد الصبر فيها، الأمر الذي يجعلها تتحول من كثرة الممارسة إلى صفة مكتسبة ومن ثم صفة طبيعية أصيلة لدى الأطفال.

وقد تبدو الفكرة صادمة بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون الألعاب رمزًا للهو عند المراهقين، إلا أن رئيس الاتحاد هنري كيلي يرى أن الألعاب يمكن اختراعها وتقييمها بهدف رفع مستوى الإنجاز والنجاح، وما يشجعنا على ذلك أن هناك جمهورًا بالفعل لهذه الألعاب وأكثر من ٤٥ مليون منزل بها وسائل تشغيل هذه الألعاب. ويضيف كيلي في مؤتمر صحفي «إذا لم نستطع أن نوجد اتصالاً أو رابطًا بين هذه الألعاب والتعليم، فالعار علينا نحن!... إن المطلوب هو البحث والتعرف على أبرز وأهم ملامح ومواصفات الألعاب التي يمكن توظيفها في برامج التعلم، وكيفية قياس المهارات لدى الطلاب من خلال ما تعلموه من الألعاب. وستتولى أقسام التربية والعمل ومؤسسة العلوم القومية البدء في هذا الأمر وفق الخطة المقترحة».

ويرى كيلي، مسؤول العلوم والتقنية السابق في البيت الأبيض في إدارة الرئيس كلينتون،





أن«هذه المهمة تمثل نوعًا من الاستثمار لا يستطيع القطاع الصناعي الخاص ببساطة الاضطلاع به، حيث كان هذا النوع من العمل من المجالات التي كانت الحكومة الاتحادية تضطلع بها دائمًا فيما مضى، حيث كانت تجري الأبحاث الأساسية اللازمة لدفع أي تحرك هام قدمًا إلى الأمام».

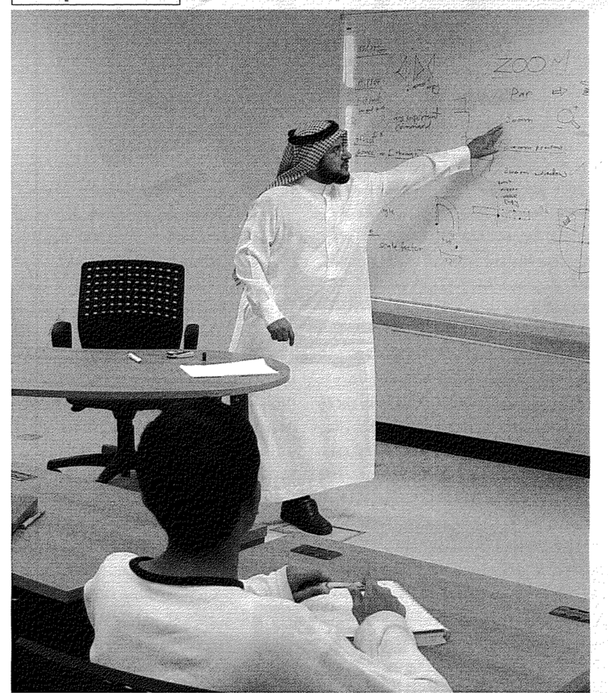
لكن إدراج إجراء أبحاث مكلفة عن الألعاب الإلكترونية على جدول أعمال الحكومة الاتحادية يعتبر أحد العقبات القائمة أمام هذا المشروع. ورغم وجود جهات مختلفة أخرى ذات علاقة بهذا الأمر، كالمدارس والكليات والجامعات، والتي تمثل سوقًا لا بأس به، إلا أن هذه الجهات تتخذ قرارات شراء البرامج بشكل فردي ومن المحتمل أن تعبر عن شكوكها إذا ما دار الحديث عن قيمة الألعاب وجدواها.

ويرى العاملون في صناعة الألعاب أن الألعاب التعليمية لا تحقق ربحًا ماليًا في سوق المستهلك، وأن التوجه الجديد سيسعى إلى تسويق الألعاب في المدارس مباشرة. ويذكر دو لونشتاين، رئيس اتحاد برامج الترفيه الإلكترونية، أن عدد الأمريكيين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٠ إلى ٣٠ عامًا سيصل قريبًا إلى ٧٥ مليون نسمة، وهي فئة نمت وترعرعت على ألعاب الفيديو أو ما يسمى بالألعاب الإلكترونية. ويضيف لونشتاين أن «الحس السليم يجعلنا ندرك أن دور تلك الوسائط الأساسية في حياة أبناء هذه الألفية يتجاوز مجرد اللهو في غرف المعيشة، وأن من الجنون ألا نبحث عن وسائل لاستغلال الألعاب التفاعلية لتعليم الأطفال».

ويدعو اتحاد العلماء الأمريكيين إلى اتخاذ إجراء لتفعيل هذه المبادرات من قبل المؤسسات المالية والعلمية أيضًا. ويرى دون بلاك، محلل الشؤون التقنية في الاتحاد القومي للتعليم، الذي يمثل المعلمين والمهنيين العاملين في المدارس، أن الفرص المتاحة هائلة في هذا المجال. لكن بلاك حينما يفكر في كيفية الاستفادة من الألعاب في الفصل، تتزاحم الأسئلة في ذهنه حول حجم التدريب الذي سيتلقاه المعلمون، ومن سيقوم بإقناع المعلمين والجمهور بأن الألعاب ليست مضيعة للوقت، وهل ستضيف المدارس الألعاب الخطيرة إلى المنهج؟ لكنه يخلص في النهاية إلى أن من الضروري أن يرى المعلمون أن الألعاب تمثل إحدى وسائل المساعدة ولا تشكل أي تهديد للعملية التعليمية على الإطلاق. ■

«مكننة التعليم» تمحو بصمات المعلم

عبدالمجيد النحكامي - المغرب



اهتز العالم على وقع انفجار الثورة الصناعية بأوروبا في القرن التاسع عشر، فضج بهدير المحركات الضخمة، وسعي العمال في حركة دائبة لم يألفها أسلافهم، وتسارعت التقانة في تطور مطرد، وزادت شراهة المصانع للمواد الخام وزادت معها شراهة الاستهلاك، وكانت الأسواق تغرق بالمنتجات الصناعية ذات المعايير الموحدة حتى كانت تبلغ حد التخمة كما حدث في العقد الثاني من القرن العشرين!

لقد غير العالم عداد سرعته بالمرة، ودقق في وقته فبدأ يتحرك بالأجزاء من المئة من الثواني والدقائق بدل الساعات والأيام!

شدة التنافس الصناعي دفعت بأهله إلى ابتكار طرق جديدة في التصنيع نجد من بينها العمل المتسلسل «Taylorisme» على يد المهندس والاقتصادي الأمريكي «فريدريك ونسلو تايلور»، في هذا العمل يكون كل عامل مكلفًا بحلقة معينة من مراحل إنتاج سلعة ما، كل عامل له حركات خاصة يكررها طيلة مدة عمله كآلة مبرمجة لتقوم بحركات معينة محددة في إطار مراحل الإنتاج.

وكان مما أثير حول سلبيات هذه الطريقة في العمل آنذاك أنها سخيفة تحط من كرامة الإنسان وترهقه. وقد عبر عن ذلك في قالب ساخر الفكاهي الأمريكي «تشارلي تشابلن».

فالعامل بغض النظر عن الوضعية البهلوانية التي يعيشها داخل المصنع بتكرار حركات محددة تعلق في لاوعيه لتصبح حركات لا إرادية مثلما ينبض قلبه (قد يكررها حتى أثناء نومه حسب سخرية الفكاهي)، فإنه مجرد رقم، مجرد حلقة.. قد يقضي عقودًا من عمره في نفس المعمل يعيد نفس الحركات ولا يرى لعمله هو نتيجة، ولا يتذوق لجهده حلاوة، ولا يفهم لعمله معنى.. فمن يستطيع أن ينفي عنه الشبه بالآلة (مجرد آلة)؟

العامل التقليدي مثلاً يبدأ في معالجة منتوجاته من خامتها إلى أن يراها قائمة مكتملة.

ولكم يسعد الإنسان وهو يرى نفسه قد جعل من شيء بسيط غير ذي بال شيئًا جديدًا ذا ثمن، ويزداد وعينا بسعادته عندما نعي كم يكابد ليصل إلى تلك النتيجة، وكم يقطع من مراحل خاصة بمصاحبة الإتقان.

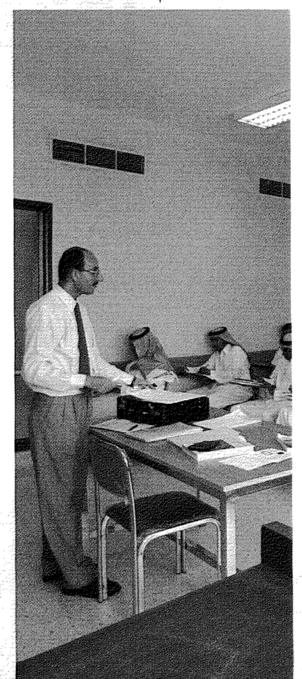
لا شك أن أهل سعار التنافس الاقتصادي يلهثون وراء الأرباح، ويستحلون لأجل ذلك كل السبل الممكنة، ويطرقون كل الأبواب حتى باب الشيطان! الربح هو الروح المقدسة التي تعمر قلوب المؤمنين بالرأسمالية المتوحشة، أما الخسارة فذلك وحده الشيطان اللعين المستعاذ منه.

والاقتصاد لا شك أنه عصب الحياة، دوره أشبه بدور الهيكل العظمي للإنسان وكذلك أهميته، حضوره قيامٌ وغيابه انبطاح. وقد استطاع المنطق الاقتصادي كما استطاعت الاعتبارات الاقتصادية أن تتصدر أولويات سياسة كل دولة، كما استطاع المنطق الاقتصادي أن يغزو بأفكاره التي تدعمها حساباته الدقيقة مختلف العلوم حتى أصبحت هذه الأخيرة

تعج بالكثير من المفاهيم الاقتصادية.

ومجال التربية والتعليم لا شك أنه نال حظًا وافرًا من هذا الغزو، فأصبحت ترى المربي المعلم يتحدث عن الربح والخسارة والمردودية والجودة وسوق الشغل وغيرها.

قد يكون الأمر عاديًا على اعتبار أن العلوم تتلاقح فيما بينها، وتغني بعضها بعضًا ما دام أنها ترمي إلى خدمة الحياة الإنسانية في شموليتها، لكن الأمر لن يكون عاديًا عندما يتحكم المنطق الاقتصادي الجاف في مهمة التربية والتعليم، فتظل هذه المهمة المقدسة



المشرفة رهينة وحبيسة الحسابات الاقتصادية الضيقة. ولننظر مثالاً على ذلك في الكارثة المسماة «الخريطة المدرسية». إنها منتهى السخف والحماقة عند رجال التربية والتعليم، ومنتهى المنطق والواقعية عند رجال اقتصاد!

إن الوضع الحالي في مؤسساتنا التعليمية اتجه (ربما بشكل غير مقصود) إلى أسلوب في العمل أشبه ما يكون بأسلوب تايلور «العمل المتسلسل». فكل معلم يكلف أو يتكلف بتدريس قسم معين: واحد في القسم الأول وآخر في القسم الثاني وهكذا.

والعادة الجارية أن المعلم يظل قابعًا في تدريس هذا القسم أو ذاك لسنوات عديدة قد تكون أحيانًا هي كل سنوات حياته العملية في وضعية أشبه ما تكون بعامل واقف على حلقة من حلقات سلسلة الإنتاج.. أو نحن بصدد إنتاج سلعة مصيرها النهائي مطرح نفايات أم نحن بصدد شيء آخر يرقى عن ذاك المصير المهين؟!

إن الفصل الدراسي مجال مشحون بأجواء حارة من الأحاسيس والعواطف الإنسانية الرقيقة تجمع بين كائنات تنبض بالحياة: أطفال في مقتبل أعمارهم ينضحون حيوية ونشاطًا وتجللهم البراءة مهما عبنا عليهم، ومعلم تجلله صفتا التربية والتعليم مهما قلنا عنه، وأسر تستأمن المعلم فلذات أكبادها تحاول ربط علاقة ودية مع المعلم يشوبها نوع من الاستعطاف (الضمني غالبًا الصريح أحيانًا). ما يكاد الطفل يألف معلمًا حتى ينقل إلى معلم آخر، وما يكاد المعلم يألف تلامذة ويصل إلى نهاية البرنامج السنوي حتى يجد نفسه مرة أخرى يعيد من نفس نقطة الصفر التي بدأ منها مع أطفال آخرين. قد يكون الأمر طبيعيًا بالنظر إلى أن لكل شيء بداية ونهاية، لكن المدة المخصصة لذلك قصيرة جدًا، مجرد سنة واحدة، حلقة واحدة تتكرر كل سنة. أمر يبعث على الملل وافتقاد لذة العمل، مما قد يحيل إلى التهاون وضعف الجودة.

مما قد نحسبه إيجابيات للعمل المتسلسل في تعليمنا هاتين اليتيمتين:

- عدم إرهاق المعلم بإعداد التحاضير بشكل يومي يستهلك نهاره وليله ويحرمه أوقاتًا من الراحة اللازمة لاستئناف حصص جديدة بصدر رحب

يحفظ التلاميذ من ويلات سرعة الغضب ويحفظه هو نفسه من ضغوط نفسيه لا تقل خطورتها عن خطورة حوادث الشغل التي يتعرض لها غيره من المهنيين في الأنشطة الاقتصادية الأخرى. فبطريقة العمل المتسلسل يحافظ المعلم على نفس التحاضير لعدة سنوات لا تنتهي إلا بتغيير المستوى الدراسي أو تغيير المقررات، وفي ذلك فسحة راحة واسعة له.

- اكتساب المعلم لتجربة كبيرة في المستوى الذي يدرسه. هذه التجربة تتمثل في ضبطه الكامل (بسبب التكرار فقط) للبرنامج ومكوناته، وتطويره للتقنيات الميسرة لبلوغ الأهداف التربوية.

لكن ما قيمة هاتين الميزتين إذا كانتا تهددان تعليمنا وتقودانه إلى نوع من الجمود والبرود واللا مبالاة والإحباط وضعف الجودة؟!

تمثل معي هذا الوضع مثلاً: معلم مبتدئ يخطو الخطوة الأولى في مجال التربية والتعليم. أطفال يلجون فضاء المدرسة لأول مرة. يبدأ نوع من التآلف في التنامي، وتتمتن الأواصر العاطفية بين التلميذ والمعلم كل ذلك في موازاة مع بناء تدريجي (لبنة لبنة) للمحصلة الدراسية للتلميذ. تبدأ السنة الدراسية بنوع من الصعوبة يدركها المعلمون، عبارة عن مخاض شبه عسير يروم تحقيق نوع من الانسجام والتآلف يسهل به تحقيق التواصل ما بين طرفي العملية التعليمية التعلمية. هذا الانسجام والتآلف الذي ما تكاد تتوطد أوصاله وتتعمق جذوره حتى تتقلع بقسوة وجفاء شديدين في آخر السنة، ما يكاد هذا البناء الوجداني تكتمل بعض أجزائه حتى يرى طرفاه (وخصوصًا المعلم) نفسيهما من جديد في نقطة الصفر، ثم في السنة الموالية يعيد المعلم العملية من جديد مع وجوه جديدة.

حلقة مفرغة قصيرة يزداد ملل المعلم كلما زاد تكرارها. يكون فيها كمن غاصت قدماه في الرمال، فلا يستطيع أن يتقدم بنفسه إلى الأمام ولو خطوة واحدة. ولتسأل عن جذوة حماس المعلمين في أوائل سنوات العمل كيف تخبو بعد ذلك سريعًا سريعًا!

قد يكون اقتراحي له نفس الطابع، فلو تكلف كل معلم بمسايرة تلامذته لمدة ست سنوات من السنة الأولى إلى السنة السادسة (طيلة المرحلة الابتدائية)، فهناك بداية ونهاية، لكن يبدو لي أن الأمر لن يكون كذلك، فمن يعد مسيرة عمله بالسنوات الكثيرة المتكررة مثل سابقاتها، ليس كمن يعد مسيرة عمله بالأفواج التي تكفل بها، كل فوج بست سنوات. أي أن عدّ مدة عمل المعلم لن تكون (مثلاً) أربعين سنة بل ستة أفواج فقط، وكل فوج يشهد بأنه ثمرة جهود فلان. حوالي ستة أفواج تشهد له أو عليه، والمجتمع يشهد له أو عليه، ونفسه تشهد، وإحساسه بالرضا أو الخجل والندم... وبهذا تتحدد المسؤوليات وتتحقق المحاسبة المفتقدة.

الإنسان يحب (وله الحق) أن تنطبع بصماته على هذا الكون وتخلد إنجازاته باسمه، ويكره أن تصادر منه. أما عندما يرقى همه إلى أجر عمل لا ينقطع نفعه بموته فذلك مقام جليل يتشوف إليه الكثيرون.

الجمود والسكون يحثان على السبات والخمول، والتحرك والترقي يحثان على اليقظة والحيوية، وكذلك الذي يترقى بتلامذته من مستوى إلى مستوى آخر يتابع معهم سنة بعد أخرى المسار التعليمي التعلمي، ويتابع نموهم الجسمي والفكري والوجداني، وتنمو في نفسه بالتوازي مع كل ذلك عواطف جميلة ترقى إلى عواطف الوالدين تجاه الأبناء، وتنمو في أنفس التلاميذ بالتوازي مع كل ذلك عواطف جميلة ترقى إلى عواطف الأبناء تجاه الآباء.

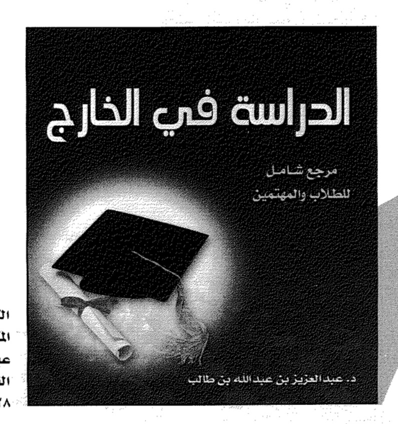
وهذه العواطف الجياشة الجميلة مكسب عظيم للتربية والتعليم. إنها دافع عظيم يدفع من رُزقها إلى بذل المزيد من الجهد واسترخاص كل غال ونفيس من أجل هؤلاء التلاميذ الأبناء، وذلك الجهد النابع من قلب محب لا شك تصل حرارته إلى الصبية فتنفتح قلوبهم وتلين فيبادلونه حبًا بحب، وتتفتح أفهامهم بحسب طاقتها وتشحذ هممهم بحسب استطاعتها.

قد تبدو هذه الكلمات محلقة بعيدًا في سماء المثاليات، لكن الذي يعرضها ابن الميدان، مر بتجربة حلوة ومريرة في آن واحد في التعليم! فأما الحلاوة فقد تمتع بها في صحبة التلاميذ الأبناء، وأما المرارة فقد ذاقها بفراقهم. وكان يظن أنه لو أتيحت له الفرصة لصحبهم إلى المستوى السادس لكانوا أحسن بكثير مما بلغه من الأخبار عن شأنهم فيما بعد. لقد راح معظمهم ضحية للعمل المتسلسل، والكلمات هنا إشارات يفهمها أهلها! ■

أين أدرس وكيف أحصل على قبول وما التخصص المناسب؟

الدراسة في الخارج

أين أدرس؟ وكيف أحصل على قبول؟ وما التخصص المناسب لي؟ وما الاختلافات الثقافية التي ساواجهها؟ وكيف أتمكن من الحصول على سكن مناسب؟ وكيف أقوم بتدبير أموري الشخصية في بلاد غريبة؟ هذه نماذج من بعض الأسئلة التي تدور في ذهن الطالب المقبل على الدراسة في الخارج. وكتاب «الدراسة في الخارج: مرجع شامل للطلاب والمهتمين» للدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن طالب، يجيب عن هذه الأسئلة وغيرها مما يهم الطلاب الدارسين، أو الذين يرغبون في الدراسة في الخارج. وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب أن فكرة تأليف كتاب عن الدراسة في الخارج بدأت بعد عودته من رحلته الدراسية خارج المملكة في صيف عام ٢٠٠٥م، حيث لاحظ الاهتمام المتزايد ببرامج الابتعاث للدراسة في الخارج، فكتب مقالاً مطولاً نشر في إحدى الصحف بعنوان «البرامج الدراسية في الخارج: استثمار بلا حدود». ويقول المؤلف إن هذا المقال كان نواة كتابه.



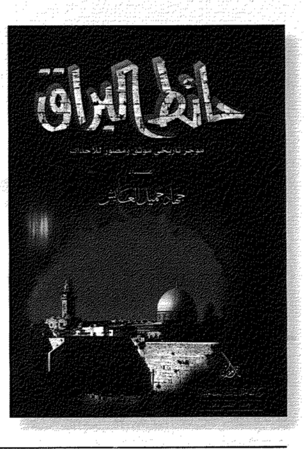
الكتاب: الدراسة في الخارج
المؤلف: د. عبدالعزيز بن عبدالله بن طالب
الناشر: مكتبة العبيكان - ١٤٢٨هـ

يقدم الكتاب معلومات مفيدة تهم راغبي الدراسة في الخارج في جميع دول العالم سواء كان ذلك لدراسة اللغة أو للدراسة الأكاديمية، مثل:

- التخطيط وتحديد الأهداف ويدخل في ذلك كيفية تحديد التخصص المناسب.
- اختيار مقر الدراسة (اعتبارات اختيار الدولة، والجامعة المناسبة، وكيفية التعرف على الجامعات).
- متطلبات القبول، وكيفية الحصول عليه، وكيفية مراسلة الجامعات وتعبئة طلبات القبول.
- الاستعداد للاختبارات القياسية مثل: GRE, SAT, GMAt, LSAt, MCAT وغيرها.
- الاستعداد للسفر، والحصول على تأشيرة الدراسة.
- دراسة اللغة (ويدخل في ذلك اختيار معهد اللغة المناسب، واختبارات اللغة، مثل Toefl. Ielts وعوامل النجاح في دراسة اللغة واكتسابها اللهجة).
- الاختلافات في أنظمة الدراسة والتعليم، وكيفية التأقلم معها.
- الحياة الجامعية (السكن، المواصلات، الشؤون المالية والصحية).
- اختلاف العادات والتقاليد، مع نماذج لبعض الاختلافات الثقافية وكيفية التكيف معها.
- الصدمة الثقافية، والتكيف النفسي والاجتماعي للطالب المبتعث.
- التفاعل الإيجابي مع مجتمع دولة الابتعاث.
- معلومات أساسية عن دول الابتعاث الرئيسة.
- فتاوى وأحكام وآداب تهم الطالب المبتعث.
- مصطلحات ضرورية للطالب المبتعث.

وبالإضافة إلى ذلك يقدم الكتاب نبذة عن تاريخ الابتعاث في المملكة واهتمام الدولة به بدءًا من الملك عبدالعزيز - رحمه الله- حتى وقتنا المعاصر. كما يذكر الكتاب الآراء المعارضة للابتعاث ويناقشها مناقشة عقلانية متزنة، ويعرض بالتفصيل لآثار الابتعاث الإيجابية ودوره في التنمية وكونه استثمارًا ذا مردود اقتصادي، ثم يعرض المؤلف بعض التجارب التنموية الناجحة في الابتعاث كتجارب ماليزيا وكوريا الجنوبية واليابان والصين، ويحث على الاستفادة من هذه التجارب التنموية. وقد ذكر المؤلف في معرض حديثه عن التجارب الدولية أن نحو ربع مليون ماليزي درسوا وتخرجوا في الجامعات الأسترالية خلال القرن الماضي، كما تعد كوريا الجنوبية ثالث دولة في العالم في أعداد الطلاب الدارسين في الخارج، وخلال عام ٢٠٠٤، بلغ عدد طلابها في الخارج ٩٥ ألفًا منهم ٥٢ ألفًا في الولايات المتحدة الأمريكية و٢٣ ألفًا في اليابان، وليس من الصعوبة الربط بين هذه الأعداد الكبيرة المستمرة منذ عقود والتقدم الهائل الذي تعيشه كوريا وكذلك ماليزيا. وهذه الأرقام والإحصاءات التي ذكرها المؤلف ترد على المشككين في أهمية الابتعاث ودوره في التنمية. فالمملكة والدول العربية عمومًا، في حاجة ماسة للخبرات المؤهلة والمدربة خاصة مع التوسع في المدن الصناعية والطبية والجامعية.

يحتوي الكتاب على ١٥ فصلًا في ٣٠٤ صفحات، وقد وضع المؤلف في هوامشه عشرات التنبيهات والمعلومات والأفكار والمقولات لأصحاب التجارب المميزة، وبعض الجداول والبيانات الإحصائية. ويتميز الكتاب بتوثيق المعلومات الواردة فيه، وتحديد مصادر أخرى للاستزادة والحصول على معلومات إضافية. ■



الكتاب: حائط البراق
المؤلف: جهاد جميل العايش
الناشر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص -١٤٢٧هـ

على امتداد أربعين صفحة معززة بالصور التوضيحية والنصوص الوثائقية يرصد الكاتب جهاد العايش سيرة حائط البراق بدءًا من تسميته المرتبطة بحادث الإسراء والمعراج وانتهاء باحتلاله من قبل اليهود عام ١٩٦٧م.وما يتخلل ذلك من أحداث ومواجهات في سبيل السيطرة عليه.

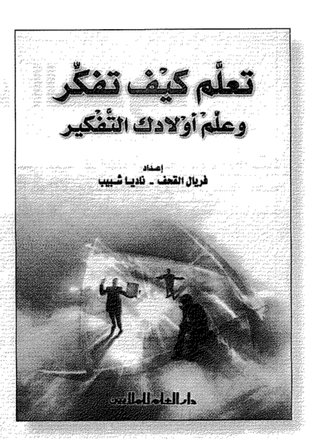
ويعرض الكتيب على نحو موجز وصفًا لطقوس عبادة اليهود عند حائط البراق، وشواهد تاريخية لأطماعهم فيه، وإشارات لمخططاتهم التوسعية حوله. كما يعرض في خاتمته جملة من الدلائل المنطقية لأحقية المسلمين في الحائط. ■



الكتاب: اعتذار الدقيقة الواحدة
المؤلف: كين بلانشارد
الناشر: مكتبة جرير -٢٠٠٦م

يحكي مؤلف هذا الكتاب من خلال ما يربو عن مئة صفحة قصة موظف شاب يريد أن يساعد مرشده ورئيسه في الشركة التي يعمل بها على مواجهة بعض الأخطاء الفادحة التي ارتكبها. ولالتماس المشورة والنصح قصد هذا الشاب صديقًا للعائلة يسمى بـ«مدير الدقيقة الواحدة» حيث كشف له المعنى الحقيقي للاعتذار الفعال.

والمؤلف يحاول في ابتكاره لهذه القصة إرشاد القارئ إلى كيفية تحمل المسؤولية عن الأخطاء، وإلى طرق التعامل مع أسبابها مع المحافظة على الإحساس الأصيل بالاستقامة. ■



الكتاب: تعلم كيف تفكر وعلم أولادك التفكير
المؤلف: فريال القحف، ناديا شبيب
الناشر: دار العلم للملايين، لبنان- ٢٠٠٧م

يمكن اعتبار هذا الكتاب من الكتب الفريدة في محتواها نظرًا لسعي مؤلفتيه إلى ترجمة بعض مهارات التفكير في أسئلة موجهة للطلاب والطالبات على نحو يمازج بين التنظير والتطبيق.

تتوزع صفحات الكتاب التي تجاوزت المئة والسبعين صفحة على خمسة فصول، يختص كل فصل من فصولها الاربعة بمعالجة مهارة واحدة من مهارات التفكير الرئيسية، وهي: تنظيم التصنيف، التفكير التحليلي، التفكير الناقد، التفكير الإبداعي. وذلك من خلال تقديم كمّ وافر من التدريبات والتمرينات المصوغة بأسلوب ميسّر ولغة مبسطة، ما يجعلها مناسبة للطلاب والطالبات الذين تتراوح أعمارهم بين تسع وأربع عشرة سنة.



الكتاب: افعل شيئًا مختلفًا
المؤلف: عبدالله علي عبدالغني
الناشر: شركة الإبداع الفكري، الكويت- ٢٠٠٦م

يأتي هذا الكتيب ضمن نطاق الإصدارات المعنية بإدارة الذات عبر رصده لأهم مبادئ التغيير الشخصي، وهي: التأثير، الانطلاق بقوة، رسم الخريطة، التخلي عن السلبيات، الملاحظة، القدوة، تغيير البيئة، فعل شيء مختلف، الطموح، التدرج، المجاهدة، الصبر.

ولتعزيز كل مبدأ من المبادئ السابقة يعمد المؤلف إلى حشد الاستشهادات الشرعية والبراهين العلمية والاستدلالات المنطقية والمقولات التاريخية لأشهر القادة والمفكرين. كما يعتمد للتخلص من الأسلوب السردي المباشر على اختصار الأفكار وتكثيف العناوين والاستفادة القصوى من مدلولات الصور وإمكانات الطباعة الحديثة.

إدارة تخترق الحدود

هشام مريزيق- الأردن



أدت الإدارة وما زالت دورًا ماثلاً في إحياء الحس الفردي والجمعي لدى العنصر البشري العامل، كما أثبتت وجودها بل إكسيرها الفاعل في تفعيل النشاط الحضاري، فأكسبته بريقًا حقق له تعلقا وتألقا في مدارج التطور للركب الحضاري العالمي.

ما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥، بخسارة اليابان وحليفتها ألمانيا، وتوقيعهما معاهدة الاستسلام والتي تخلت اليابان بموجبها عن الأنشطة العسكرية، حتى انكبت الدولة اليابانية وشعبها على العمل بجد ومثابرة في الميادين السلمية، وبفعل الجهود الجبارة والعقول المتفتحة والسياسات الناجحة التي طبقت هناك، فقد حدثت ثورات علمية وصناعية متلاحقة بلغت أوجها وذروتها في ثمانينيات القرن الماضي، ففرضت اسم اليابان في المحافل الدولية، وخرجت اليابان لتفاجئ العالم كقوة اقتصادية يحسب لها حسابها، متطورة في الكثير من المجالات، لا سيما الصناعية منها والتجارية، حيث اتبعت في هذه الميادين أسلوب إدارة وقيادة ناجحة ومتطورة أدى باليابانيين إلى الاهتمام بالعمل والإنتاج وتطوير مهاراتهم ومقدرتهم، ليثبتوا للجميع وبخاصة الأمريكيين بأن أحداث (هيروشيما وناكازاكي) لم تقسم ظهورهم ولا ظهر بعيرهم، بل زادتهم إصرارًا على النجاح والتطور.

لقد دفع هذا التقدم الذي حققته اليابان- فخرجت من محنتها نحو القمة- العديد من الباحثين والإداريين إلى دراسة الأساليب الإدارية المتبعة في المؤسسات والمنظمات المختلفة، وقد برز من بين هؤلاء- وهو موضوع البحث- وليم أوتشي الذي أعد نظرية إدارية استنادًا إلى دراساته وتحليلاته أطلق عليها (نظرية Z)، أكد فيها على الاهتمامات الإنسانية للأفراد في المنظمات.

إن شهرة نظرية الإدارة اليابانية وتفوقها على كثير من الإدارات في العالم، تعزى إلى أسباب: منها مقدرة اليابانيين على إيجاد نوع من الإدارة يتواءم مع ثقافتهم وعاداتهم وقيمهم، فقد أسهم النظام التربوي والتعليمي الياباني في إيجاد أفراد مبدعين وواثقين، بمقدورهم تعويض وطنهم عن شح الموارد الطبيعية التي تعانيها وذلك بالتفكير والإبداع والعمل بلا كلل أو ملل.

وقد جمع اليابانيون بين مبادئ نظرية الإدارة العلمية لـ(تايلور) ونظرية العلاقات الإنسانية آخذين من كليهما ما يناسب المجتمع الياباني، إضافة إلى تعديل ما يلزم تعديله ليخدم بيئة العمل، وبشكل أكثر تحديدًا فإن فلسفة الإدارة اليابانية تقوم على أخذ كل ما هو مفيد للعمل وللمؤسسة وكذلك الأفراد، فمثلاً تستند الإدارة اليابانية إلى نظرية الإدارة العلمية في اعتمادها الجدارة كأساس للتعيين، والقيام بعمليات التدريب والتأهيل المستمر، وتقديم المكافآت للأفراد المنتجين... إضافة إلى اعتمادها على نظرية العلاقات الإنسانية في اعتماد الأسلوب التشاركي في اتخاذ القرارات، وإيجاد بيئة عمل عائلية، والمحافظة على استقرار الأفراد العاملين...

المجتمع الياباني

اهتم النظام التربوي في اليابان بتربية الطفل الياباني على الأخلاق والقيم والتقاليد الحسنة، لإخراج فرد يتمتع بالصلاح وروح المواطنة والدأب على خدمة مجتمعه ووطنه، وكان ذلك بخطط وسياسات محكمة اتخذتها الدولة اليابانية مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، لتتمكن من منافسة دول العالم بل والتقدم عليها في شتى المجالات لا سيما الاقتصادية منها.

وينشأ الفرد الياباني في أسرته الصغيرة في جو مفعم بالحنان والعطف والتعاضد بين أفراد الأسرة الواحدة، وتنعكس هذه التربية المسالمة على حياة الفرد في المجتمع الأكبر سواء في تعاملاته اليومية أو في عمله، فيطبق نتاج

التربية الصحيحة التي تلقاها كالآخرين، في معترك الحياة لينتج في نهاية الأمر تعاطفًا وتوادًا وتكافلاً بين أفراد المجتمع ككل، وبين زملاء العمل والمهنة على وجه الخصوص، فكل فرد بتصرفاته واتجاهه يعتبر انعكاسًا للأسرة التي نشأ فيها.

ولا يخفى على أي باحث في شؤون المجتمع الياباني ما تتضمنه العادات والتقاليد اليابانية من تأكيد وحض على اتباع الأسلوب التشاركي في أي عمل، ومعاونة الأفراد بعضهم بعضًا لتطوير العمل أو المنظمة، لذا فإن الفرد الياباني يفكر في كيفية إنجاز المهام المطلوبة منه، فهو مقتنع بأنه مكلف بأمر ما عليه إنجازه، بغض النظر عن خدمة هذه المهمة لمصالحه الشخصية، وبشمول هذا الفكر لكافة أفراد المجتمع الياباني أدى بالمحصلة إلى سيادة اليابان في كافة المحافل العالمية، وتصدرها قائمة الدول المتقدمة في العالم.

بيئة العمال اليابانية

بمجرد التحاق المواطن الياباني بعمله عند بداية حياته العملية- في ظل غياب ظاهرة البطالة- تنهال عليه عبارات الترحيب والاستقبال من زملائه في المؤسسة، الأمر الذي يشعره بالاطمئنان ويعطيه انطباعًا أوليًا حسنًا، يشجعه على الانخراط في عضوية هذه المؤسسة باعتبارها بيته الثاني، ينتمي إليها ويعيش مع رفاقه الخبرات السارة وغير السارة في ظل جو يسوده التفاهم والتعاضد بين الأفراد، وكأنهم عائلة واحدة، كما لو كانوا أسرة من النحل! وتستمر علاقة العمل هذه ما دام العامل قادرًا على العمل، فالإدارة اليابانية تضمن الاستخدام المستمر طيلة الحياة لجميع العاملين، بالإضافة إلى تقديم امتيازات وتسهيلات أخرى تتعلق بالإسكان والترفيه وغيرها.

ومن ناحية أخرى فإن جميع إدارات المؤسسات في اليابان تعتمد أسلوب الترفيع حسب الأقدمية في العمل، الأمر الذي يشجع الأفراد على الانخراط في العمل بمؤسساتهم وعدم التفكير بالانتقال إلى أماكن أخرى طلبًا للترقية، لأن الترقية تكون بناء على أقدمية العمل في المؤسسة نفسها وبغض النظر عن السن والخبرة.

مميزات الإدارة اليابانية:

- اتخاذ القرار بصورة جماعية

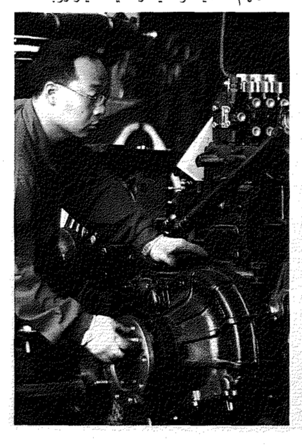
تتميز المنظمات اليابانية عن غيرها بدراسة أي مشروع مسبقًا دراسة وافية ومستفيضة يشترك فيها جميع العاملين في المنظمة فيدرسون جميع الاحتمالات ويتنبؤون بما سيحدث في طرق تنفيذ المشروع فتصبح عملية التنفيذ أكثر يسرًا وسهولة، ويتم القضاء على أية مشكلة بسرعة، لأنها ستكون قد طرحت أثناء دراسة المشروع ووضعت لها بدائل كثيرة لحلها، ولا يهتم اليابانيون بالوقت المستغرق في دراسة أي مشروع قبل البدء فيه، وذلك لتيقنهم أن هذا يصب في مصلحة العمل والمؤسسة، وبناء على ذلك يتم جميع الآراء واستشارة الجميع قبل أن يبت في أي موضوع في المؤسسة اليابانية.

- التعليم والتدريب المستمران

حيث تقدم الإدارة اليابانية التعليم والتدريب لكافة الأفراد من عاملين ومديرين وبقية المستويات- كل حسب عمله- وطيلة فترة خدمتهم، الأمر الذي يؤدي إلى احتراف الموظف في عمله مما ينجم عنه زيادة الإنتاج وتحسين نوعية المنتجات.

- الإدارة الأبوية

يتقدم العامل الياباني في وظيفته حسب سنوات عمله في المؤسسة حتى يصل إلى المستويات الإدارية في سن متقدم نوعًا ما، وتتصف معاملاته مع الموظفين بالأبوية، ويعاملهم كما يعامل أبناءه إلى درجة أنه يساهم في حل مشكلاتهم العائلية، وقد يشارك في اختيار زوجة لأحد



العاملين.

- **التوظيف مدى الحياة**

وقد سبق الإشارة إليه، ولكن يكفي القول هنا إن الإدارة اليابانية تضمن للعاملين الذكور دون الإناث التوظيف مدى الحياة، إضافة إلى تضاعف الرواتب الشهرية كل (١٥ سنة)، كما يمنح الموظف الياباني ثلثي راتبه إذا ما رغب في إكمال مسيرته بعد وصوله سن التقاعد وهو سن الخامسة والخمسين.

نظرية Z (وليام أوتشي William Ouchi)

مع التباين الواضح بين النظرية اليابانية في الإدارة، ونظيرتها الأمريكية، حيث تقوم الأولى على ضرورة غرس القيم الإنسانية للتنظيم في نفوس العاملين، وإقامة علاقات تعاونية وغير رسمية بينهم لزيادة التنسيق والتشاور غير الرسمي ومناقشة الموضوعات والقرارات بين الإدارة والعاملين، والتأكيد على العمل وتحمل المسؤولية بشكل جماعي، في حين تركز النظرية الأمريكية على الفردية وتربط بين الأداء والمكافآت وفق تنظيم هيكلي بيروقراطي محكم يتميز بأسلوب فردي في اتخاذ القرارات ينعدم فيه التشاور أو العمل الجماعي، كما يلاحظ في المنظمات الأمريكية حركات انتقال سريعة للموظفين من مؤسسة إلى أخرى سعيًا لأوضاع أفضل وترقيات وظيفية.

رغم ذلك استطاع (وليام أوتشي) الياباني الأصل، تطويع النظرية اليابانية لتتعامل مع البيئة الأمريكية الأقل تجانسًا والأكثر تنوعًا من البيئة اليابانية التي تستثني النساء والأقليات العرقية من العمل، فقد أسهم (أوتشي) في نظريته هذه بالمطابقة بين الأسلوب الإداري المتبع في المؤسسات الأمريكية، وأسلوب المؤسسات اليابانية، وميز فيها الممارسات الإدارية في نموذج الإدارة الياباني والذي أطلق عليه نموذج (نظرية Z) في الإدارة، ولعل ما يميز هذا النموذج هو تركيزه على الأفراد وعلى البيئة التي يعملون فيها، فهو يعتبر الأفراد عناصر مركزية هامة ولهم دور رئيس ونشيط في اتخاذ القرارات، كما ينظر إلى التوظيف كالتزام متبادل طويل المدى حيث يراعى في ذلك الحالة الاجتماعية والاقتصادية للعاملين.

إن القصد من وراء هذه النظرية هو تطوير إحساس الملكية لدى الأفراد في المؤسسة والانتماء إليها، مما سيزيد من إخلاصهم لأهداف المنظمة، الأمر الذي سيجعل منهم مساهمين بشكل أكثر في الإنتاج العام، فلتطوير إحساس الملكية المؤسسية، يستلزم لذلك أن يشعر الأفراد بأنهم جزء من العمل وطرف يحسب حسابه في اتخاذ القرارات، لذا على المؤسسات أن تتبنى الأسلوب التشاركي في اتخاذ القرارات، بحيث يتأثر كل فرد عامل بالمؤسسة، ويمتلك فرصة للتأثير فيها وفي القرارات المتخذة.

ومن الأمثلة على الشركات الأمريكية الناجحة التي استخدمت نظرية Z كأسلوب للإدارة، (هيولت باكارد، بروكتير آند جامبل، ايستمان كوداك).

محاور نظرية Z

تقوم نظرية Z على عدة محاور هي:

- أن تتم عملية تقييم الموظفين مرة أو مرتين سنويًا، وفق مقاييس رسمية واضحة وضمنية.
- التركيز على الأداء أكثر منه على العلاقات غير الرسمية.
- أن يتناسب الشكل التنظيمي مع الظروف المتغيرة والتكنولوجيا المعقدة (التنظيم الادهوقراطي).
- التقليل من المستويات الإدارية وأن تتصف بدرجة أقل من الرسمية.
- تفعيل أسلوب العمل الجماعي لضمان الولاء التنظيمي على المدى الطويل.
- أن يتم التوظيف لمدة طويلة، أما الترقيات فبشكل بطيء.
- اتخاذ القرارات بطريقة جماعية، أما تحمل المسؤولية فيكون بشكل فردي.
- الاهتمام الشامل بالموظفين ورفاهيتهم.

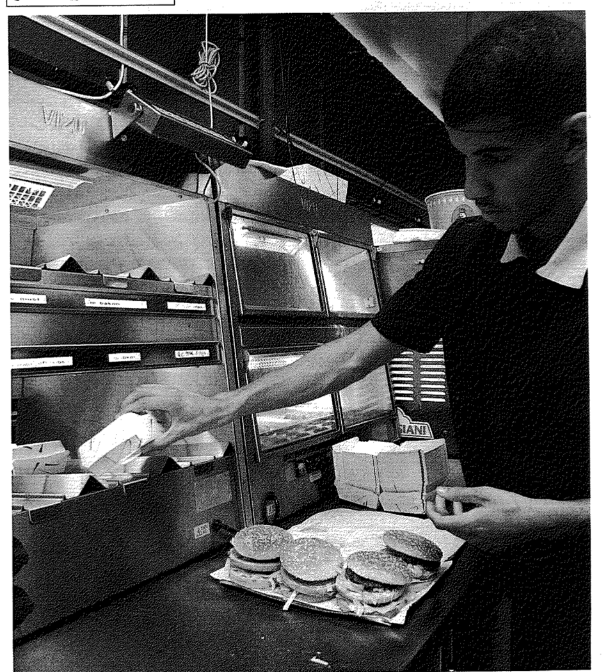
لقد استفاد اليابانيون من التجربة الإنسانية للإدارة، بعد أن أحيوا تلك الروح الجمعية منطلقين من الفرد، جامعين بين الإيقاعين معًا في بوتقة واحدة، رسمت خارطة النشاط الياباني المتميز عبر فسيفسائية ما زالت محط أنظار العالم. ■

المراجع:
- محمد القريوتي، السلوك التنظيمي، (رام الله، دار الشرق، ٢٠٠٠).
- هاني عبدالرحمن، الإدارة التربوية والسلوك التنظيمي، (عمان، دار وائل، ١٩٩٧).
- محمد القريوتي، مبادئ الإدارة: النظريات، العمليات، الوظائف، (عمان، دار وائل، ٢٠٠٤).
- مهدي زويلف، الإدارة: نظريات ومبادئ (عمان، دار الفكر، ط١، ٢٠٠١).
- مجلة المعلم، العدد ٤٩، أيلول ٢٠٠٠.

سبب للأمراض الصحية والاجتماعية..

ثقافة الـ «تيك أواي»

منى السعيد الشريف- مصر



لا شك أن تناول الوجبات السريعة من الأمور التي استحدثت في النظام الغذائي العربي، وذلك ضمن حمى العولمة التي أصابت العالم. وعلى الرغم من أن الثقافة الأمريكية تدعي أنها ثقافة الجسد الوظيفي الذي يتسم بالنحافة والرشاقة والقوة بسبب ركام المكملات الغذائية الدوائية التي أفرطت الحضارة الأمريكية في إنتاجها... فإن هذه الوجبات تحوي معدلات عالية من السعرات الحرارية وخاوية من العناصر المغذية، وتنطوي على الكثير من الأضرار الصحية بالغة الخطورة، مما جعلها تلعب دورًا أساسيًا في أمراض هذا العصر، كما أنها سبب جوهري في فتور العلاقات الاجتماعية والتباعد الأسري بعد أن كان الطعام هو الذي يجمع أفراد كل الأسرة ثلاث مرات يوميًا على الأقل!

إن تناول الأطفال لهذا النوع من الوجبات بما تحتويه من كميات كبيرة من الدهون، ومكسبات الطعم تؤثر على كيمياء المخ، وتسلبهم الإرادة في التوقف عن تناول هذه الوجبات مثلما يحدث مع المدخنين.

وقد أظهرت الأبحاث أن كثرة تناول الوجبات السريعة تعمل على تنشيط الجين الخاص بالسمنة بصورة مرضية.

تنبهت إلى هذا الخطر أكثر من ٢٠ ولاية أمريكية، ومنعت طلاب المدارس من تناول هذه الوجبات لوجود علاقة بينها وبين الإصابة بالأنيميا وفقر الدم وارتفاع نسبة الكوليسترول، بجانب وجود علاقة بين المشروبات المرفقة مع هذه الوجبات التي تحتوي على الصودا، وبين الإصابة بهشاشة العظام وعسر الهضم.

ولا شك أن السمنة تعتبر من أخطر الأمراض التي تهدد صحة الإنسان، وهي تعتبر أول الأعراض الناتجة عن تناول مثل هذه الوجبات السريعة، خاصة عند الأطفال، فقد ذكرت دراسة حديثة أجراها العلماء البريطانيون أن الأطفال في بريطانيا أكثر عرضة للأمراض الخطيرة الناتجة من تناول الوجبات السريعة، أوضحت الدراسة أن ١٠٪ من الأطفال مصابون بالسمنة، بينما يعاني ٢٠٪ من الوزن الزائد، مع زيادة حالات الوفيات بين الأطفال. وتقول «جين واردل» أستاذة علم النفس الإكلينيكي بجامعة لندن: منذ ٣٠ عامًا فقط كانت البدانة شيئًا نادرًا بين الأطفال، لم نكن نسمع عن البدانة المفرطة والزائدة... إنني أعتقد بوجود شيء ما غريب لدى هؤلاء الأطفال، وأعتقد أنهم يعانون حساسية في علاقتهم

بالأطعمة أو أجهزة تخزين الدهون... وتضيف «جين» قائلة: «إن الناس يعرفون أن البدانة مرتبطة بأمراض القلب والسكتة الدماغية، لكنه خلال الآونة الأخيرة تكشفت لدينا نتائج مذهلة تربط بين السمنة والإصابة بالسرطان».

وقد أظهرت دراسة أمريكية أن تناول الوجبات السريعة يزيد درجة قصر النظر بالمقارنة بتناول



الوجبات الغذائية الغنية بالبروتين، وقد أكد الباحثون أن زيادة الأطعمة النشوية في مراحل الطفولة والشباب قد يكون وراء زيادة معدلات الإصابة بقصر النظر.

أيضًا كشف بحث جديد نشرته مجلة «الصدر Thorax» البريطانية عن أن هناك علاقة بين زيادة تناول الأطفال الوجبات السريعة التي انتشرت مؤخرًا، وكذلك الأطعمة المغلفة مثل البطاطس (الشيبس)، وإهمالهم تناول الفواكه والخضراوات، وزيادة أعراض مرض الربو الشعبي لديهم، بسبب عدم احتواء هذه الوجبات السريعة على مضادات الأكسدة التي تفيد الجسم، والتي توجد في الألبان والأغذية الطازجة كالفاكهة والخضراوات. وقد ثبت من خلال البحث الذي قاده البروفيسور «أنتوني سيتون»- الأستاذ بقسم طب البيئة والمجتمع بجامعة «أباردين» زيادة نسبة التعرض لأزمات الربو الشعبي في الأطفال الذين يتناولون الأطعمة والوجبات السريعة، ويخلو طعامهم من مضادات الأكسدة (التي توجد في الألبان والخضراوات) والأطعمة التي تحتوي على فيتامين «هـ» والكالسيوم والمغنيسيوم والصوديوم والفوسفات، وقد تسبب ذلك في زيادة نسبة الإصابة بالربو ثلاثة أضعاف عن الأطفال الذين يعيشون في بيئة الريف ويتناولون الخضراوات والألبان.

وأوضحت باحثة أمريكية أن تناول السكريات والأطعمة السريعة والدهون بكثرة يغير سلوك الأطفال، وأن الوجبات السريعة تدفع إلى خمول العقل وكسله وإلى ترهل الجسم! كما ذكرت مجلة «نيو ساينتيست new scientist» مؤخرًا أن ما يحصل عليه الجسم من الدهون الموجودة بكثرة في الساندويتشات السريعة ووجبات الشوارع يسبب أضرارًا بالغة بالمخ، ويؤذي قدرة الذاكرة، لأن هذا الغذاء يمنع وصول الجلوكوز إلى المخ بكمية كافية.

ويكمن الحل الجذري لمشكلة بدانة الأطفال في رأي هؤلاء الخبراء فيما يصفونه بتعديل وتغيير البيئة التي نعيش فيها أو إعادة عقارب الساعة إلى الوراء لعشرات السنين فيما يتعلق

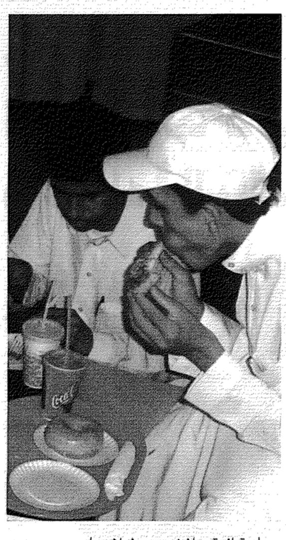
بالغذاء. فاليوم يتم إعداد أغذية غنية بالطاقة والدهون للأطفال، والبدانة تحدث عند الأطفال بسبب هذه الدهون لأنهم يكتسبون طاقة أكثر مما يستهلكون.

هذا فضلاً عن أن ظاهرة الوجبات السريعة تمثل أحد مظاهر التغريب التي غزت أمتنا، والتي أفقدتنا حس التماسك الاجتماعي، والدفء الأسري. فلقد نشأت ثقافة الـ«تيك أوي» هذه لتلبي حاجة اجتماعية طارئة على المجتمع الغربي، الذي تهيمن فيه المادة لدرجة أن من لا يلتزم فيه بمواعيد الطعام يمكن أن تضيع عليه أجرة عمله في ذلك اليوم، بل ومن لا يلتزم بالمواعيد عمومًا فإن هذا يؤدي إلى تعقيد حياته وإصابتها بالركود والشلل. ولا شك في أن هذا النظام والالتزام في المواعيد من الآداب الحميدة التي حث عليها الإسلام، وأمرنا بها باعتبارها ضمن الوفاء بالعهود، لكن إن كنا نحن المسلمين ننظر إليها هكذا، فإن المجتمعات الغربية لم تعتبرها أدبًا في الحياة، بل عبئًا أخلاقيًا.

لقد أسهمت ضغوط الحياة المادية في الغرب في إنتاج ثقافة الـ«تيك أوي» لتساعد الناس على انتهاز الوقت واستغلاله. وبدلاً من قيام الرجل بتناول الإفطار والغداء والعشاء في بيته، وسط أهله، بين أمه وأبيه، أو مع زوجه، أو وسط بنيه، صار يتناول أي طعام يحصل عليه من الطريق أو من جانب عمله أو من أي مكان.

إن ثقافة الـ«تيك أوي» هذه قد أدت إلى تقليص الفترة التي يجلس فيها الآباء مع الأبناء. ففي السابق كان الأب يتناول فطوره بالمنزل مع أهل بيته، وكان البيت يرسل لمن في الخارج طعامه، وفي منتصف النهار يقيل في بيته متبعًا إياه بتناول وجبة الغداء مع أهله، ثم تكون وجبة المساء التي تكاد تجمع الجميع في دفء عائلي.

وخلال هذه الجلسات كان الأهل يتواصلون، فينقلون القيم الاجتماعية التي يريد المجتمع الحفاظ عليها بين أفراده، فيستمع الأب أو الأم إلى مشكلات الأبناء ويوجهونها، ثم يسمعون الاعتراضات ويردون عليها، ثم يعرفون موطن الخلل الذي لم تعالجه الجلسة فيسعون إلى زيادة



مساحة الوقت المخصص لعلاجها.

أما اليوم فسهر الأبناء طويل أيام الإجازات أمام شاشات التلفزة والإنترنت يعقبه نوم ثقيل حتى الظهيرة. وفي الأيام الاعتيادية يكون صحوهم متعجلاً بغرض الذهاب إلى مدارسهم، ويكون المحظوظ منهم من عملت له أمه وجبة محملة بمحبتها وحنانها.

وفي وقت الغداء يلهو الأبناء مع الرفاق أو في المدرسة أو النادي غير ملتزمين بموعد يجمع الأسرة كلها معًا. أما في المساء فتجد الأولاد خارج البيت يتناولون طعام الـ«تيك أوي» بينما الأم والأب في المنزل وحدهما (إن جمعهما عشاء)!

وهكذا ضاعت من بيوتنا قيمة غالية حيث انفرط عقد جلسة تجمع الأسرة ثلاث مرات يوميًا... تلك هي عواقب ثقافة الـ«تيك أوي» التي تقودنا إلى ضرر بدني واجتماعي لا يعلم مداه إلا الله تعالى وحده.■

وحدة المتابعة النسائية في إدارة التعليم بمنطقة الرياض تؤكد أن..

المعلمات لا يلتزمن بالدوام الرسمي !

وفاء عبدالعزيز العساف - الرياض



يشكل عدم انتظام المعلمات بالدوام الرسمي إحدى المشكلات الملحة التي يعانيها التعليم في المملكة العربية السعودية، والغياب في مجال العمل التعليمي ليس كغياب العاملين في غيره من المجالات، كما أن غياب المعلمة أكثر خطورة وتأثيرًا من غياب من سواها من العناصر البشرية الأخرى في العملية التعليمية باعتبارها أهم هذه العناصر وتنتشر ظاهرة عدم انتظام المعلمات بالدوام الرسمي في مدارس التعليم العام بمنطقة الرياض بشكل لافت ويبلغ إجمالي عدد المعلمات في منطقة الرياض ٣٣٩٣٣ معلمة!

تؤكد وحدة المتابعة النسائية في إدارة تعليم البنات بمنطقة الرياض وجود هذه المشكلة في الميدان التربوي، حيث أظهر التقرير السنوي للوحدة في العام الدراسي ١٤٢٤/١٤٢٥هـ أن عدد الموظفات المتغيبات بدون عذر ٨٢٥ موظفة، كما بلغ عدد الموظفات المتغيبات بعذر ٧٦٠ موظفة. وتنتشر هذه المشكلات بشكل خاص لدى المعلمات حيث أظهر الاطلاع على أعمال مركز التحقيق في الوحدة خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٢٤/١٤٢٥هـ أن المخالفات (الغياب بدون عذر لدى المعلمات) احتلت مركز الصدارة في المخالفات المحالة إلى مركز التحقيق، الأمر الذي دعى الوحدة ممثلة في مركز الدراسات والبحوث إلى دراسة هذه المشكلة واقتراح بعض الحلول الوقائية والعلاجية المناسبة التي تسهم في القضاء عليها.

كما تؤكد وحدة المتابعة النسائية في إدارة التعليم بمنطقة الرياض وجود مشكلة التأخير، حيث كشفت الجولات الرقابية التي تقوم بها وفقًا للتقرير السنوي للوحدة للعام الدراسي ١٤٢٤/١٤٢٥هـ أن عدد الموظفات المتأخرات بلغ ١٤٢٢ موظفة.

تصنيف العوامل

إن واقع هذه المشكلة يتطلب تناولها بشكل يتعدى مجرد إيقاع الجزاءات والعقوبات كحل جزئي إلى تفهم العوامل والأسباب التي تؤدي إليها، ويمكن تصنيف تلك العوامل كما يلي:

- عوامل شخصية (خاصة بالمعلمة) ومنها: مرض المعلمة أو أحد أفراد أسرتها الأمر الذي يستدعي ملازمتها له، مشكلات المعلمة الأسرية، عدم شعور المعلمة بالمسؤولية تجاه مهنتها، سعة دائرة العلاقات العائلية للمعلمة، طول فترة البث التلفزيوني ليلاً وكثرة البرامج التي تقدمها الفضائيات، عدم توفر وسائل المواصلات بين المنزل والمدرسة، وتزداد صعوبة هذه المشكلة في حالة بعد المدرسة عن سكن المعلمة، ضعف الوازع الديني وعدم الإيمان بالتعليم كرسالة.

- عوامل مؤسسية (خاصة بالعمل): زيادة عدد ساعات النصاب التدريسي للمعلمة، العبء التدريسي الذي يتجاوز نصاب المعلمة من الحصص إلى الأعباء الأخرى التي تكلف بها المعلمة، ملل المعلمة من مهنة التدريس، توزيع العمل بشكل غير عادل بين المعلمات، ضغوط المشرفة التربوية على المعلمة، ضعف المردود المالي من مهنة التدريس (ورغم ارتفاع سلم الرواتب الوظائف التعليمية إلا أن تقادم عهده مع ما صاحب مدة تنفيذه حتى الوقت الحاضر من تغيرات اقتصادية واجتماعية جعل عامل ضعف المردود المالي لمهنة التدريس أحد العوامل المؤدية إلى عدم التزام المعلمة بالعمل وبأوقات الدوام الرسمي) ضعف الحوافز التي تقدم للمعلمة سواء كانت مادية أو غير

مادية، ضعف المكانة الاجتماعية لمهنة التدريس مما يؤدي لعدم إشباع مهنة التدريس لحاجات المعلمات المعنوية كالتقدير، وتحقيق الذات، ضعف الإجراءات العقابية المترتبة على عدم التزام المعلمة بالعمل وبأوقات الدوام الرسمي، غياب المناخ النفسي الملائم في المدرسة سواء كان ذلك بسبب ظروف العمل أو شخصية مديرة المدرسة أو العلاقات مع الزميلات أو مشكلات الطالبات، ضعف القدرات القيادية والإدارية لمديرة المدرسة وعدم قدرتها على الإقناع والتأثير الإيجابي في المعلمات والتركيز في الاهتمام بالمعلمات في نطاق الواجبات الرسمية دون الاهتمام بالأبعاد الإنسانية.

عقوبات تأديبية

يؤثر عدم الانتظام سلبًا على المعلمة نفسها، فهو يعرضها للعقوبات التأديبية المعنوية والمادية مما يؤدي إلى انخفاض روحها المعنوية وقلة اهتمامها بالعمل التعليمي.

وتتمثل أضرار عدم الانتظام المتعلقة بالمدرسة أو العملية التعليمية في اضطراب سير العمل المدرسي في جوانبه الصفية واللاصفية، وبالتالي تدهور مخرجات العمل المدرسي نتيجة لعدم الاستغلال المناسب للوقت والجهد والمال المخصص للعمل الدراسي والتعليمي. كما أن الغياب يضر بعلاقات المعلمة (المتغيبة) بزميلاتها المعلمات وإدارة المدرسة نتيجة للأعباء التي تترتب على غيابها والأعمال التي يتحملونها نيابة عنها. يضاف إلى ذلك أن المعلمة المتغيبة قد تُكسب تلميذاتها اتجاهات سلبية نحو العمل أو تنقل عدوى عدم الانتظام إلى زميلاتها المعلمات، خاصة إذا لم تكن الإدارة حازمة في مواجهة هذه المشكلة.

كما تنعكس الآثار السلبية لهذه المشكلة على المجتمع، وذلك من خلال إضعاف الكفاية الإنتاجية للتعليم والتقليل من الفوائد النهائية التي يحصل عليها المجتمع من استثماراته في قطاع التعليم وبالتالي الإضرار بنمو المجتمع وتطوره.

وانتشار هذه المشكلة يتنافى مع أخلاقيات المجتمع وذلك من خلال إضعاف الكفاية الإنتاجية للتعليم والتقليل من الفوائد النهائية التي يحصل عليها المجتمع من استثماراته في قطاع التعليم وبالتالي الإضرار بنمو المجتمع وتطوره.

وانتشار هذه المشكلة يتنافى مع أخلاقيات الموظف المسلم التي تقتضي من الموظف أداء العمل بدقة وإخلاص. فطبيعة العلاقات بين الموظف والدولة هي علاقة تعاقدية، وبناء على هذه العلاقة واستنادًا إلى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)، فإنه يترتب على الموظف أن يؤدي العمل بأقصى الإمكانات المتوفرة لديه وفاءً بهذا العقد. كما يجب أن يكون الأداء مستوفيًا لجميع الشروط الفنية استنادًا لقوله تعالى: (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في

الأرض مفسدين). فالأداء يستدعي الإنجاز بأقصى درجات الاستطاعة مع استشعار المسؤولية أمام الله في ذلك.

تقليص الأسباب

إن التزام الموظف بأخلاقيات الوظيفة ليس رهنًا بعامل واحد (وهو الموظف) بل هو نتاج للتفاعل الحي بين عدد من المصادر التي تحدد أخلاقيات الوظيفة وهي: الذات، الأسرة، المؤسسات التعليمية، المجتمع، القيادة والقدوة، تشريعات الخدمة المدنية. لذا فإن التغلب على هذه المشكلة (عدم الانتظام بالدوام الرسمي) لا يتوقف على الموظفة فقط بل يتطلب تضافر وتكامل جهود العديد من الجهات والمؤسسات الحكومية لمحاولة تقليص الأسباب والعوامل المؤدية إلى هذه المشكلات، ومنها:

- وزارة الخدمة المدنية، وذلك بالمساهمة في فتح المجال للعمل بالنظام الجزئي (نصف ساعات العمل مقابل نصف الراتب) للمعلمات اللواتي لديهن ظروف أسرية قاهرة، وطرح فكرة تقليل سنوات الخدمة في التقاعد المبكر من ٢٠ سنة إلى ١٥ سنة ودراستها بشكل جدي باعتبارها تحل كثيرًا من الإشكالات التي تواجهها المعلمات والعمل على إعادة النظر في بنود اللائحة المنظمة لإجازة الأمومة وتحديثها بما يتناسب وظروف المعلمة.

- وزارة التربية والتعليم، وذلك من خلال توزيع نشرة تلخص الإجراءات أو المواد التي يتم بموجبها محاسبة المعلمات غير المنتظمات بالدوام الرسمي حسب تدرجها في مواد لائحة تأديب الموظفين وتوقيع كل معلمة باستلامها والعلم بمضمونها والعمل على نشرها في الجريدة الرسمية للدولة، التنسيق مع وسائل الإعلام للعمل على توعية المجتمع بأهمية دور المعلمات في إعداد الأجيال، وتعزيز مكانتهن الاجتماعية وربط مهنة التعليم بالتوجهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدول بما يتناسب مع مقتضيات العصر ويخدم المصالح الوطنية، إعداد برامج ثقافية وتنظيم محاضرات توعوية خاصة بأخلاقيات مهنة التعليم، مع إشراك الأجهزة ذات العلاقة في هذه البرامج (كمعهد الإدارة العامة، الفرع النسوي لوزارة الخدمة المدنية) العمل على إصدار وثيقة لأخلاقيات مهنة التعليم تركز على دفع المعلمات إلى ممارسة قيم المهنة بشكل يتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي ويراعي ثقافة المجتمع، العمل على تشجيع المعلمات المنتظمات بالدوام بكافة السبل الممكنة إلى ذلك (مثل: منح حوافز مادية، توجيه خطابات شكر وتقدير للمعلمات اللواتي لم يحصلن على مكافآت مادية)، نشر أسماء المعلمات المنتظمات بالدوام في وسائل الإعلام (الصحف والمجلات والنشرات التي تصدر عن وزارة التربية والتعليم، إعداد لوحات شرف للمعلمات المنتظمات بالدوام في جميع الدوائر الحكومية النسوية)، بحث السبل الممكنة لتخفيف العبء الدراسي ممثلاً بالنصاب والأعباء غير التدريسية الملقاة على عاتق المعلمة، التعاون بين وزارة التربية والتعليم ومؤسسات النقل العام لتأمين وسائل نقل المعلمات من وإلى مدارسهن مقابل رسوم محددة تدفعها المعلمة، التنسيق بين وزارة التربية والتعليم وإدارات المدارس لإيجاد حضانة مجهزة بكافة التجهيزات اللازمة لرعاية أبناء المعلمات بحيث تلحق بكل مدرسة مع وضع الضوابط والإجراءات المنظمة لذلك، الاعتماد على آلية جديدة مختلفة في اختيار المعلمات تعتمد على متابعة المعلمات في سنة التجربة (السنة الأولى) على أن يكون القرار النهائي في استمرار المعلمة في مهنة التعليم مبنيًا على مستوى أداء المعلمة في هذه السنة.

- مكاتب الإشراف التربوي، وذلك من خلال الحرص على: ضرورة الاهتمام باختيار القيادات التربوية الناجحة للمدارس والتركيز في وضع ضوابط ومعايير الاختيار على مهاراتهن القيادية وقدرتهن على حل المشكلات لما له من أثر هام في تهيئة المناخ التربوي الملائم الذي يشجع المعلمات على أداء واجباتهن، متابعة مديرات المدارس للتأكد من تنسيقهن للجدول المدرسي بشكل مرن يسمح لكل معلمة بأن تحظى باستمرار بنصيب من الحصص (الأولى أو الرابعة أو الأخيرة) والتأكيد على مديرات المدارس بضرورة تحقيق العدالة والمساواة في توزيع العمل بين المعلمات، وتنمية الثقة والصراحة بين مديرات المدارس والمعلمات والحرص على تفهم ظروف أي مشكلة تعانيها المعلمة وإيجاد الحلول المناسبة التي تراعي ظروفها دون الإخلال بمصلحة العمل.■

- أحب التلفاز أكثر من ماما !
- بيرق النور
- القبعة الزرقاء

سبورة

تعقيبًا على «تتحكم به أم يتحكم بك؟!»

أحب التلفاز أكثر من ماما !

ماجد جعفر الغامدي- الرياض

اطلعت على العدد ١٤٤ ربيع الأول ١٤٢٨هـ فوجدته ثريًا وشدّني موضوع قرأته (ص١٢٨-١٣٣) في باب «آفاق» عن التلفاز تحت عنوان: «تتحكم به أم يتحكم بك؟!». بعدها أعملت ذهني وفكري في خطر التلفاز على الأطفال من الناحية التربوية في كونه سوف يسحب البساط من تحت أقدام الأمهات!

إذا تخرج الشاب في المرحلة الثانوية وفي الثامنة عشرة من عمره يكون قد أمضى أمام الشاشة الصغيرة قرابة ٢٢ ألف ساعة.. بمعنى أنه يجلس أمام التلفاز أكثر من ألف ساعة في السنة الواحدة، في حين أنه يكون قد قضى أقل من هذا الوقت في مقاعد الدراسة وهو ١٤ ألف ساعة.

هذه الأرقام لها مدلولات واسعة وتحتاج إلى تأمل لأنها تتحدث عن الابن العادي وليس الابن المدمن لمشاهدة التلفاز. ومن هنا ينبثق سؤال آخر: كم من الوقت يكون قد جلس الابن المسكين مع أمه الحنونة؟ وأيهما أكثر جاذبية الأم أم التلفاز؟ وعذرًا على هذه المقارنة، ولكن الواقع يجبرنا على التحدث بمثل هذه الصراحة.



آفاق

٢٥٪ من الأمريكيين يفضلون التلفزيون على مليون دولار

تتحكم به أم يتحكم بك؟!

إن ٨٠٪ من المراهقين يعتبرون الشاشة الصغيرة المصدر الأول لديهم لاكتساب المعرفة والخبرات وأنماط التفكير. وأحد أنماط التفكير الدقيقة (التي تعلمها أبناؤنا من مشاهدة التلفاز) حب الانتصار دائمًا واستئثار الفوز لهم فقط. ولا عجب، لأن شخصية البطل الذي يتابعه ويحبه دائمًا منتصر، فالطفل لا يرضى بروح التعاون أو تقبل الإخفاق ولو في مواقف بسيطة، بل يريد أن يكون ناجحًا وفائزًا دائمًا وأبدًا مثل بطله المحبوب.

إن هذا الاعتماد على الشاشة بحيث تكون هي الصديق الحميم لأبنائنا لهو محل نظر كل أب حريص على أبنائه وبناته، خاصة إذا اطلع على الأرقام التي درست أطفال المجتمع السعودي، فعلى سبيل المثال:

- ٤٢٪ من الأطفال يشاهدون التلفاز لفترة تتراوح بين ساعة إلى ساعتين يوميًا.
- ٢٧٪ من الأطفال يتابعونه من ٣ إلى ٤ ساعات يوميًا.
- و١١٪ يتابعونه من ٥ إلى ٦ ساعات.
- و١٠٪ يبقون جالسين أمام الشاشة لفترة تصل إلى ٧ ساعات فأكثر يوميًا.

هكذا إذًا تأثير هذه الأجهزة على العقول الناشئة الجميلة بطراوتها وقابليتها لكل شيء.

ولا عجب أن نرى الطفل يحب الجلوس إليها دون الجلوس لأمه التي هي أقرب الناس إليه والمفترض أن تكون هي المربية والمعلمة له في جميع شؤون حياته، ولكن الواقع يحكي وبكل ألم أن الأم هي المربية لبطنه، والتلفاز هو المربي لعقله! ولو أخذنا مثالًا واحدًا في تعامل الأم مع ابنها لوجدناه كالتالي:

«ابني صالح جئت من المدرسة هيا اذهب وضع حقيبتك ثم تنظف.. صالح لعلك جائع تعال وتناول شيئًا من الطعام.. صالح انطلق وخذ قسطا من الراحة ونم قليلًا لترتاح.. صالح استيقظ فقد حان موعد المذاكرة

وحل الواجبات المدرسية.. صالح روّح عن نفسك والعب قليلاً أو شاهد فلمك الكرتوني المفضل.. صالح لا تنس أن تفرّش أسنانك قبل أن تنام..».

ونام المسكين صالح.. وتكرر المشهد الرتيب يوميًا. وأزعم وبكل أسف أن هذا حال الكثير من الأمهات مع أبنائهن. وهنا أقف لأتساءل من الأعماق: هل دور الأم مع الطفل هو تربية وتهذيب وتقويم للسلوك وتعليم وإكساب للعديد من المهارات والخبرات وتنمية لطرق التفكير وترسيخ للقيم وبناء تكاملي للشخصية، أم أن دورها هو أن يأكل ويعيش فقط؟! هل هناك فرق بين التربية والمعيشة؟ وأيهما الأولى من الآخر؟

عدد مهول من الساعات يقضيها أبناؤنا أمام الشاشات متسمرين لجاذبية حركات وأصوات وتفنن بلا حدود. الفيلم الكرتوني الذي لا يزيد عن دقائق معدودة لا يصل إليهم إلا بعد أن يمر بفريق متكامل بداية من صاحب الفكرة إلى المنتج وكاتب السناريو ثم صانع الشخصيات البطولية والرسام والمصور والمخرج والمسوق والموزع والمراجع والمدقق وصاحب الصوتيات والموسيقار ومقلدي الأصوات وممثليها.

ولذلك هنا تساؤل مهم: هل ستجابه الأم هذا الفن التلفزيوني الراقي الجذاب بكل صوره، البراق بتوهجه بأسلوب تربوي عادي أم سوف تستخدم الأساليب الحديثة في تربيتها لأبنائها؟ ■

سبورة

معالجة الأخطاء

د. عبدالله سافر الغامدي- جدة

لا شك أن حدوث الأخطاء سمة من سمات البشر، وطبيعة من طبائع النفوس، فكل بني آدم يخطئون، وجميعهم يقصرون ويغفلون، ولهذا لا نفرض العصمة في الأفراد، فنحاسبهم على ذلك، ولكن إذا ما وقعت أمامنا الأخطاء، أو سمعنا عن حدوثها، فينبغي معالجتها بأساليب صحيحة، وطرق قويمة، تبني ولا تهدم، تنفع ولا تضر، تصلح ولا تفسد.

ولكل خطأ حجم طبيعي، ينبغي أن نعرف أبعاده وأسبابه وآثاره، فعلينا أن نضعه في إطاره الصحيح، دون تهويل ولا تقليل، ولا تفخيم ولا تهميش. وتؤكد لنا التجارب والمواقف أن المعالج يحتاج إلى أن يكون هادئًا في تعامله مع الخطأ، لينًا في معاملته مع المخطئ، سمحًا في المعالجة، ذلك أن الهدف هو التصحيح، وليس المعاقبة، ولا الإهانة.

وحتى نعالج الخطأ علاجًا جذريًا، ينبغي اختيار الوقت المناسب، والمكان الملائم، والأسلوب المؤثر، الذي لا يغفل عنه لبيب، ولا يجهله عاقل حصيف، فالحذر من إصلاح خطأ يؤدي إلى خطأ أكبر، فإن أدى الإصلاح إلى مفسدة، فهو ليس إصلاحًا عندها، بل هو فساد يترتب عليه مضار أكبر. كما يجب أن يكون اهتمامنا في المقام الأول كسب الفرد المخطئ، ومراعاة نفسيته، فليس كل البشر أهلاً للمصارحة، أو تقبل النقد. فمنهم من يقبل، ومنهم من يقبل ظاهرًا، لكنه يضمر في نفسه خلاف ذلك، ومنهم من يدافع عن نفسه بالباطل، ومنهم من يغضب ويزمجر ويتضجر ولا يستجيب. ولهذا لا ينبغي التسرع في التخطئة، فربما يكون للمخطئ في نظر المصلح وجه فيما أقدم عليه، وربما صنع ذلك لمصلحة خافية. والمخطئ الجاهل غير المتعمد، غير الناسي، بل هناك فرق بين الذي يكرر الخطأ، وبين من وقع فيه لمرة واحدة. وعلى المصلح أن يزيل الغشاوة عن عيني المخطئ، الذي يرى أنه مصيب، فيوضح له الحقيقة، ويبين له الآثار، ويشير إلى النتائج حتى يستبين له الصواب.

ولابد أن نتذكر أن المخطئ قد يربط الخطأ بكرامته فيدافع عنها فيما صدر منه، وإذا تركنا للمخطئ مخرجًا سهل الرجوع إليه، وجعلنا له خيارات للعودة فلا نغلق عليه المخارج، وأن نحترم ما يبوح به، ويذب به عن نفسه، بل نلتمس له العذر فيما صدر منه.

كما يجب أن يعلم المعالج أو المربي أو الرئيس أن اللوم على الخطأ لا يأتي بنتائج إيجابية في الغالب، ذلك أن اللوم يحطم كبرياء النفس، ويضعف العلاقة مع الآخرين، وكم نخسر كثيرًا من اللوم المباشر، ومن العبارات الحادة، ومن التوجيهات الغليظة. وما رأيكم حينما نقول للمخطئ إذا أخطأ ماذا لو فعلت كذا وكذا.. لكان ذلك أحسن لك وأجدى وأنفع، أليس هذا أفضل من قولنا «يا مخطئ.. ألا تسمع.. ألا تفهم..»؟ إن في العبارات الهادئة والجميلة تقدير لرأيه الخاص، واحترام لوجهة نظره، مما يؤدي إلى اعتراف منه بالخطأ، ويعمل على تقويم نفسه، وتعديل سلوكه، وإصلاح أخطائه ومثالبه. ■

بيرق النور

شعر: فائز زكريا اليوسف- الرياض

أكرم بمن سوى الصعاب ذلولا   للعابرين إلى الرقي سبيلا
حضن الرسالة وامتطى متن العلا   عبر المعارج في الدجى قنديلا
أنفقتُ عمري في الحياة معلمًا   أرعى الحروف على السطور شُتولا
فرويتها خفق الفؤاد نضارةً   وشذبْتُ منها دوحة وفسيلا
أتعهد الأزهار في أكمامها   وأزيح عنها شائكًا وذبولا
وجعلت محراثي اليراع فحزّ لي   كفًّا أحلتُ بها الوعور سهولا

يا فرحتي إذ صار طفلي بالهجا   يتلو الكتاب ويكتب المأمولا
إذ ذاك أطعم للثمار حلاوة   أنسى المتاعب إذ رعيت حقولا
في غرفة الصف البهيج مواقفٌ   أحكي بها للناشئين فصولا
عن موطن نَهَبُ النفوسَ فداءه   ويعُقُّه من عاش فيه خمولا
حتى عن النملات.. أكبر صبرها   للرزق تسعى لا تخور كلولا
عن ثعلب أمضى الحياة مراوغا   يحتال طيرًا غافلاً وجفولا
لو عاش ينشد رزقه متعففًا   نال الذي قسم الإله مثيلا
أحكي عن الثيران إذ أغرى بها   كيد العدو فصُيّرت مأكولا
قصص لنا تروى لتبقى عبرةً   كم كان أحرى أن تصير دليلا!
أنبيك يا شوقي العظيم مواجعي   قد صيروا شأني الكبير هزيلا
فغدوت يا شوقي أكتِّمُ مهنتي   وأشيح وجهًا إن سُئلت خجولا
قد حاز يا شوقي الحفاوة من هُمُ   لعبوا ودقوا للطروب طبولا
بالعز يرفل كلُّ لاهٍ راقص   وإزار ستري قد غدا محلولا!

أعظم بهارون الرشيد مكانةً   في الخافقين مهابة وعدولا
قد قال يومًا للسحابة إذ نأت   حُبلى بغدق أنكرته هطولا:
أنّى انتبذت بوضع حملك بقعة   سيدرٌّ ضرعك في الخراج سيولا
كما كان يُعظم للكسائي قدره   فهو المروّض للبنين عقولا
يتسابق الفذّان* حمل نعاله   ويبادران لرأسه تقبيلا
ويلومني جمع الأحبة أنني   أفلتُّ حبل مهابتي مخذولا
قد كنت أعقده بمعصم راحتي   ...والريح أرخت عقده مفلولا
لُفّي حبالك يا مهابة واهنئي   في خصر غانية يميد مميلا
أنا ما مللت الغرس في دوح النهى   لكن غرسًا صار فيه ملولا
شدَّ الحزام إلى المعالي صاحبي   لا بد من دهر يعود عدولا
فتحل نجمًا في المجرة هاديًا   قطبًا لسار لا تضام أفولا
ويصير يغمز برق مزنك ديمة   فتجر أرض بالورود ذيولا
حسبي افتخار أن ورثت بمهنتي   خير الأنام معلمًا ورسولا

* الأمين والمأمون ابنا هارون الرشيد.

صيانة الإنسان

د. أفنان نظير دروزة- الشارقة

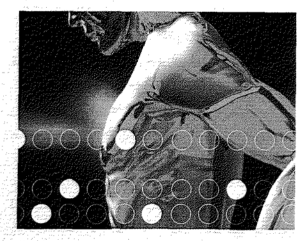
كنت أعتقد أن الأشياء المادية هي التي تحتاج إلى صيانة فقط، فالزمن، تلك القوة التدميرية، إن طال الأشياء لا يبقي منها ولا يذر، فإن لم يتلف الشيء بفعل الاستعمال فهو يتلف بفعل الهجر والإهمال. انظر إلى البيت تسكنه وهو في أبهى صورة وأحلاها حتى إذا ما مكثت فيه فترة من الزمن وجدت أركانه تتصدع وجدرانه تتشقق، فإن لم تراقبه بين الحين والآخر تقومه وتصلح عطبه خسرته وعدمته. وانظر إلى السيارة تبتاعها جديدة من الشركة لا تشوبها شائبة ولا يعتريها عطب، حتى إذا ما بدأت باستخدامها ألفيت قطعها تتلف واحدة تلو الأخرى، فإن لم تتعهدها بالرعاية والصيانة خسرتها في فترة وجيزة. والحال نفسه ينطبق على الأثاث والأدوات والأجهزة وغيرها من الأشياء القابلة للتلف والخراب، فإن لم تصنها وتصلحها فستتوقف عن العمل، فتفقد أنت (بالتالي) خدمتها لك.

حتى الحديقة بأشجارها وورودها ونباتها، إن لم تتعهدها بالتقليم تارة، والري والتسميد تارة أخرى، فستنهشها الأمراض وينخرها السوس ويذوبها الجفاف ويأتي الفناء عليها ولا يبقى منها شجر ولا ثمر، ولا ورد يزهر ولا غصن يورق. والأرض إن لم تحرسها وتحافظ عليها فستفسح المجال للغريب لسرقتها ووضع يده عليها وأنت في غفلة من أمرك. وحتى الوطن إن لم تسهر على حمايته وتذود عن حماه فسيتعرض للنهب والسرقة والاستيلاء، من قبل الغريب، ويضيع منك وتضيع معه هويتك.

كل هذه الأشياء وأمثالها يستطيع العقل أن يفهم حاجتها للصيانة، ولكن هناك ما هو أمس حاجة وأشد خطورة، هو صيانة الإنسان وعلاقاته البشرية. فالإنسان مثله مثل الأشياء بل أشد خطورة وأكثر أهمية، فإن لم يتعهد نفسه بالمراقبة والتقييم، والرعاية والتهذيب تارة بالتربية، وأخرى بالتعليم، خسر نفسه وفقد إنسانيته وارتد إلى أصوله وانحرف عن النهج المستقيم. فالجسم وما يحتويه بحاجة إلى صيانة مستمرة عن طريق فحصه ومعالجته وتغذيته وترويض عضلاته بممارسة الرياضة، والعقل وما يفكر بحاجة إلى صيانة مستمرة عن طريق تربيته وتعليمه وتغذيته بالقراءة والكتابة وإمعان الفكر والتأمل، والروح وتموجاته بحاجة إلى صيانة مستمرة عن طريق تهذيبه بالعبادات وتذوق الأدب الرفيع، والإحساس بجمال الطبيعة. ولعل الأهم من ذلك كله صيانة العلاقات الإنسانية التي يقيمها الإنسان مع غيره من الناس، سواء أكانت مع زوج أم صديق أم زميل. فالعلاقات الإنسانية شيء جميل، بل عزيز وثمين، فإن لم نصنها خسرناها وخسرنا معها أنفسنا.

وإن كانت صيانة الأشياء المادية تعود علينا بالنفع الكثير، فإن صيانة العلاقات الإنسانية تعود علينا بنفع أكثر ولكنه من نوع آخر، نفع معنوي يتجلى في شعورنا بالسعادة وراحة البال، وهذا شيء مقدس يجب أن نسعى إليه. فمحافظتنا على علاقاتنا بمن نحب ونصادق تعني المحافظة على حياتنا وحياتهم سعيدة، ونحن إن شعرنا بالسعادة أصبحنا قادرين على العمل والإنتاج ومن ثم الإفاضة على الآخرين ثمرًا خيرًا ينفع الناس.

وصيانة العلاقات الإنسانية تعني أن نغذيها بالمحبة ونرفدها بالإخلاص ونتوجها بالوفاء. تعني أن نتعاون ونشعر مع من نحب ونصادق. تعني أن نصلح الخلل حال وقوعه ونحل المشكلات بروح سمحة. وأكثر من ذلك تعني أن نحمي أنفسنا وأنفسهم من التدهور والضياع والغربة النفسية، وخاصة في هذا الزمن الصعب الذي يعز فيه وجود الصديق المخلص والخل الوفي. ■



سبورة

العودة

قصة: مصطفى نصر - الإسكندرية

لقد ترك حامد قريته منذ أكثر من أربع سنوات. دفعته إلى ذلك أمه دفعًا قائلة:

- عمك زاهر أصبح غنيًا في الإسكندرية، وليس عنده أولاد. وعندما سيراك سيقربك إليه، وستكون أنت الكل في الكل، لكن عمه زاهرًا لم يعبأ به! هو حقًا رحب به أول الأمر، ودعاه إلى بيته، وعرض عليه أن يقيم في مسكنه لكن العرض لم يكن متينًا، فعمه معروف لدى أقاربه وبلدياته بأنه لا يحب أن ينام أحد في بيته. وافترقا.. عمل حامد أعمالاً كثيرة: كاتبًا في مكتب محام، وبائعًا في محل كبير ومشهور في الإسكندرية، لكنه لم يستقر في عمل ثابت ودائم. وأحس بأنه قد أخطأ عندما ترك قريته. فقد جاء من أجل عمه، وعمه لم يسأل عنه.. لا يتقابلان سوى في المناسبات: الأعياد أو حين يجتمع أهل القرية الموجودون في الإسكندرية في الملمات أو الأفراح، وقتها يحنو عمه عليه ويشده إليه:

- كيف حالك يا حامد، لماذا لا تأتي لزيارتي؟

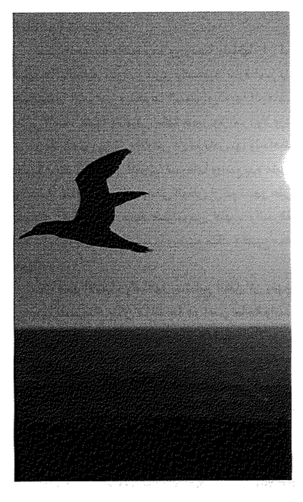
ويتمتم حامد بكلمات غير مفهومة، ثم يفترقان. هذه المرة اجتمع الأقارب في الصوان الكبير، الشيخ محمود يسمع المقرئ ويحرك رأسه وكتفيه مع ترتيل المقرئ. المعزون يقتربون من الشيخ محمود. رغم قراءة المقرئ يشدون على يده. يحاول البعض تقبيل اليد التي تمسك المسبحة، وهو يبعدها مسرعًا.

درس الشيخ محمود في الأزهر حتى حصل على العالمية، ويعيش الآن بين قريته وبين القاهرة والإسكندرية، حيث له مشاغل في كل مكان منها. يلجأ إليه أهل القرية والذين تركوها ويعيشون بعيدًا عنها. يسألونه في أمور الدين والدنيا. فهو حكيم في الاثنتين! ويحتكمون إليه في المشكلات التي تنشأ بينهم. تابع حامد الشيخ محمود من بعيد، أراد أن يسرع ليصافحه لكنه فضل أن يبقى حتى ينتهي المقرئ من قراءته. بعدها أسرع إليه، قال الشيخ محمود: كيف حالك يا حامد؟.. والدك كان رجلاً طيبًا.

- أريد أن أتحدث إليك في أمر هام.

- بشأن عمك زاهر، أليس كذلك؟

- أجل. أربع سنوات في الإسكندرية ولم يقربني إليه، عماله كثيرون، كلهم أغراب.



- هل أنت فرح لأن عمك في هذه الحالة من الغنى؟
تلعثم حامد وأراد أن يقول أي شيء، فأسرع الشيخ محمود مكملاً:
- اصدقني القول ولا تكذب.
لم يجبه حامد.
- هذه يا ابني هي المشكلة، مال عمك أقرب إليه منك لأنه جمعه بكده وتعبه، ولا يرضى أن يذهب إلى أحد يكره النعمة لصاحبه.
صمت حامد وحنى رقبته كأنه أتى عملاً كريهًا يخجل منه. ربت الشيخ محمود على ظهره قائلاً:
- اجعل قلبك صافيًا، واتجه إلى الله بصدق. وحينما تحس بأن عمك أحق بماله من غيره، سيأتي إليك المال دون أن تسعى إليه. تركه الشيخ محمود في حيرة، صافحه وهو شارد. وصافح حامد عمه زاهرًا وهو شارد أيضًا لا يدري ماذا قال عمه له، هل دعاه إلى بيته ككل مرة أم لا؟
عاد حامد إلى بيته (شقته المتواضعة التي يعيش فيها وحده منذ أن جاء إلى الإسكندرية) أحس برغبة في البكاء. إنه لم يسأل نفسه ذلك السؤال.. باغته به الشيخ محمود، ماذا؟ أيكره لعمه النعمة؟ ألا يريده أن يكون غنيًا؟ أيحسده على ماله؟ كان (هو وأمه) يتحدثان عن ذلك، حتى من قبل أن يأتي إلى الإسكندرية. يتحدثان عن الثروة التي نزلت على عمه دون رضى منه ومن أمه. بكى حامد.. إنه عمه.. في منزلة والده، فلماذا يحس حياله بذلك الإحساس الغريب؟! عمه يعرف حدود الله. لم يسرق ولم يأت بماله عن طريق غير شريف، كما أنه ليس بخيلاً، وإن كان لا يحب لأحد أن ينام في بيته فهذا حقه، فلديه زوجة وعالمه الخاص الذي لا يحب أن يشاركه فيه أحد، ولا يستطيع أحد أن يلومه على ذلك. قام حامد وصلى العشاء، ظل فوق سجادة الصلاة لوقت متأخر دون صلاة، أحس بالخجل من نفسه. لاشك أن عمه كان محقًا في عدم عرض العمل عليه. فقد كان يقرأ الحسد في عينيه. إنه الآن لا يريد أن يعمل لدى عمه. ولن يسعى إلى ذلك. من الغد سيعود إلى قريته، يبقى بجوار أمه، فمن الممكن لو بقي بالإسكندرية أن يلمح عمه ذلك الحسد في عينيه ثانية. نام فوق سريره حزينًا.. سيكتب رسالة إلى أمه في الغد، إنه لا يريد شيئًا من عمه ولا من غيره، فهو قانع بما قسمه الله له من رزق. لا يدري حامد متى نام. استيقظ على دقات عنيفة على الباب أسرع فزعًا لفتحه:
- اللهم أجعله خيرًا.. وجد عمه أمامه، ظنه آت ليلومه.. فوجئ بعمه يصيح فيه:
- أما زلت نائمًا للآن؟!
- أجل.
- لم تصل الفجر؟!
- كنت متعبًا ليلة أمس.
- لقد صليت الفجر وأتيت إليك، ارتد ملابسك مسرعًا وتعال معي إلى متجري. أموالي في يد الأغراب وأنت ابن أخي (أقرب من لي) بعيد عني! لم تفكر يومًا في الوقوف بجوار عمك، البعض يسرقني.
ظن حامد أنه يحلم، وأن ما يحدث الآن نتيجة لتفكيره فيما حدث بالأمس، لكن عمه صاح فيه:
- أسرع يا حامد وارتد ملابسك. سنتناول طعام الإفطار في مطعم الشركة، فلابد أن أستلم عربة كبيرة محملة بالبضائع بعد ساعات قلائل.
- حاضر يا عمي.
وأسرع حامد بارتداء ملابسه غير مصدق لما يحدث.■

سبورة

الطفل الغضبان

د. علي الحرجان - الشارقة

إن الغضب سلوك مكتسب يتعلمه الطفل من خلال تعامله مع الكبار، ومن مظاهره التدحرج على الأرض باكيًا أو البكاء العنيف، وبخاصة عندما لا نلبي طلباته، أو نتجاوب مع رغباته.

مع بداية العام الثاني للطفل ونتيجة لعدم التعامل معه بالشكل الصحيح، قد يظهر غضبًا شديدًا، وللأهل دور كبير في بروز الغضب لديه. فعندما يحصل الطفل على كل ما يريد من خلال أسلوب الغضب الذي يتبعه، فإن تصرفه هذا سوف يصبح عادة أو جزءًا من سلوكه اليومي، وقد يزداد حدة ويتكرر مرات عدة، وربما يستمر لسنوات عديدة، وذلك يعتمد على الجهد الذي يبذله الكبار لأجل تصحيح هذا السلوك الخاطئ وتعليمه كيفية التعايش مع الآخرين بسلام. وغالبًا ما يتوقف الطفل عن إظهار الغضب والتمرد عندما يصل إلى الرابعة من عمره حيث يبدأ بالإدراك والفهم.

ولا شك في أن ثمة أسبابًا عديدة تدفع الطفل للغضب، منها:

- الفشل الذي يشعر به عندما يريد القيام بعمل ما، كأن يريد التعبير عن شيء ما بالكلام فلا يجد الكلمات، أو يحاول الوصول إلى شيء ما ولا يستطيع. فكل هذه المحاولات الفاشلة تثير أعصاب الطفل وتجعله يغضب وينفعل.

- يغضب الطفل أيضًا عندما يرفض طلباته، فإذا أراد شيئًا مثل اللعب بشيء خطر (النار أو السكين مثلًا)، ووجد من يقول له: «لا» بشكل قاس، فإنه يغضب ويبكي.

- قد يغضب الطفل بسبب التعب، أو الجوع، أو عندما يستفز.

من هنا، يمكن أن نتعامل مع الطفل ونخفف من حدة غضبه من خلال الأساليب التالية:

- يجب ملاطفة الطفل الغاضب ومسايرته بالشكل المعقول، أي ألا نظهر له اهتمامًا كبيرًا، ولا نطلق كلمات رنانة مثل: «سأعطيك ما تريد فقط لا تغضب» والصحيح أن نقول له بكل هدوء: «أخبرنا عن سبب غضبك»، فالكلمات الطيبة تخفف كثيرًا من الغضب لديه.

- يمكن أن نفرغ غضب الطفل ونخفف من توتره عن طريق إشغاله بموضوع ينسيه غضبه وسبب هذا الغضب، كأن نتسابق أو نجري معه، وبذلك يمكن تفريغ شحنات الغضب لديه.

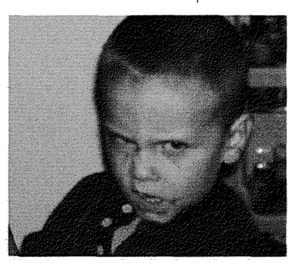
- يجب ألا نقبل من الطفل أي تصرف عدواني، فالغضب لا يعطيه الحق بتكسير ما يوجد حوله أو الضرب بيده أو إيذاء الآخرين جسديًا أو لفظيًا.

- يجب إبعاد الطفل عن الآخرين ليواجه غضبه بنفسه ويمتصه، وحتى لا يخجل من ذلك مستقبلًا أو لا يستغل الآخرين.

- يجب عزل الطفل الغاضب لفترة قصيرة (عدة دقائق) في غرفته إن حاول إيذاء الآخرين جسديًا أو تطاول عليهم بالكلام، على أن يكون التصرف معه حازمًا ولطيفًا في الوقت نفسه. وكذلك نتحدث معه عن مساوئ هذا السلوك ولا نوجه اللوم والتوبيخ والتهديد له.

- يمكن (خارج البيت) الانفراد مع الطفل للحظات ولفت انتباهه إلى أشياء أخرى مهمة أو محببة له، فمن السهولة تغيير انتباه الطفل إلى أشياء أخرى، خاصة إذا كان يحبها.

- أن يكون ردنا على أفعاله الإيجابية بمداعبة بسيطة تعكس التعاطف معه وتقدير تصرفه، ثم ننتقل إلى موضوع آخر دون تأنيبه أو توبيخه على فعله السلبي، ومن ثم نشاركه في اللعب أو الكلام. ■



قرص البنادول

بقلم ابتسام الفهد ـ الرياض

فتحت الطالبة نافذة الأمل في وجه من أحست أنها مخبأ سرها، فساقتها قدماها إلى مكتب الاختصاصية الاجتماعية، ثم أخذت تشكو لها صداعها المستمر دون سبب عضوي لتلمح لها بأنها تعاني مشكلة، فتفاجأ بالاختصاصية الاجتماعية تعطيها قرص بنادول وتطلب منها أن تسترخي على السرير! تنزعج الطالبة جدًا وتعود وهي تتأبط أحزانها الثقيلة، ثم تكرر المحاولة وهي تهمس بصوت منخفض جدًا لتشكو نفس الشكوى، فلا تكلف بالاختصاصية نفسها محاولة معرفة السبب الحقيقي من تلك الشكوى الدائمة! تشعر الطالبة بالإحباط فهي لم تجد من يسمعها ويهتم بحالتها تظل غارقة في مشكلات الحياة المعقدة مما يجعلها تتصرف بسلوكيات غير سوية وعدوانية شديدة مع أخواتها وزميلاتها، وتميل إلى العجز وقلة الحيلة وخيبة الأمل واليأس.. وبالتالي التأخر الدراسي.

هنا سؤال يطرح نفسه، من يعيد لتلك الزهرة لون الأمل إلى وجنتيها من جديد؟ ومن ينزع عنها ثياب الأسى والبؤس؟ ومن يساعدها لتكون إنسانة أكثر تفاؤلاً؟

هنا يظهر دور الاختصاصية بوضوح، حيث تزيل عنها إحساسها بالحرمان والانطوائية فلا تدعها تستنزف دموعها لتجف، وتأخذ بيدها وتخطيها تلك المصاعب وتجعلها تدوس بحذاء الأمل على صخور اليأس التي تعوقها من التقدم، حتى تجعل منها تلك الإنسانة القوية الإرادة التي لا تعرف للانكسار طريقًا، وتحررها من استعمار إحساسها بالغربة (رغم الكم الهائل من الناس في حياتها) وتنتشلها من كل ما يحطم الأمل ويعوق تحقيقها أهدافها المستقبلية. تهديها تارة نصائح المعلمة والأخت الكبرى لترفع مستواها الدراسي، وتارة تكون الأم البديلة في المدرسة حيث تمسح بيدها الحنونة على ملامح كل طالبة باكية أو مستاءة. تمنحها الصبر وتشجعها على المثابرة والاجتهاد، فلا تتركها عارية في زحمة الظروف القاسية بل تدفئها من برد الضغوط الأسرية وتشعرها بوجود العالم الجميل الذي وهبها الله من حولها فلا تتركها تائهة في هذا الفضاء الواسع، وتساعدها لكي تلقي بمشكلاتها وآلامها على رصيف الماضي فالسنون كفيلة بإزالة كل تلك المشكلات، مما يجعل الطالبة تدرك أن الحياة ما هي إلا بحر لا ساحل له، فنحن دائمًا نبحر عبره إلى العديد من المراسي، ونلتقي كمًا هائلاً من الناس الذين نأنس لحديثهم وقد يكون العكس فتحدث بيننا كثير من المواقف والتفاعلات المثيرة التي نمر فيها معًا، ثم ما تلبث أن تكون ماضيًا نذكره ليثير لدينا الضحك فتصبح بمثابة المنبه الذي يقرع تلقائيًا كلما أحسسنا بالحزن والضجر.

الاختصاصية هي الأم البديلة بغض النظر عن سنها، فهي تأخذ ماء الأمل لتغسل به تلك الياسمينة.. تسقيها من نسيمات الفرح والسعادة لكي تنمو وتكبر، وتحضنها بصدرها الحنون فلا تدعها وحيدة في حقل تجارب الحياة القاسية، وتساعدها لكي تزرع خزامى الأمل ونرجس التقدم.

وأخيرًا عزيزتي يا من وضعت تلك الزهرة أمانة في عنقك، هل ما زلت تفكرين في قرص البنادول، أم تغيرين نظرتك لتصبحي أنت البنادول نفسه؟ ■

سبورة

لكي لا يتحول الأدب إلى قلة أدب

ماجد محمد الجهني- الظهران

يتحدث بعض الأدباء في عالمنا العربي عن قضية حرية الأديب، وأهمية عدم وضع قيود حول نتاجه لأن تلك القيود (كما زعموا) تحد من قدراته الإبداعية، ويرون أن الأدب المحلق والمنتج والمبدع هو ذلك الأدب المتحرر من القيود العقدية والدينية لتي يسمونها مرات ومرات بأنها محض «عادات وتقاليد» هروبًا من التصريح واكتفاء بالتلميح.

هذه القضية بكل أبعادها الشائكة تطرح سؤالاً مهمًا وحساسًا: هل يمكن للأدب أن يكون بلا عقيدة؟ وهل يمكن أن يحصل الأدب على هوية إن هو فُرِّغ من مضمونه العقدي والفكري؟

والجواب على هذه المسألة يتم من خلال سبر غور الآداب الإنسانية على مر العصور واختلاف الأمم ولغاتها وأجناسها، وذلك لأن الإنسان الموجود على هذه الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام لا يمكن أن تسير حياته إلا وفقًا لعقيدة يؤمن بها، ومنهج ينظر إلى الأشياء من خلاله، وهذه القضية تمثل حاجة فطرية للإنسانية جمعاء، حتى إن أفلاطون بين في كتاب «الجمهورية» أنه لن يقبل الشعر ما لم يكن ضمن إطار العقيدة والقيم التي يؤمن بها مجتمعه، ورحب بالشعراء الذين يمجدون الأبطال والقدوات الصالحة ويتغنون بالفضائل وأصحابها.

إن الناظر في النتاج الأدبي الإنساني الأممي يجد الترابط الوثيق الذي لا يكاد ينفصم بين الأدب ومعتقدات تلك الأمم، ومن أمثلة ذلك مسرحية «سوفوكل» و«إلياذة هوميروس» عند اليونان، و«إلياذة فرجيل» عند الرومان، و«الشاهنامة» عند الفرس، وعند الهنود «كليلة ودمنة»، وعند العرب «المعلقات».

كل هذا التراث ينطلق من التصورات والمعتقدات التي تتمثلها تلك الأمم على اختلاف ألسنتها وعقائدها. وأعتقد أن أي متتبع منصف ومتجرد من الهوى لحركة الأدب الإنساني سيلحظ أنه أحد أهم الأركان والروافد المعبرة عن عقائد الأفراد والشعوب، واتجاهاتها القيمية أيًا كان لون هذا الأدب المعبر به نثرًا أو شعرًا.

إن دعاة الفن للفن، وأصحاب الوجودية الجديدة المسماة «اللامنتمي» كلهم ينطلقون من مبدأ وفكر وعقيدة حتى لو كانت منحرفة، وحتى إن هم رفضوا ذلك فلا قيام لنص إلا بفكرة، ونصٌ لا فكرة له ولا منطلق لا يمكننا أن نسميه أدبًا البتة، والذي يقول إن الأدب بلا عقيدة إنما يجدف في حقيقته ضد تيار الفطرة الإنسانية، ويقوم بالالتفاف على نفسه لكي لا يكون رهينة لوازم المعتقد الذي يعتقده.

نحن كمسلمين لا يمكن أن نقبل دعاوى حرية الأدب والأديب والثقافة والمثقف بإطلاق دون تقييد وضبط للأمور، لكي لا يتحول الأدب إلى قلة أدب، والثقافة إلى سخافة كما حدث ويحدث من بعض الذين تجاوزوا باسم الثقافة والأدب حتى على الذات الإلهية والعياذ بالله.■

حالة تبلّد

قصة: محمد سعيد الريحاني – المغرب

وحدي في هذه الطريق المقفرة، أخطو نحو اللاهدف، أفكر في اللاشيء وأستمع لصدى وقع خطاي على الأرض، وحدي أتقدم إلى الأمام بلا حماس أو هدف أو غاية. وحدي أتسكع وصبيب الهواجس الثقيلة والوساوس الغامضة تدب في شراييني محذرة من خطر تعرضي لاعتداء آثم على أيد متربصة لا ينفع معها دفاع.

ماذا لو اعترض سبيلي مجموعة من قطاع الطرق أو المجرمين هنا؟ ماذا لو جربت في رصاصة قوتها وفتكها؟ ماذا لو عبثت بتوازني حجرة وأحالتني إلى سكير مترنح قبل أن أعانق الأرض؟

الوساوس تتناسل وترفرف داخل جمجمتي في مأمن من كل الأيادي العابثة.. نقرة فجائية قوية على مؤخرة رأسي تترك صدى نحاسيًا رنانًا في كل جمجمتي.. الطنين، الطنين، الطنين.

سائل ساخن يراوغ فقرات عمودي الفقري نزولاً، يتدحرج حارًا حارًا. الفوران يتضاعف أعلى رأسي والحرارة تتضاعف في كل جسمي. القاعدة العلمية تؤكد أن كل الأجسام الصلبة تذوب تحت فعل الحرارة، واليوم دوري.

إحساس غامض بالفتور يعتريني. إحساس بالسكر والثمالة من غير سكر ولا ثمالة! الالوان حولي تتخذ ألوانًا غامقة، داكنة، معتمة.. الأشكال حولي يتداخل بعضها في بعض في شكل لولبي، والأرض تدور وتدور وتدور ولا متكأ لي ولا مسند! هل سأسقط؟

كأني في الهواء. الشمس أمامي تدور في سماء تدور فوق جبال تدور بأشجار تدور وتدور وتدور.. هل أنا مطروح أرضًا؟!

السائل الساخن ما زال يفور من رأسي وينعشني بخدر لذيذ. يداي ممدوتان بعيدًا عن جذعي وراحتاي مقلوبتان للأعلى ورجلاي متباعدتان ووجهي للسماء.

هل هي حالة احتضار؟ هل هي الموت؟ أما زلت على قيد الحياة؟ بماذا يشّهد الناس وهم على حافة الموت؟ بأصابعهم؟ أين أصابعي؟ أصابع رجلي ليست مني.. سبابتي اليمنى لا أتحكم فيها!.. سبابتي اليسرى لا تطاوعني!.. لساني أثقل من رجلي! هل سأموت بدون شهادة؟! تعالوا شهّدوا لي.. تعالوا ولّوا وجهي للقبلة.. هل سأموت هكذا بوجهي للسماء كالمدفع؟!.. هل تسمعونني؟ هل يسمعني أحد منكم؟ هل أنا الوحيد الذي أسمع ما أقوله؟! هل صرت المتكلم والمخاطب وأنا أحتضر؟!

ولّوا وجهي للقبلة، فضلًا.. أجلوا عذابي إلى ما بعد الدفن، رجاء هل سأترك للموت وحيدًا على هذه الطرقات المقفرة بضربة مجهولة من قاتل مجهول؟!

حسنًا، يا معشر الصم، ليكن ما أردتم.. لكن ليكن أيضًا ما أردت أنا أيضًا.. سأموت هنا وسأتحلل إلى جراثيم قاتلة وسأملأ المكان فيروسات فتاكة وسأهب على صدوركم مع أولى طلائع النسيم طاعونًا وسلاً وحمى إسبانية وأنفلونزا طيور وأنفلونزا بهائم.. أمهلوا الروح أولاً كي تلتحق بخالقها.. وموعدنا بعد حين. ■



سبورة

القبعة الزرقاء

قصة: د. سناء شعلان – الأردن

القبعة الزرقاء التي طارت بعيدًا في الهواء المشبع برائحة الكبريت، والمشحون بحرارة الانفجار وبصوته، كانت آخر حركة رآها قبل أن ينزلق في غيبوبة دافئة لزجة دبقة تشعره بأنه قد تبول في فراشه في ليلة صيف. لم يعجبه أبدًا لون القبعة الزرقاء الفاتح البهيج الذي يناسب الفتيات الجميلات أكثر مما يناسبه، ولطالما تمنى أن يبدل لون قبعته أي لون آخر إلا لونها الأزرق، وتساءل باستهزاء وفضول: «ما علاقة اللون الأزرق بهيئة الأمم المتحدة؟»، لكنه ركن باستسلام إلى السائد، وقبل باللون الأزرق منذ أن تطوع ضمن زمرة من جنود الوطن، ليشارك في قوات هيئة الأمم المتحدة للسلام في هذا المكان النائي من إفريقيا، الذي ما كان يعرف بوجوده أصلاً، وترك أمه المرأة العجوز الدافئة تتلعثم طويلاً باسم المكان الذي قصده إلى أن تهتدي إلى أقرب لفظ يشبهه عندما تتفاخر أمام الجارات والقريبات والصديقات بابنها «حميد» عضو قوات هيئة الأمم المتحدة للسلام.

جاء إلى هذا المكان بالطائرة التي ما فتئ يقرأ المعوذات ودعاء السفر ليتصدى لرهبتها، ولينسى أنه على ارتفاع خرافي. ومن دون قصد وجد نفسه طوال طريق السفر (وقد كان سفرًا طويلاً) يردد الآية الكريمة التي ودعه بها الشيخ مرزوق مشجعًا إياه علي ما هو مقبل عليه، ومذكرًا إياه بان ما هو في صدده هو امتحان صعب من الله. للمرة الخمسين ردد بتلعثم وقلق: ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون)).

هو غير محافظ على صلاته، لكن الإيمان يعمر قلبه، لذلك يعد نفسه في هذه اللحظات الحرجة بأن يلتزم بالصلاة لاسيما صلاة الفجر التي أوصته أمه خيرًا بها، وهو حافظ أمين لوصايا أمه.

جاء إلى هذا المكان بعد أن اجتاز دورة تدريبية مكثفة في اللغة وفي التعامل مع ضحايا الحرب. وللأمانة ما كان معنيًا بحروب الآخرين، فحسبه تلك الحروب التي طحنت أمته، وسرقت أجزاءً عزيزة منها، ولكن سياطًا من الخجل من النفس ألهبت ذاته عندما وصل إلى ذلك المكان النائي، ليجد بقايا بشر وبقايا أماكن قد لاكتها الحرب، وأعملت فيها آلة الخراب والدمار. كان يريد أن يحافظ على بذلته العسكرية الأنيقة، وإن كان زاهدًا بقبعته الزرقاء، ولكنه وجد ما جُبل عليه من شهامة ومروءة وما زرعه الجيش فيه من معاني البطولة والإيثار، وما ورثه كابرًا عن كابر عن أمته من شجاعة طائر الفنيق ينتفض تحت ركام الموت، ويستعدي نفسه وجهوده، ليكون في عون أولئك الضحايا الذين انقطعت بهم السبل، وأرهقهم الخوف والحاجة. تلقى الكثير من كتب الشكر والتقدير من إدارة مجموعته تقديرًا لبطولته ولتعاونه، ولكنه ما كان ليبالي بها، بل كان يبالي باختبار الله له، وبأولئك الأطفال الشيوخ والنساء من المحاصرين المعرضين في أي لحظة للإبادة العرقية.

ساعد طويلاً في زرع الأسلاك الشائكة واللافتات التحذيرية حول الأماكن التي تزخر بالألغام الأرضية، وما كان يظن أنه سيجد نفسه في وسط إحدى تلك الحقول بمحض إرادته (للدقة بتقدير الله)! فقد اندفع ذلك الطفل الإفريقي الصغير ذو الساقين النحيلتين والجسد العاري والابتسامة البيضاء خلف إوزة صغيرة داهمت حقل الألغام، وما كان يستطيع أن يراه فتاتًا وأشلاء تتناثر في المكان، على الرغم من انه كان يعلم تمامًا ماذا يعني الدخول في حقل الألغام، إلا أن قوة قاهرة دفعته إلى اللحاق بالصغير وبإوزته في مهمة مستحيلة لإنقاذهما، لكن الموت كان أسرع، فقد وطأت الإوزة لغمًا ثار بها وبالصغير، فتطايرا أشلاءً في لحظات في حين طغى دفء عجيب على إدراكه، واحتجبت الرؤية بعد أن حلقت قبعته الزرقاء في البعيد. لأول مرة يشعر باكتراث بمصيرها.. لم يعرف أين سقطت؛ لأن الوجود غادر في تلك اللحظات، وغار في ألم سكوني عجيب ملك عليه كل مداركه قبل أن يفقد الإحساس بالمه!

لم يعرف إن كان ذلك النفق المتعرج ذو الألوان البهيجة سوف يقوده إلى الحياة الآخرة، وقد كان يحفظ قصصًا مخيفة روتها له جدته آمنة عن حياة البرزخ، وعلى عجل راح يحصي تلك الصلوات التي ضيعها، وشعر

بندم كبير على ذلك، ولاح في ذهنه كلمات مسرور البقال الذي كان يمازحه كثيرًا قائلاً: «أتاك الموت يا تارك الصلاة».

كان يسمع أصواتًا مجهولة، وجلبة غريبة بلغة عربية نادرًا، وبلغة أجنبية في غالب الأحيان، وما كان يفهم منها شيئًا، لكنه ميز من كل تلك الجلبة صوت خشبي أجش حفظه من طفولته، وهو صوت عصا والده يتكئ عليها منذ أن دلف في عقده الخمسين حتى توفي قبل بضع سنوات. وكاد يتمنى لو أن والده ذا الجسد الصغير، والقدم العرجاء والملامح البدوية الحادة يدركه في هذا المكان، فهو يشعر بخوف كبير في هذا النفق المجهول الذي لا يدرك كنهه.

لكن أمنيته الوحيدة في هذا النفق لم يوافقها القدر، وبقي محبوسًا في نفق سرمدي عجيب، وظل صوت عصا والده تصك الأرض برتابة يستطيع أن يعد معها خطوات القابض عليها يطغى على كل الأصوات، تخلى بلحظة شجاعة عن كل شجاعته، ورفع عقيرته بكل خضوع الأطفال طالبًا مساعدة والده، وساد صمت، ثم سمع صوت والده بكل ما فيه من حزم وحنو، يقول له: «يا حميد، عار عليك ما تفعل، تماسك، انت بطل، لا تكن طفلاً، أتسمعني؟ عليك أن تتماسك».

ومن جديد ساد الصمت، وغاب صوت قرعات عصا والده. تلك العصا التي استخدمها بعد أن كبر ووهن وما عاد يستطيع أن يحفظ توازنه بوجود قدم أقصر من أختها، فقد خُلقتْ ضامرة، تجبره على عرج باد جعل صغار الحي يلقبونه نكاية به بـ«أبي عراج». وبقي هذا اللقب يطارده على كره منه، إلى ان تطوع للذهاب مع الجيش العربي هو وصديقه «حسان» في معارك الدفاع عن الأراضي الفلسطينية ضد العصابات الصهيونية، وقتها استنكر الكل أن يشارك أعرج في حرب خطيرة، وسرعان ما تحول الاستنكار إلى شفقة، وبزمن أسرع تحولت الشفقة إلى جليل احترام وعظيم إكبار. وعاد والده من الحرب بقدم عرجاء مقدسة لم تعرف القهقرى أمام الصهاينة، ولم يعد معه صديقه «حسان» الذي دُفن هناك بعد أن استشهد في ساحة المعركة.

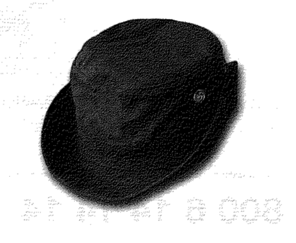
من ذلك اليوم ما عاد والده يُلقب بـ«أبي عراج» بل غدا يلقب بالبطل، ويسير بكل فخر يجر قدمه القصيرة، ويزهو بعرجه الذي اختال على أجساد قتلى العدو، ويتلقى برضا ربت الأكف على كتفيه.

وغدا هو ابن البطل، لطالما شعر بامتنان جنوني لوالده الذي ورثه لقبًا كهذا اللقب يفخر به باستمرار، ويقتنص المناسبات ليشير إليه، ويعتز به، لاسيما انه الفقير خامل الذكر، الصغير المستضعف.. الذي ما كان يملك غير مجد والده البطل.

من جديد سمع صوت والده يقول بنبرة أشد حزمًا: «عليك أن تتماسك.. هيا.. استيقظ.. أتسمعني يا حميد؟!.. عليك أن تستيقظ؟!».

ما كان حميد ليعصي أوامر والده، ولو كانت أوامره ليست إلا تهويمات شبح في نفق عجيب. استجمع «حميد» ضعفه، وفتح جفنيه بصعوبة. كان الأبيض أول ما لفح عينيه اللتين بحثتا بلهفة عن قبعته الزرقاء، وشعرتا بحزن إذ لم تكن موجودة. حسبه الأبيض يغرق المكان في رهبته الحزينة، يد المرضة الإفريقية مسدت بعطف على جبهته، سأل بضعف: «ماذا حدث للصبي الصغير ولإوزته؟» ردت المرضة برطنة لم يفهم منها شيئًا، وتابع رحلته بالبحث بعينيه عن قبعته الزرقاء في انحاء الغرفة، ولكن لم يجدها.

وبعد مدة توقف عن البحث عنها؛ لأنه ما عاد في حاجة إليها، فقد غدا في حاجة إلى عصا غليظة ليتكئ عليها؛ ليعود إلى وطنه بعد أن فقد قدمه اليسرى في الانفجار المريع الذي تعرض له، ولكنه كان يشعر بالفخر، بل بكل الفخر؛ لأن قدمه استشهدت في سبيل إنقاذ طفل وإوزته من لغم آثم، وأحس في ذاته بدبيب فخر، خمن انه سوف يلازمه كل حياته؛ لانه كان يومًا من أصحاب القُبعات الزُرق. ■



سبورة

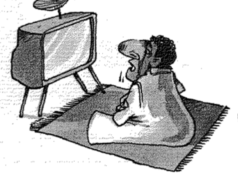


عبدالله العسكر:

الناجحون عرفوا الفشل أكثر من غيرهم



«البنت محسودة»



لغة المساء والسهرة

2

حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .

وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.

حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!

الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .

«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.

ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.

ش: شهادة.

ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!

وضيف هذا العدد هو : د.عبدالله العسكر أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود.

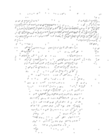
عبدالله العسكر:

الناجحون عرفوا الفشل أكثر من غيرهم!!

أحسب أن الفشل سنة كونية لا يمكن الفكاك منه. وأنا لا أزعم أن الناجحين لم يعرفوا الفشل البتة. الصدق أنهم ربما عرفوا الفشل أكثر من غيرهم، ولكنهم اتخذوا من فشلهم حافزًا للوصول إلى النجاح. والفشل المتراكم هو ما يطلق عليه أوسكار وايلد اسم الخبرات. نعم الخبرات هي تراكمات من الفشل. وكان الأديب الاسكتلندي المشهور برنارد شو يقول: «أن تقضي حياتك في ارتكاب الأخطاء خير لك من أن تقضي حياتك في بطالة». هذه مقدمة وجدتها ضرورية لما أنا بصدده عن الفشل في حياتي.

وأنا لا أدعي أنني من الحكماء، ولكنني فشلت كثيرًا والحمد لله، ولم أتخذ من فشلي طريقًا إلى اليأس من الحياة. وكنت على الدوام اعتبر فشلي من نوع الفشل النبيل. ذلك أن الفشل لا يعني النهاية. وأشد من الفشل وطأة هو الخوف من الفشل. وأنا لا أخاف من الفشل. ومن يَخَف من الفشل لا يعمل. وكان المربي والفيلسوف الأمريكي جون ديوي يقول: الفشل أداة فاعلة. وهذا صحيح.

لقد عرفت الفشل، ولكنني لم أتجرع مرارته. وربما كان السبب أنني تجاوزت محطات الفشل بسهولة، بسبب إيمان راسخ يسكن قلبي والحمد لله. أو أن ما عرفته من فشل هو بمثابة إخفاقات في الحياة بسيطة. وكنت في سابق أيامي مغرمًا بمطالعة قواميس اللغات، ومما تعلمته من تاج العروس للزبيدي أن الفشل صفة الرجل الضعيف والجبان. وهو يقول في مكان آخر إن الفشل هو الفزع والجبن والضعف. وأنا لا أحب أن أتصف بهذه الصفات السيئة. لذا تجاوزت فشلي بسهولة. وأمر آخر كنت أؤمن به إيمانًا قاطعًا وهو أن هناك أناسًا يريدون الفشل ولا يردون النجاح والفلاح. نعم هم لا يريدون النجاح، بل يرغبون في الفشل. فالنجاح مسؤولية كبيرة، ويحتاج إلى عمل ذهني وجسدي لا يطيقونه. وبالتالي يركنون إلى الدعة، ويقومون بعمل لا يتحمسون له، ولا يجتهدون فيه، والنتيجة أنهم يفشلون ويقدمون بين يدي فشلهم الأعذار تلو الأعذار. وأنا لا أحب أن أكون من هذه الفئة. أحب أن





- الناجحون عرفوا الفشل أكثر من غيرهم
- الخبرات تراكمات من الفشل
- فشلي من النوع النبيل
- رومانسيتي الملونة أخرت زواجي..!
- كنت مشروع لاعب.. لكن الكل خذلني!
- ما أقسى أن يكون الإنسان براجماتيًا
- عشت تجربة حب قصيرة أفسدت عليّ قناعاتي

نجاحي كان باهتًا لا يسر صديقًا ولا يرضي غروري!
فشلت في التخطيط لحياتي.. فاستسلمت لها!
كتابتي لتاريخ الجزيرة العربية سلسلة محطات فشل أعيشها


عبدالله العسكر

أعمل وأعمل وأجتهد حتى لو أخفقت أو فشلت. والذي لا يخطئ هو الذي لا يعمل. والذي لا يعمل هو الفاشل ولا بد.

محطات الفشل في حياتي:

هي محطات كثيرة. وربما لكثرتها لا أعدها من الفشل. وهذه بعض منها اخترتها على عجالة، وربما أنسيت بعضها، وربما ما أنسيت هي أعظمها:

- عندما كنت يافعًا اختلف إلى المدارس الابتدائية والمتوسطة حاولت أن أكون لاعبًا مميزًا في كرة القدم. واستثمرت الكثير من الجهد والمال القليل الذي بحوزتي. ولكنني فشلت فشلاً ذريعًا أثر في تكويني الجسمي والذهني لسنوات تالية. لقد انتسبت لفرق كرة القدم في المدارس، ثم في النادي الرياضي وفي فرق الحواري. وفي كل مرة كنت أخرج من بداية اللعبة، لا بقرار من عندي، بل بطرد من المدرب أو من زملائي اللاعبين. وكانوا يصفونني بأشنع الأوصاف التي أثرت في نفسي آنذاك.

- كنت في مقتبل تكويني الثقافي أحلم بأن أكون كاتبًا في جريدة. وكتبت مئات المقالات والقصص الصغيرة وأرسلتها لكل الصحف والإذاعات العربية، خصوصًا في لندن وبرلين ومونت كارلو. ومع هذا لم أفرح بنشر اي منها. لقد أصابتني تلك التجربة الفاشلة بضرر بالغ سار معي سنوات طويلة. ولقد تعلمت من هذا الفشل ان انكب على القراءات المختلفة، وهو ما فعلت فصرمت من عمري سنوات، وما زلت أقرأ كل ما تصل إليه يدي. ولما انتظمت في جامعة الملك سعود كنت المستعير الأول لكتب المكتبة. وكان قيم المكتبة يقول لي ما عرفت طالبًا يستعير الكتب مثلك. وهذا الإطراء خفف من حالة الفشل التي لازمتني.

- كنت أعتبر نفسي من الطلبة المتميزين، وهذا من حديث النفس المغرورة. ولكنني فشلت أن أكون في المقدمة. ومع كل الجهد الذي بذلته لم أحقق إلا أن أصل إلى ترتيب السبعين من عدد الناجحين البالغ خمسة آلاف طالب في الثانوية العامة. قد يظن بعض القراء أن هذا الترتيب لا بأس به. لكنني أعده إخفاقًا مقارنة بالجهد الذي بذلته. لقد أثرت في هذه النتيجة، لدرجة أنني فكرت ألا التحق بالجامعة. لولا تيار الحياة الذي يدفع بالمرء دون أن يعير بالاً لخططه. ولم تكن عندي خطط في تلك السن. لقد تعلمت من تلك التجربة أن الجهد وحده لا يكفي، فلا بد أن يصاحبه شيء لم أجد له اسمًا، ولكنني أعرفه من صفاته. وهو تحديد الهدف بطريقة مرنة. فالحياة ليست أبيض وأسود، هناك ألوان كثيرة بين السواد والبياض. كنت حرفيًا في تناولي للأشياء، والحرفية عدو لدود للمرونة. وأنا لا أحاول أن أبرر فشلي في التميز الدراسي، لأنني بعد تلك التجربة أصبحت أنجح في كل سنة، ولكنه نجاح باهت لا يسر صديقًا ولا يرضي غروري. ثم أصبحت أمشي في يومي كما يمشي الماء في جدوله منسابًا لا يقرر أين ومتى يمشي. لقد أسلمت نفسي للمقادير تجري في أعنتها.

- وفشلت فشلاً كبيرًا أن أحصل على بعثة بعد الثانوية أسوة بطلاب لا أعرفهم، ولكنني سمعت القصص الكثيرة عنهم. كان ذلك في عام ١٩٧٠م، ورغبت أن التحق بتخصص الإعلام في جامعة الإسكندرية. وجمعت كل الاوراق والمستندات المطلوبة، ولكنني فشلت. واختلفت إلى كلية التربية لا رغبة فيها. ثم حاولت أن أنتسب لقسم الإعلام عند افتتاحه في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، ورفض طلبي لأسباب أراها الآن واهية. وهذا فشل لا يقل عن الأول. والنتيجة أنني فشلت في التخطيط لحياتي. وكان لا بد من أن أسير مع الحياة حيثما سارت بي.

- وبعد التخرج في الجامعة عرفت فشلاً آخر وهو الإخفاق في الزواج وتكوين أسرة. وسبب ذلك أنني أميل

إلى رومانسية ملونة لا توجد في محيطي، بل هي من صنع خيالي المجنح، وهي نتيجة للقصص والروايات التي التهمتها سنوات الدراسة الجامعية وما قبل الجامعية. وما كنت راغبًا في الزواج لولا ضغوط عائلية ومجتمعية متتالية. كان فشلي في حصول زواج مبني على الحب ضربًا من الخيال. وكان ضربًا من قبض الريح. كانت تجربة الحب المريرة التي حسبتها تقود إلى الزواج وتكوين أسرة، تجربة أشبه ما تكون بالصدمة التي قالت لي: أصح يا فلان فأنت تحلم. لقد دفعت لذلك الحلم ثمنًا باهظًا، وبدأت قناعاتي المجتمعية تتغير. ما أقسى أن يكون الإنسان براجماتيًا. لقد خلق الله الإنسان في كبد. وتكرار المكابدات هي التي تجعل الإنسان براجماتيًا. لقد رابني أن أرى ما يردده الناس هو الصدق والحق، وأن ما سواه هو بمثابة قبض الهواء باليد. لكنني وصلت إلى قناعة أن أيام السرور قصار. فما سررت به في تجربة الحب القصيرة، هو ما أفسد عليّ قناعاتي فيما بعد. لكن الله رؤوف بعباده، فعوضني الله زوجة صالحة وأسرة كشجرة يانعة.

- بعد مضي سنتين من دراستي في لوس أنجلوس رأيت أن حلمي في دراسة التاريخ الأخميني قد أصبح قاب قوسين أو أدنى. وكان المشرف الأكاديمي اقترح أن أمضي سنة أو تزيد في جامعة أصفهان لدراسة اللغة الفارسية، ولاكتساب المزيد من الثقافة الفارسية. وراسلت الجامعة، وعانيت الأمرين لإقناع جامعة الملك سعود. وبعد الحصول على الموافقة، وبعد الحصول على قبول من جامعة أصفهان. وقعت الثورة الإيرانية.

وقطعت إيران علاقتها بأمريكا. وهكذا أغلقت الأبواب في وجهي. لقد كان فشلاً يضاف إلى أفشال كثيرة. وهو فشل اضطررت معه أن أغير في برنامج دراستي العليا، لم يعد الفشل يؤثر في كثيرًا، فكلما خططت لأمر لم تنجح خططي. ووصلت إلى قناعة أخرى وهي ألا أضع الخطط بل أسير مع تيار الحياة وأسلم أمري لله. ما أقسى أن يخفق المرء في كل مرة يضع الخطط والبرامج. وكنت أسلي نفسي بهذا البيت:

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده

وليس عليه أن تتم المطالب

- أما الفشل الذي يصاحبني هذه الأيام فهو يتعلق بخطة طموحة تندرج في حلم قديم أن أكتب كتابًا متميزًا يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية منذ القرن الثالث الهجري إلى مفتتح القرن الثاني عشر الهجري. وهي حقبة زمنية لم تكتب بعد على أهميتها البالغة، لأسباب لا داعي للتوسع فيها الآن. وأجد عقبات كأداء تقف في طريقي، وكلما تجاوزت عقبة واجهت أخرى أشد صلابة، ولا أدري أين سأنتهي، ولكنني سأسير مهما تعددت العقبات. بل إنني أردد مع نفسي هذا البيت لعله يخفف من وطأة الفشل المصاحب لهذا المشروع:

فلو كان سهمًا واحدًا لاتقيته

ولكنه سهم وثان وثالث

والسهام كثيرة والعزم واسع، والعمر قصير، والخطط لا تنجح، والأمر لله من قبل ومن بعد. والحق أنني أعتذر عن الإطناب في عرض جوانب من الفشل الذي عرفته في حياتي، ولكنها ضرورة استغراق المسائل وسد الثغرات عند الاستدلال.

وما أنا بآسف على ما مضى، ولا أخجل من قول الحق والصدق. ولا أبرئ نفسي، ولعلها تتحمل جزءًا غير يسير من أسباب الفشل الذي عرفته. وصفة ما قلت لا تحتاج إلى كد الذهن. أو إعمال العقل. فقد علمني الفشل ألا أيئس. فكما خلق الله الضراء خلق السراء. وقليل- ولا أقول كثيرًا- من الأمل يجعل للحياة طعمًا ومعنى. أما مقدار القبول والرضا والقناعة فهي تزيد من الإيمان في القلب. وأولى خطوات السيطرة على الفشل وعلاج تداعياته هو الإيمان.■



عبدالله العسكر

«البنت محسودة»!!

مشاعل العمر ـ الرياض

في إحدى صباحات نهاية الأسبوع فوجئ الأهل بابنتهم ملقاة أمام باب دورة المياه في الدور الأرضي من المنزل، واستغربوا كيف وصلت إلى هنا! أسئلة كثيرة بدأت تطرح ولم يجدوا لها جوابًا منطقيًا وعندما سألوا الفتاة: «هل قمت بالنزول إلى الدور الأرضي؟! أجابتهم: «لا.. كل ما أذكره هو أني نائمة في فراشي.. كيف وصلت إلى هنا؟! لا أعلم».

بدأت هذه الحادثة منذ أن لبست صاحبتنا (دبلة الخطوبة) وتكررت عدة مرات دون أن يجد لها الأهل تفسيرًا. وفي النهاية قالوا: «عين وحسد.. الفتاة وخطيبها في منتهى الجمال.. ومؤكد هذه عين ما صلّت على النبي».

تكررت تلك الحالة الغريبة مع الفتاة وتطورت، حيث أصبحت تعاني في بعض الأحيان كوابيس وهلوسات ومشيًا خلال نومها.

وخلال يقظتها أصبحت تعاني تشنجات تشدّ جسدها من أعلاه لأسفله!

قامت والدتها بأخذها إلى المستشفى وبعد أن تم الكشف عليها وعمل التخطيط اللازم للدماغ أخبرها الطبيب أن ابنتها «مصابة بمرض الصرع.. وأنه مرض عصبي يصيب الدماغ، وأن الأشعة أثبتت أن هناك كهرباء زائدة في المخ».

لم تتقبل الأم والأسرة كلام الطبيب في البداية، فكل ظنهم أن البنت « محسودة».

وهكذا استمر الوضع ولم تتناول الفتاة أية أدوية خاصة بمرض الصرع!

تزوجت صاحبتنا، وفي أول سنة من الزواج بدأت تظهر ملامح معاناتها. اختفت كل الكوابيس واختفى المشي أثناء النوم وغيرها ولم يعد هناك سوى نوبات تشنج حقيقية تصيبها كل عدة أشهر مرة واحدة.

ولذلك قامت الفتاة وزوجها بمراجعة المستشفى من جديد. وما زالت تذكر وجه الطبيب الأمريكي وهو يقول لها بمنتهى القسوة بعد ظهور نتيجة الأشعة: «أنت مصابة بمرض الصرع وهذا مرض سيظل معك إلى أن تصبحي جدة وتفارقي الحياة». وأخذت صاحبتنا في البكاء.. وعندما تساءلت عن سبب إصابتها بهذا المرض الغريب الذي تجهله تمامًا ولم تسمع عنه مسبقًا سألها الطبيب: «هل سبق أن أصابتك إصابات في الرأس؟» أخبرته أنها في صغرها كانت طفلة شقية جدًا وكانت تهوى التزحلق على الدرج من الدور الثاني.

وفي إحدى المرات سقطت على رأسها سقوطًا رأسيًا وأصيبت بكسور وتم إدخالها للمستشفى مدة أسبوعين. رجح الطبيب أن يكون هذا هو السبب في إصابتها بهذا المرض.

وبالرغم من أنها لم تكن مهيئة نفسيًا لمثل هذا الخبر إلا أنها استسلمت للأمر الواقع، وبدأت في تناول وصفة الأدوية طيلة السنوات الثلاث الأولى من زواجها والتي بدأت بحبة واحدة فقط من دواء الصرع المعروف باسم «تجريتول»!

المثير في هذه القصة هي أن أهل الفتاة ينتشر في مجتمعهم خاصة في حفلات الزواج موضوع «المس»، وهو أن تصاب إحدى السيدات بحالة عصبية هستيرية وتقوم بالرقص بشكل جنوني أثناء حفلة الزواج إلى أن تسقط وتغيب عن الوعي، ومن ثم يقوم بعض المدعوين بمحاولة إعادتها لوعيها من جديد، وذلك برش الماء على وجهها وذكر اسم الله عليها.

الغريب أن هذه السيدة تُجيب حين تُسأل عما قامت به بأنها لا تتذكر مما حدث قبل قليل أي شيء على الإطلاق!



وصاحبتنا من صغرها كانت ترى هذه المشاهد باستمرار وتصاب بالرعب والخوف الشديد من فكرة «المس» وفكرة أن يكون هناك جن وأرواح شريرة تتحكم في تصرفات الإنسان وتحوله من إنسان طبيعي إلى إنسان أشبه بالمجنون، إضافة إلى القيل والقال في مجتمعها عن سيدات يمارسن السحر وأعمال الشعوذة، لذلك كان من الطبيعي جدًا أن يتم تفسير ما أصاب صاحبتنا من نوبات تشنج بالعديد من التفسيرات الثابتة وهي: الحسد، والمس، والسحر.. وكان أيضًا من الطبيعي جدًا من صاحبتنا أن تصدق كل تلك التفسيرات لأنها شاهدت أمامها كيف تصرع السيدات في حفلات الزواج والمناسبات.

وبعد مرور ثلاث سنوات من الزواج وإنجابها للطفل الأول بدأت مرحلة جديدة من معاناة صاحبتنا مع مرضها. أول هذه المعاناة هو إصابتها لأول مرة في حياتها باكتئاب شديد لاعتقادها أن ما بها من معاناة هو مس وحسد وسحر، حتى استدعى الأمر والدتها أن تقوم بأخذها لأشهر الشيوخ ممن يقومون بقراءة القرآن على المرضى بغرض الشفاء، رأوا أن ما بها هو «مس من الجن».

بالطبع أثر ذلك على حياتها المهنية والاجتماعية والنفسية، كما أثر على علاقتها بزوجها وتدهورت حالتها الصحية من كل النواحي، مما أدى في النهاية وبعد ١١ عامًا من الزواج إلى انتهاء أمرها بالطلاق!

استمرت تراجع المستشفى بصفة دورية، وبعد عمل الأشعة اللازمة أكد لها الأطباء خلو أعصابها ودماغها من أي أمراض ولا يوجد ما يدل أنها مصابة بمرض الصرع، وأشاروا عليها بمراجعة الطبيب النفسي فربما يكون سبب إصابتها بالتشنجات نفسيًا وليس عصبيًا.

لم تصدق في البداية قول الطبيب وراجعت أكثر من مستشفى للتأكد من حالتها الصحية.

لكن الجميع أكد لها نفس الرأي. وهو أنها سليمة الدماغ والأعصاب تمامًا ولا يوجد على ما يدل على إصابتها بمرض الصرع!

وفي النهاية تحولت إلى الطب النفسي ومن مستشفى إلى مستشفى ومن عيادة إلى عيادة إلى أن وفقها الله (في نهاية الأمر) إلى مراجعة استشاري طب نفسي وعلاج سلوكي تعرف بعد عدة جلسات على تفاصيل حالتها، واكتشف أنها مصابة بانفصام في الشخصية، وأنها تعاني تجربة تحرش جنسي عايشتها في طفولتها. ومنذ ذلك الحين وهي تتعالج بشكل منتظم وتسير في طريقها إلى الشفاء ولله الحمد والمنة. ■

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: د.حمزة عبدالله عقيل أستاذ الإدارة التربوية والتقويم المساعد وكيل كلية التربية- جامعة أم القرى.

حمزة عبدالله عقيل:

مشروع التقويم الشامل للمدرسة رصدت له موارد كبيرة، ولا بد أن يستكمل أهدافه، وإلا تحول إلى مجرد هدر في الموارد

*** عند (التقويم) يكرم المرء أو يهان.**

- بل يكرم المرء بتقويمه دائمًا. هذا المثل يصح إذا أطلق في حالة التقييم فقط، لكن التقويم عملية تتعدى مجرد التقييم بمجرد قياس وإعطاء قيمة. التقويم عملية مستمرة تسهم دائمًا في تعديل المسار ومعالجة نقاط الضعف ودعم نقاط القوة... التقويم خصوصًا في مجال التربية والإدارة أمر صحي على الدوام.

*** الحديث عن التقويم التربوي ثقيل على النفس.**

- يكون ثقيلاً على النفس عندما تسود ثقافة «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان»، وثقافة «ليس بالإمكان أبدع مما كان».. التقويم عند من يمارسونه بشكل علمي سليم وهادف يفتح آفاقًا غير محدودة مما هو أبدع مما كان. ألفاظنا التي نطلقها على عملية التقويم كامتحان أو اختبار أو محك أو فحص هي الثقيلة على النفس وعلى اللسان.

*** لدينا قصور في ثقافة التقويم التربوي.**

- إن كان هناك قصور في فهم البعض لعملية التقويم التربوي، فربما كان ناتجًا عن فهم خاطئ لمفاهيم ذات علاقة بهذه العملية؛ كالجودة التربوية والمحاسبة والمساءلة عن الأداء التربوي وتقبل النقد الموجه لنظام التربية، أضف إلى ذلك أن البعض منا مازال لا يتحرى إلا المديح وتضخيم الإنجازات.

*** التقويم التربوي عملية إدارية بحتة.**

- لا أتصور أن أحدًا يجهل أن التقويم التربوي ليس تقويمًا للخطط والسياسات التربوية فحسب، بل إنه تقويم للعملية التربوية في كافة جوانبها وعناصرها،



- عند التقويم يُكرم المرء دومًا..!
- الامتحانات والاختبارات والمحكات والفحوص.. هي الثقيلة على النفس
- صعوبة الامتحانات تحد من السلوكيات غير المرغوبة
- في وضعنا يجب أن يكون التقويم غاية في ذاته
- بعدي المعيارية والهدفية غير متوافرين في ممارساتنا التقويمية التربوية

ومن أهمها الطالب وتحصيله وجميع جوانب التغير في سلوكه التي تحدثها العملية التربوية. لا أبالغ إذا قلت إن صرامة التقويم وصعوبة الامتحانات -كوسيلة تقويم- قد تحد من السلوكيات غير المرغوبة، فمن الطبيعي أن طالبًا قد شغلت الاختبارات كل وقته، ألا يجد هذا الطالب وقتًا لاكتساب عادات غير محمودة؛ كالتسكع في الشوارع على سبيل المثال. إذًا فالتقويم أداة للتربية بحد ذاته.

*** التقويم التربوي وسيلة وليس غاية في ذاته.**

- صحيح؛ ولكن التقويم التربوي في وضعنا يجب أن يكون غاية في ذاته. تسألني كيف ولماذا؟ فأجيبك أنه ما دام تحري النتائج الإيجابية للتقويم أمرًا ذا أهمية، وإذا كان التقويم التربوي ضابطًا للأفراد (طلاب-معلمين- إداريين) وضابطًا للأداء التربوي، ومطورًا لمحتوى المناهج الدراسية... فليكن غاية، وأنعم بها من غاية.

*** لدينا تقويم لمجرد التقويم... تقويم والسلام.**

- أخشى أن يكون الوضع كذلك، أخشى أن يكون بعدا المعيارية والهدفية غير متوافرين في ممارساتنا التقويمية التربوية. التقويم لابد أن يكون منفذًا في ضوء معايير للأداء والجودة التربوية، ويجب أن يكون مرتبطًا على الدوام بالأهداف التربوية تأثيرًا وتأثرًا من خلال التغذية الراجعة لعملية التقويم.

*** قد تتوفر لدينا عملية تقويم تربوي سليمة وفق كل المعايير.. ولكنه لا يتم اتخاذ قرار تربوي واحد بناء على نتائجها ومؤشراتها.**

- عندها يكون لدينا تقويم والسلام كما قلت في إحدى عباراتك قبل قليل. أي عملية تقويم في أي مجال كان لا يتم اتخاذ قرار بناء على نتائجها، فهي عملية عبثية لا معنى لها. التقويم واتخاذ القرار عمليتان متلازمتان على الدوام. بل إن عملية اتخاذ القرار أو صنع القرار ما هي إلا عملية تقويم دقيقة للبدائل المتاحة للاختيار فيما بينها واتخاذ القرار بتنفيذ أفضلها.

*** تحول التقويم التربوي على مستوى العالم من تقويم التعلم إلى التقويم من أجل التعلم. وما زلنا ندور في فلك الأول.**

- أرجعك إلى الحديث السابق عن اقتران التقويم التربوي باتخاذ القرار التربوي. متى قمنا بعملية تقويم تربوي سليمة وفق كل المقاييس، ثم استفدنا من نتائج هذا التقويم كتغذية راجعة ثم اتخذنا -بناء عليها -قرارات رشيدة بإدخال التعديلات اللازمة لخدمة أهداف التعلم ووفق معايير مدروسة، فنحن نقوّم من أجل تحسين التعلم أي من أجل التعلم، وليس مجرد تقييم (من إعطاء قيمة) لنواتج التعلم وكفى.

*** هناك التقويم التربوي على المستوى الوطني وهناك التقويم التربوي على مستوى الممارسة الصفية. نحن نهمل الأول ونهتم بالثاني كثيرًا.**

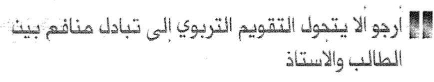
- لكل منهما أهداف معينة، وإن كانت نتائج الأول (التقويم الوطني) ليست إلا محصلة نهائية وترجمة لنتائج الثاني (التقويم الصفي). لم أر أخبارًا في مجلتكم عن التقويم الوطني منذ فترة طويلة.

*** قد تكون عملية التقويم التربوي مكلفة إلى الحد الذي يلغي فاعليتها وكفاءتها.**

- نعم فالفاعلية والكفاءة من أهم مميزات التقويم التربوي السليم، الفاعلية والكفاءة مرتبطتان بمدى خدمة التقويم التربوي للأهداف التي يتم تنفيذه من أجل تحقيقها. مع مراعاة للموارد



التقويم التربوي عملية تتضمن الأفراد والأداء والبرامج



أرجو ألا يتحول التقويم التربوي إلى تبادل منافع بين الطالب والأستاذ

حمزة عبدالله عقيل

حيث تقل الرقابة الإدارية والتربوية ترتفع نتائج الطلاب ومعدلاتهم في الثانوية

والإمكانات وحسن توظيفها.

*** الاختبارات الوطنية لخريجي الثانوية العامة تجرى لعدة أغراض منها المحاسبة وتحسين العملية التعليمية والاعتماد عليها في القرارات التربوية وغيرها، نحن لا نستخدمها إلا لغرض المحاسبة فقط.**

- لم أسمع أن أحدًا وجهت إليه محاسبة في نظامنا التربوي بناء على نتائج الاختبارات الوطنية. التقويم التربوي عملية تتضمن الأفراد والأداء والبرامج، وجميعها جوانب تتطلب المحاسبة واتخاذ القرارات بشكل مستمر لا يتوقف إلا بتوقف العملية التربوية نفسها.

*** بحوثنا التربوية سواء الأطروحات العلمية في كليات التربية أو بحوث الأكاديميين... جميعها تنتهج طريقة حل المشكلات، بينما تندر البحوث التقويمية لجوانب العملية التربوية.**

- غير صحيح، ناقشت وأشرفت على العديد من الرسائل العلمية، وكثير منها دراسات تقويمية، ثم إنه ليس هناك تعارض بين أسلوب حل المشكلات وأسلوب الدراسات التقويمية، فتحديد مشكلة ليس إلا تقييمًا لوضع معين، واقتراح التوصيات ليس إلا تقويمًا مقترحًا للوضع.

*** تشعب العملية التربوية يجعل من تقويمها الشامل أمرًا أشبه بالمستحيل.**

- صحيح أن العملية التربوية متشعبة، ولكن الذي ليس بصحيح هو أنها مستحيلة التقويم، ورغم تشعب العملية التربوية إلا أنه يمكن اختصارها من الناحية النظرية لتنفيذ عملية التقويم التربوي في ثلاثة مجالات هي: الأفراد (طلاب- معلمون- إداريون- وغيرهم) والأداء (تعليمي- إداري- فني...إلخ) والبرامج (محتوى المناهج وطرق التدريس وإجراءاته ووسائله).

*** الطالب يقوّم الأستاذ، كما أن الأستاذ يقوّم الطالب، أسلوب انتهجته بعض الجامعات السعودية مؤخرًا.**

- هو أسلوب جيد في التقويم التربوي، إلا أنه يحتاج إلى شيوع ثقافة التقويم التربوي التي أشرت إليها في أولى عباراتك. ما لم تشع ثقافة التقويم التربوي السليمة كعملية تهدف إلى تحسين الأداء والبرامج والأفراد، فمن المحتمل احتمالاً كبيرًا أن تتحول عملية التقويم المتبادلة بين الأستاذ والطالب، إلى عملية تبادل منافع بين الطالب والأستاذ، بغض النظر عن الأداء التعلمي والتعليمي.

*** تقويم مدير المدرسة للمعلم قد يأتي بنتائج متناقضة مع نتائج تقويم المشرف التربوي، بل قد يتناقض تقويم المعلم من مدير إلى مدير ومن مشرف إلى مشرف.**

- ذاتية القائم بالتقويم، أو ما يسمى خطأ الهالة أو تأثير الأفكار المسبقة عن مجال التقويم، قد تؤثر في التقويم. لكن أدوات التقويم السليمة كافة تخضع لعدد من الخصائص والمعايير التي تكفل سلامتها لعل من أشهرها بين التربويين خاصيتا الصدق

مهما رفعت الجامعة نسب القبول فستتضخم نسب الطلاب وستبقى مشكلة القبول والاستيعاب قائمة !

طالب الثانوية فرد يضاف إلى أسرة المدرس الخصوصي أيام الامتحانات

كن جميلاً ترى اختبار القدرات جميلاً !

Validity والثبات Reliability، والأخيرة تعني ألا تتأثر عملية التقويم بشخصية من يجري التقويم ولا بأفكاره المسبقة.

*** حيث تقل الرقابة الإدارية والتربوية ترتفع نتائج الطلاب ومعدلاتهم في الثانوية العامة.**

- ما تقوله أمر ملاحظ وظاهر للعيان، بل إن بعض الطلاب عند وصوله إلى نهاية المرحلة الثانوية ينتقل على الفور إلى إحدى المدارس في المناطق القروية أو النائية، وتكون النتيجة المتوقعة حصوله على معدل عال لا تصدقه نتائجه في المراحل السابقة. لقد حان الوقت لاتخاذ أحد قرارين أو كلاهما؛ إما تجويد الرقابة على كافة المدارس الثانوية في أي مكان من المملكة، أو إعادة النظر في جعل معدل الثانوية العامة معيارًا للقبول في الجامعة.

*** مشكلة المشكلات لدينا أن نظامنا التعليمي تحول من غاية العلم والتعلم إلى غاية اجتياز الاختبار... واختبار الثانوية العامة تحديدًا.**

- إذا كان اختبار الثانوية صارمًا ودقيقًا ونزيهًا واجتيازه خاضعًا للرقابة في كل مراكز إجرائه، فهو في النهاية يتطلب اهتمامًا من قبل الطالب وأسرته. سمّه غاية أو سمّه وسيلة، غير مهم، المهم هو خدمته للأهداف التربوية المحددة.

***التقويم التربوي لدينا منفصل عن العملية التعليمية، ولا يأتي إلا بعد انتهاء العام الدراسي وقت الاختبارات فقط، بحيث لا يمكن تدارك نواحي القصور فالطالب في إجازة.**

- نعلّم طلاب التربية دائمًا أن التقويم التربوي عملية مستمرة، وأن منه القبلي والأثنائي/التكويني والبعدي، والأخير يتحول إلى الأول خلال الانتقال من صف إلى الذي يليه ومن مرحلة إلى المرحلة التي تليها... وهكذا. ووجود نواح للقصور قد يعني دخول اختبار الدور الثاني، وقد يعني الإعادة في أسوأ الأحوال. لابد أن يكون للطالب سجل تقويمي شامل يرافقه خلال تنقله في السلم التعليمي، وهو موجود بالفعل لدينا، لكن التساؤلات تثار حول الدقة والمصداقية في استخدام هذا السجل الشامل.

*** الاختبار التحصيلي هو الوسيلة الوحيدة لتقويم الطالب في مؤسساتنا التعليمية.**

- عممت وزارة التربية والتعليم أسلوب التقويم المستمر في المرحلة الابتدائية، وعندما نطلع على استمارة التقويم المستمر في الصفوف الابتدائية نلحظ أن هناك اهتمامًا بمهارات الأداء والجوانب المتعلقة بالوجدان والقيم، إضافة إلى الاهتمام بالجوانب المعرفية التي تقاس وتقوم من خلال الاختبارات التحصيلية.

***«نحن أمة الاختبارات (يقصد الولايات المتحدة الأمريكية)؛ فالاختبارات تلاحقنا من قبل دخولنا المرحلة التمهيدية وحتى آخر حياتنا.. والمشكلة الكبرى أن نتائج هذه الاختبارات هي التي تحدد مسيرة حياة أي منّا (فاليري ستروس — كاتب صحفي في صحيفة واشنطن بوست)**

- ولكن الاختبارات هناك ليس بمستوى الرهبة التي تحظى بها لدينا هنا، وإذا كانت نتائج الاختبارات هناك لا تخدم طالبًا في مجال معين فلديه عدد لا نهائي من الفرص التعليمية والوظيفية؛ لو كانت الاختبارات هناك بنفس أوضاعنا المحلية لانتحرت تلك الأمة الأمريكية.

هناك يوجد تقويم، ونحن في ممارساتنا التربوية

نستخدم مستوى التقييم فقط. كما أننا نحيط عملية التقييم بألفاظ مخيفة؛ كامتحان على سبيل المثال.

*** رفعت الجامعة نسبة الثانوية العامة المطلوبة لدخولها، فأنتج ذلك تضخمًا وازديادًا في معدلات الطلاب، وبقيت مشكلة القبول والاستيعاب قائمة.**

- الأولى نتيجة للثانية، ومهما رفعت الجامعة نسب القبول فستزداد أعداد الطلاب الحاصلين على النسب المطلوبة، وستبقى مشكلة القبول والاستيعاب قائمة. الحل ليس في رفع نسب القبول. الحل يكمن في التخطيط السليم للتعليم العالي وتحرّي البدائل التمويلية التي تكفل نمو القاعدة الاستيعابية لمؤسسات التعليم العالي، أو توافر فرص وظيفية ملائمة ومغرية لخريجي الثانوية العامة.

*** معيار معدل الثانوية ما زال العامل الحاسم في دخول الجامعة.**

- ربما، ولكن المركز الوطني للقياس والتقويم قد دخل إلى الساحة، كما أن هناك العديد من مؤسسات التعليم العالي لدينا تجري اختبارًا للقبول؛ وإن كان النصيب الأكبر يعود لمعدل الثانوية العامة. التكامل والتوازن بين هذه المعايير التقويمية مطلوب.

*** جعل معدل الثانوية العامة تراكميًا للسنتين الأخيرتين من هذه المرحلة... قرار اتخذته وزارة التربية والتعليم مؤخرًا.**

- في كل الأحوال مثل هذا القرار يتطلب تثقيف الطالب والأسرة في مجال حساب المعدلات التراكمية ومفهومها وكل ما يتعلق بها.

*** في دول عربية مجاورة يكون المدرّس الخصوصي فردًا مؤقتًا يضاف إلى أفراد العائلة في موسم امتحانات الثانوية العامة.**

- لدينا يكون طالب الثانوية فردًا يضاف إلى أسرة المدرس الخصوصي أيام الامتحانات، لا تنسى أنه لدى أبنائنا سيارات، قد لا تتوافر مثلها للمدرسين الخصوصيين.

*** غموض أسئلة الثانوية العامة وصعوبتها وتسربها.وعدم عدالتها.. مشكلات موسمية سنوية ما زلنا نعانيها.**

- الحل يكمن في عدم مركزية اختبارات الثانوية العامة. وأعتقد أن الوزارة اتخذت إجراءات هامة في هذا المجال من أهمها إلغاء المركزية التي تنجم عنها مثل هذه المشكلات.

*** هناك دورات تدريبية تقام اليوم بغرض اجتياز الاختبارات المقنّنة كاختبار القدرات والتوفل والجي آر إيه وغيرها... رغم أن هذه الاختبارات من المفترض أن تقيس مهارات متراكمة طوال المشوار الدراسي.**

- بالنسبة للاختبارات العالمية فتلك الاختبارات تتطور وتتنوع بحيث تتمتع بقدر من الصدق والثبات على الدوام. أرجو أن يتمتع اختبار القدرات الذي يقدمه المركز الوطني للقياس والتقويم لدينا بعملية تقويم مستمرة لصدقه وثباته وموضوعيته وكافة خصائصه.

*** الاختبار الأصلي (SAT) لاختبار القدرات المطبق لدينا، تحول تحولاً جذريًا في موطن نشأته... والمركز الوطني للقياس والتقويم ما زال مصرًا على جدارته في صورته الأولى!! (نعيمان عثمان- كاتب سعودي وأستاذ للأدب الإنجليزي).**

- الأمر يحتاج للتحقق، كما أن الطالب السعودي



حمزة عبدالله عقيل

يختلف عن الطالب الغربي في شخصيته وفي ثقافته، وبالتالي يختلف الأسلوب الملائم لقياس مهاراته. قد يكون للمركز الوطني للقياس والتقويم وجهة نظر في المسألة... اسألهم.

*** يدّعي المركز الوطني للقياس والتقويم أنه جهة مستقلة، بينما يرأس مجلس إدارته وزير التعليم العالي وجميع موظفيه موظفون حكوميون!!**

- يكفي على الأقل أن يكون مستقلاً عن وزارة التربية والتعليم (يضحك). هيئات التقويم والاعتماد التعليمي يجب أن تكون مستقلة عن المؤسسات التعليمية التي تقومها.. هذه من أبسط أبجديات هيئات التقويم والاعتماد ومراكزها الوطنية.

***اختبار القدرات السعودي مسخ (عنوان صحفي)**

- غيرك يراه جميلاً... كن جميلاً ترى اختبار القدرات جميلا. ولا أعني العكس بالعكس. الحقيقة أنه عند نقل أي تجربة تربوية من أي نظام تعليمي متقدم إلى نظام تعليمي آخر يحتاج إليها، فإنه ينبغي



مراعاة العديد من المتغيرات التي تختلف من هذا البلد إلى ذاك، هذا ما تقوله جميع مدارس التربية المقارنة.

*** قانوننا التربوي في المملكة هو أن من قُبل في الجامعة سوف يتخرج طال الوقت أم قصر.**

- هذا القانون غير المعلن جاء لتغطية خطأ سوء المواءمة بين اختبارات القبول وشروط الاستمرار في الجامعة وشروط التخرج فيها... بعبارة أخرى سوء تنفيذ عمليات التقويم القبلي والتقويم الأثنائي (المرحلي) والتقويم الختامي.

*** طريقة الاختبار الموضوعي من الطرق التي يفضلها التربويون في مجال التقويم التربوي حول العالم... ونحن لسنا استثناء.**

- ولكن العالم المتقدم تربويًا يطبقها حسب أصولها العلمية. نحن لا نطبق هذه العملية بشكل علمي صحيح، خذ على سبيل المثال: يعتبر زمن الإجابة جانبًا مهمًا من جوانب طريقة الاختبار الموضوعي، بمعنى أنه لكل فقرة زمن إجابة إذا تجاوزه الطالب اختلت عملية التقويم وفق هذه الطريقة، نحن نعطي طلابنا وقتًا مفتوحًا وفق هذه الطريقة يتيح مجالاً للكثير من الأمور التي تقلل من مصداقية الاختبار الموضوعي كاختلاس الإجابة على سبيل المثال. ناهيك أن عملية بناء فقرات أسئلة هذا النوع من الاختبارات تحتاج إلى قدر كبير من المهارة الفنية التي قد لا يتقنها كل معلم، وأتصور أن بنوك الأسئلة قد تحل هذه المشكلة، عندها لا يتبقى للمعلم إلا أن يراعي الأوزان النسبية لمحتويات المقرر في اختيار الأسئلة.

*** Qualrus وE-Rater برامج حاسوبية إلكترونية يدعي مهندسوها ومصمموها قدرتها على تصحيح الاختبارات التحصيلية المقالية، في ثوان معدودة والاستغناء بالتالي عن جهد الأستاذ في هذا المجال.**

- لا أتوقع ذلك، إلا في حالة أن تصاغ إجابات نموذجية خالصة للاختبارات المقالية، وعلى العموم الاختبار المقالي يحتاج إلى مقوم (إنسان) يقرؤه ويفسر ما كتبه الطالب وفق معايير ومفاهيم متفق عليها وليس وفق عبارات محددة يجب أن يكتبها الطالب، وعندها يتحول الاختبار المقالي إلى اختبار موضوعي من نوع خاص.

ستكون الفائدة أكبر والكلفة أقل لو أسند مشروع التقويم الشامل لجهة دولية!

نحن لا نطبق الاختبارات الموضوعية بطريقة سليمة

التقويم المستمر في مدارسنا نقل مسؤولية التحصيل من المدرسة ومنسوبيها إلى الأسرة

*** التقويم المستمر في مدارسنا الابتدائية.. جاء لأغراض تربوية اقتصادية بحتة.**

- إذا طبق التقويم المستمر وفق لائحة التقويم المعلنة، وتم تدريب المعلمين على تنفيذه بطرق سليمة وواعية فذلك يدحض مثل هذه التهمة، رغم أن الاقتصاد التربوي ليس تهمة على كل حال.

*** التقويم المستمر يقوم على أسلوب الملاحظة بديلاً لأسلوب الاختبار التحصيلي.. ولكن المعلمون يفضلون الأخير.**

- الملاحظة والاختبار التحصيلي أداتان من أدوات التقويم. والملاحظة من أفضل أدوات التقويم المستمر إن لم تكن أفضها وأكفأها على الإطلاق. والتقويم المستمر يستخدم أكثر من أداة منها الملاحظة ومنها الاختبار التحصيلي في فترات متلاحقة ودورية. ليس هناك تعارضًا بين التقويم المستمر كأسلوب للتقويم وبين الاختبار التحصيلي كأداة للتقويم.

***التقويم المستمر أراح المعلمين من إعداد الاختبارات.**

- التقويم المستمر في مدارسنا نقل مسؤولية التحصيل من المدرسة ومنسوبيها إلى الأسرة، في حين أنه من المفترض أن تكون المسؤولية مشتركة.

***التقويم الشامل للمدرسة تجربة من تجارب وزارة التربية والتعليم، وهي من تجارب الوزارة التي تبدأ قوية ثم تضعف لتضمحل في النهاية.**

- في هذا استنزاف لموارد الوزارة. والموضوع يحيلنا إلى ارتباط التقويم بالمساءلة. مشروع التقويم الشامل للمدرسة رصدت له موارد كبيرة، ولا بد أن يستكمل أهدافه، وإلا تحول إلى مجرد هدر في الموارد.

*** قلصت وزارة التربية والتعليم الاهتمام بمشروع التقويم الشامل للمدرسة قبل نهايته.**

- ربما جاء هذا الإجراء لأن هذا المشروع كشف المستور، وتم التعامل معه وفق مقولة (الباب الذي يأتيك منه الريح سده واستريح) كما قرأت في إحدى الصحف. وقد يكون الأمر لأن هذا المشروع الهام تم طرحه دون الإعداد الجيد له فلم يتم الحكم بدقة على الواقع الميداني كما لم تكن هناك خطة عمل. وأتمنى أن يكون هذا الإجراء لرفع فاعلية وكفاءة التقويم الشامل.

*** القائمون على مشروع التقويم الشامل للمدرسة يقوّمون المدارس بحسب علاقة مديرها مع فريق التقويم.**

- من المتوقع ذلك، والعلاج يكمن في استقلال الجهة القائمة بالتقويم الشامل، لا أن يكون أفراده من منسوبي الوزارة.

*** العيب في تطبيق مشروع التقويم الشامل للمدرسة لدينا أن الاستمارات منقولة من التجربة البريطانية دون النظر إلى طبيعة الميدان التربوي المحلي.**

- قلت لك قبل قليل إن التجارب التربوية المقارنة لا بد أن يتم مواءمتها، هذه أبسط أسس الدراسات والتجارب التربوية المقارنة.

حمزة عبدالله عقيل

***«كنا نستخدم سياراتنا الخاصة مما أثقل كاهلنا..» (تصريح لأحد أعضاء فرق التقويم الشامل).**

- أتوقع أن البدلات المتعلقة بالمواصلات والسكن تحسب بداهة من ضمن تكلفة مشروع كهذا، وإلا لماذا ترصد له تلك المبالغ التي سمعنا بها؟! أنا لا أتهم أحدًا بقدر ما أدعو إلى التحقق من مثل هذه المقولة.

*** تم إشراك بعض مديري المدارس مع فرق التقويم الشامل من باب المجاملة والواسطة.**

- عودًا إلى مسألة استقلالية جهة التقويم التي سوف تقفل أبواب المجاملة والواسطة وعدم الموضوعية وعدم المصداقية وغيرها مما يجعل التقويم الشامل هدرًا تربويًا لا أكثر.

***التقويم الشامل لم يكن فاشلاً في مضمونه وأهدافه، فلقد كانت طموحاته كبيرة غير أنها ارتطمت بصخرة الإمكانات (أحد أعضاء فرق التقويم الشامل).**

- الإمكانات والموارد لا يقصد بها في كل الأحوال الموارد والإمكانات المادية فقط، بل تشمل الإمكانات والموارد البشرية. عندما يكون فريق التقويم متمتعًا



بالاستقلالية وبالموارد البشرية المتخصصة والمدربة، فلن تعوقه الموارد المادية إلا إذا وصلت إلى حد العجز.

***«فترة إعداد فريق التقويم الشامل لم تكن كافية والدليل عدم وضوح الرؤية لدى بعض أفراده» (عضو آخر في فريق التقويم الشامل).**

- لا أدري لماذا لم يتم إسناد التقويم الشامل إلى جهة مستقلة متخصصة، حتى لو كانت أحد بيوت الخبرة الدولية المتخصصة. في تقديري الشخصي أن التكلفة سوف تكون أقل والفائدة سوف تكون أكبر.

*** التقويم الشامل للعملية التربوية مسؤولية فريق التقويم الشامل وحده.**

- مشروع التقويم الشامل لا بد وأن يكون تنسيقه وارتباطه بأكثر من جهة في الوزارة مثل الشؤون المالية والصيانة والوحدة المدرسية وشؤون المعلمين بل قد يتجاوزها إلى ما هو خارج الوزارة مثل الجامعات أو حتى الجهات الأمنية أحيانًا وغيرها.

***الإعلام التربوي.. قصّر في تنوير الرأي العام بحقيقة وأهداف مشروع التقويم الشامل للمدرسة؟**

- على مجلة «المعرفة» أن تقوّم جهدها في هذا الموضوع. مع رجاء تزويدي بنتيجة التقويم لأتخذ قرارًا بالاشتراك في المجلة من عدمه. ولكن هل للرأي العام يد في التقويم الشامل باستثناء اشتمال فرق التقويم على عدد من أولياء أمور الطلاب؟ هل طرح الموضوع من خلال العديد من الاستطلاعات والتحقيقات الصحفية المتقنة، وأثير من خلال وسائل الإعلام الأخرى كقضية أمة؟! وسائل الإعلام التربوي لدينا تتحدث كثيرًا عن تقرير الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان «أمة في خطر» Nation at Risk وعلى ما أحدثه ذلك التقرير في نظام التعليم الأمريكي، ولا تسلط الأضواء بنفس القدر على مدى الأخطار التي تحيق بنظامنا التربوي من جميع نواحيه.

***الحوافز المادية لأعضاء فرق التقويم الشامل.. قد تجلب إليه غير الأكفاء.**

- نذهب ونعود إلى مسألة الاستقلالية في مشروع التقويم الشامل والاعتماد الأكاديمي...إلخ. السلام عليكم.

حمزة عبدالله عقيل

لغة المساء والسهرة

عبدالغني رجب ـ القاهرة

- أمتلك تلفازًا ملونًا. وعندما فسد قمت بإصلاحه بنفسي فتحول إلى أبيض وأسود. وعندما تلف مرة أخرى قمت بإصلاحه أيضًا فتحول إلى أسود وأسود واختفت الصورة تمامًا وأصبحت أستخدمه كمذياع. وعندما تلف للمرة الثالثة قمت بإصلاحه بنفسي فتحول إلى رف أضع عليه التحف المقلدة والحلي الزائفة وصور أعدائي.

- المسخوط في العامية المصرية هو الكائن الممسوخ. وقد يكون بالغ القصر أو مشوه الخلقة. عندما شاهدت جدتي «نبوية» التلفاز للمرة الأولى وشاهدت الممثلين بداخله تعجبت كيف دخلوا هذا الصندوق فلا شك أنهم (كما اعتقدت) مساخيط تم مسخهم لذنوب ارتكبوها.

- كان النجم السينمائي شهيرًا جدًا يعرفه الناس كلهم وقد قال لي إنه وصل لمكانته الفنية الكبيرة بدعاء الوالدين، فقد كان ابنًا عاقًا لأمه التي كانت تدعو عليه دائمًا أن يفتضح بين الخلق ويشاهده كل الناس وقد كان!

- تشاهد من خلال التلفاز أناسًا لا تحب أن يدخلوا بيتك وتأنف أن تتعرف عليهم لكنهم يقتحمون بيتك بوقاحة من خلال أفلام التلفاز. والغريب أنك ترحب بهم وتستبقيهم لنهاية الليل!

- إنني لا أشاهد فيلمًا إلا إذا كنت قد شاهدته من قبل وتأكدت من قيمته الفنية. ولذلك لا أشاهد أفلامًا على الإطلاق.

- ونحن أطفال كنا نسمع عن فيلم عالمي اسمه (لا ترسل لي زهورًا) وهو من الأفلام القديمة الرومانسية. وكنت أعتقد أن بطلة الفيلم تحذر من إرسال الزهور فهي تريد منه أن يرسل حلوى. فالزهور سوف تذبل وهي لا تؤكل.

- عندما كنا في المرحلة الثانوية كان التلفزيون شيئًا جديدًا في مصر، والغالبية العظمى من الأسر لا تمتلك جهازًا للتلفزيون وكانت المدارس تعاني نقصًا شديدًا في المعلمين، فتفتق ذهن مدير التعليم عن تقديم الدروس في التلفزيون على أن

يشاهدها ثلاثة فصول مرة واحدة في القاعة الكبرى في كل مدرسة. لم يكن الطلبة يعرفون عن التلفزيون أكثر مما سمعوه أنه يعرض أفلام النجم الفكاهي المحبوب «إسماعيل يس» وعندما أطفئت الأنوار كالسينما بعد أن تجمع أكثر من مائة وخمسين طالبًا، وبدأ الدرس التلفزيوني رفض الطلبة الاستمرار في الدرس وتعالى الضجيج، فقد كانوا يتوقعون أن الذي يعطي الدرس هو النجم المحبوب «إسماعيل يس» ويعاونه النجم «رياض القصبجي» في دور «الشاويش عطية».

– الناس يضحكون ويبكون أمام التلفاز أكثر مما يضحكون ويبكون في الواقع، حيث إنهم يستعيرون شخصيات من يرونهم في التلفاز فيفقدون ذواتهم.

– أجمل هواية هي هواية مشاهدة التلفاز وهو مغلق، وخاصة قناة التلفاز الخاصة بالأغاني الحديثة.

– في إحدى المدن الفاضلة لا يوجد لصوص ولا مجرمون أو متسولون أو ضرائب ولا بطالة ولا تلفاز.

– إذا كان الكومبيوترهو لغة العصر فلاشك أن التلفاز هو لغة المساء والسهرة.

– بعض الفتيات يردن أزواجًا مثل التلفزيونات بقنواتها المتعددة مع أجهزة للتحكم عن بعد!

– كانت تخاف أن يموت زوجها قبل أن يسدد آخر أقساط التلفاز فستعيده الشركة وتحرم هي من مشاهدته.

– حين افترق الزوج عن زوجته أخذ الزوج الأولاد ليربيهم وأخذت الزوجة التلفاز ليربيها.

–التلفزيون يقوم بدور الأم والجدة في قص الحكايات لكن بدون الحنان الذي تضفيه الأم والجدة على حكايتها والذي هو أهم من الحكاية كلها. ■

«اشلون أولادك» ؟

وفاء بكر يونس. الرياض

أجمل أوقات حياتي التي علمتني العفوية في التصرفات والكلمات كنت أقضيها في رياض الأطفال- عالم البراءة الذي لا يعرف غير الصدق والحب.. يفكر فقط في يومه وينام ليستقبل يومًا جديدًا مشرقًا!

في رياض الأطفال كانت لي تجربة جميلة مع صديق ما زلت أتذكره ولن أنساه.. اسمه الأول «سلطان» ومن تمسكي بصداقته وذكرياته طلبت من أخي أن يطلق اسم سلطان على ابنه! صديقي العزيز الآن في الصف الرابع الابتدائي.

في حلقة من الحلقات الصباحية كنت «مربية صف» لأطفال مرحلة التمهيدي. وكنت أدرسهم «وحدة العائلة». وكان هدف الحلقة التعرف على أفراد العائلة. وكانت هذه الوحدة تثير الأطفال للحديث عن أمهاتهم وآبائهم وإخوتهم وأقاربهم.

كأي معلمة أحب أن يكون الأطفال هم من يستخرج موضوع الحلقة من خلال فهمهم واستيعابهم. وبالفعل حققت هدفي وتوصل الأطفال إلى الموضوع.

بعد ذلك قلت لهم إني أم كباقي الأمهات. فوجئت بسلطان يقول: أنت أم؟!.. كيف تصبحين أمًا وأنت تلعبين بالمكعبات وتشربين الحليب وتركبين «المرجيحة» وتنشدين الأناشيد؟!

سألتهم: هل تريدون أن تتعرفوا على ابني؟ تعجب سلطان وقال: أنت عندك ابن؟! ما أصدق! أخرجت صورة ابني وكان عمره عشرين عامًا، وعلق جميع الأطفال على الصورة، ولكن سلطان كانت أسئلته مثيرة جدًا: هذا الرجل الكبير ابنك؟! فقلت: ما رأيك أن تتعرف على ابنتي؟ وأخرجت صورتها، فقال الأطفال: شعرها أطول من شعرك وأجمل.. فقلت: عندي ابن ثالث أيضًا، وأخرجت صورته وهو يركب الدراجة، فضحك الأطفال وكل واحد منهم يقول: أنا عندي دراجة مثله.. ولكن سلطان تساءل: كيف حصل على هذه الدراجة؟! فأخبرته أن والده اشتراها له...

أولادي عندهم أب هل تريدون أن تتعرفوا عليه، فصرخ الجميع: نعم، ومن بينهم قال



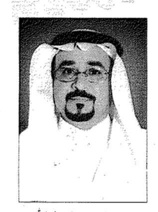
سلطان: أتحدى إذا كان عندهم أب. أخرجت صورة تضم زوجي وأولادي الثلاثة. مجموعة من الأطفال علق: أبوهم يلبس عقالاً وثوبًا... أين يشتغل؟ عنده فلوس كثير؟.. ناقشت معهم عمل الأب وأوضحت لهم أن آباءهم يعملون ليصرفوا عليهم.

اقترحت عليهم بعد ذلك أن يقابلوا ولدي الصغير.. هنا في الصف فهتفوا جميعًا: نعم.. نعم.. وفي هذه الأثناء دخل ابني هشام (طبعًا كان دخوله بناء على اتفاق مسبق بيني وبينه).

دخل هشام بملامحه الحازمة الصف، وألقى التحية.. ومن بين الأطفال انسلّ سلطان ووقف بجوار هشام قائلاً له: أنت طويل جدًا وفي الصورة قصير وصغير! أصبح هشام الصديق المفضّل لسلطان طوال زيارته ذلك الصباح حتى غادر.

الجميل في التجربة أن سلطان كان الوحيد الذي يسألني «وين ابنك هشام.. ليش ما يجي يزورنا مرة أخرى» أو يسأل «اشلون أولادك». وفي بعض الأحيان يناديني: «يا أم هشام» بدل «معلمة وفاء»! ■

دع الصين نائمة



د.عبدالعزيز الجارالله
a4193135@hotmail.com

عبارة نابليون: «دع الصين نائمة لأنها عندما تستيقظ فسيندم العالم» قد لا تكون مطابقة للواقع زمن نابليون في القرن التاسع عشر عندما قالها لكنها الآن أكثر مطابقة من أي زمن مضى..

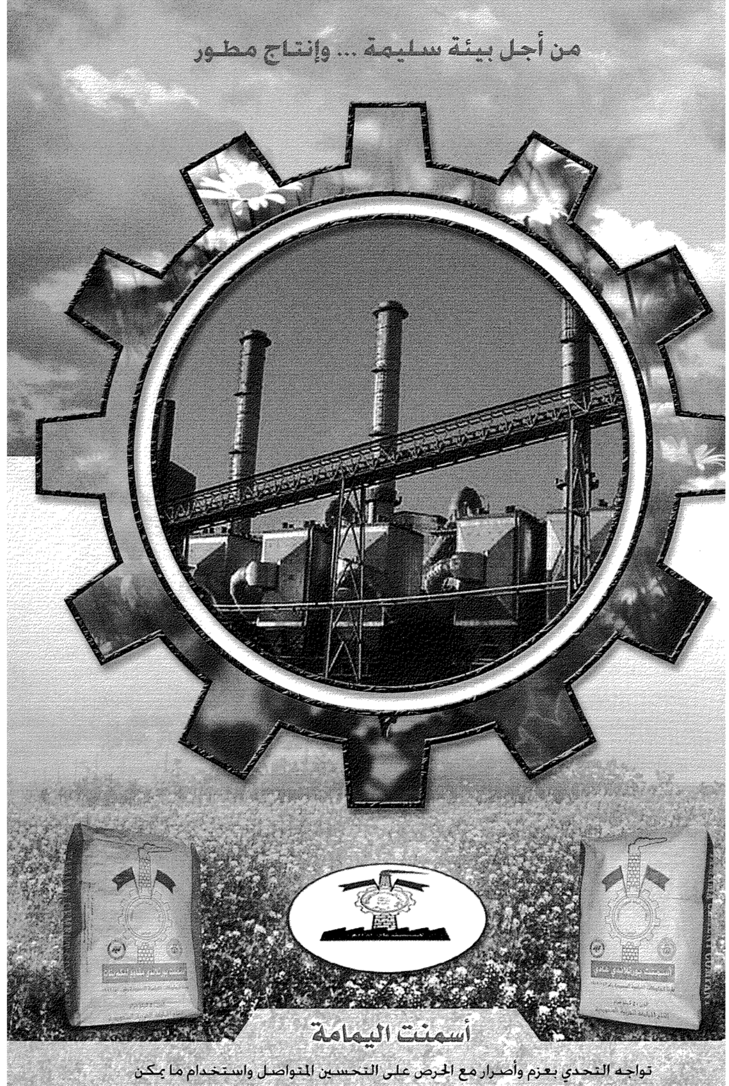
الآن استيقظت الصين والعالم يعيش حرب رياضيات وفيزياء، حرب المهندسين وعلماء العلوم الطبيعية. ما نعيشه هو حرب الاقتصاد والأرقام والاكتشافات ومراكز الرياضيات، ومختبرات الفيزياء ومعامل الكيمياء.

المجتمع العربي ما زال في زمن القصيدة والتفكيكية واللسانيات وبيت القصيد وديوان العرب.. المجتمع العربي ما زال غارقًا في تفاصيل لتاريخ ليس لكونه عبرًا ودروسًا بل لأنه الأمس. العرب ما زالوا مشغولين بالخط الفاصل ما بين الزمن الأموي والعباسي، ومتى ظهر المغول، وهل السلاجقة دويلة أو دولة، ومتى انتهت الخلافة العباسية في بغداد، والفاطميون هل مدوا نفوذهم على البحر الأحمر، والقرامطة هل سيطروا على اليمن؟

هذا هو حالنا العربي، فنحن مشغولون بالتفاصيل بالقصيدة المدورة والتاريخ الذي يعيد نفسه.. والصين التي كنا نترافق معها تاريخيًا منذ أن وصلنا شواطئها ومدنها في القرن الثاني الهجري ونشرنا إسلامنا على أنهارها وحقول الرز و(ترع) طين البورسلان والخزف الصيني المعتق منذ أن كنا نترافق ونتواصل بدءًا من بحر العرب والمحيط الهندي وحتى أقاصي ما نسميه بلاد ما وراء النهرين وبلاد الجبال منذ ذلك الزمن والصين تتباعد عنا تكنولوجيًا وتقنيًا، تتباعد بالاقتصاد والعلوم والاختراع والتعليم، تتباعد بكل شيء عنا ونحن العرب ما زلنا في أحلامنا نرسم خريطة عرب الشمال وجغرافيا ناس الجنوب...

الصين على أبواب أمريكا وأمريكا تسترق السمع والنظر وترقب الصين لتنام بعين وتصحو عين تراقب الصين المتحفزة.. الصين على أبواب أمريكا بانتظار ما يسميه الأمريكان الخمسين سنة القادمة ويطلق عليه أهل الصين المحاولة الثامنة التي سبقها سبع محاولات لأن لديهم اعتقادًا أن الذي يفشل سبع مرات سينجح في المحاولة الثامنة.

ومقولة نابليون التي حذر منها قد تحققت، فالصين استيقظت وعلى العالم أن يندم عسكريًا واقتصاديًا وتقنيًا، أما نحن عرب البحر المتوسط والأحمر والخلجان الدافئة فعلينا أن ننتظر التنين الذي تقول إحدى مقولاته إن الصينيين يأكلون كل ما يقف على أربع إلا طاولة الطعام. سينتظر العرب مثلما انتظروا قبل ذلك بريطانيا وأمريكا إلا إذا تحركوا ودخلوا في قواعد اللعبة الدولية التي تقوم على التقنيات والعلوم والمعرفة.■


من أجل بيئة سليمة ... وإنتاج مطور
أسمنت اليمامة
تواجه التحدي بعزم وأصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن
الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة.